وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعـــة بغـــــداد
كلـــية الآداب
قسم اللغة العربية

منهج الدرس الصوتي عند العرب

أطروحة تقدم بها الطالب

علي خليف حسين

إلى قسم اللغة العربية في كلية الآداب في جامعة بغداد ، وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها.

بإشراف

الأستاذ الدكتور محمد حسين آل ياسين

رجب 1423هـ أيلول 2002 م

الإهـــداء

إلى التي أحرقت سنين عمرها لتنير درب حياتي ..

والدتي العزيزة

وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلمِ إِلّا قَلِيلاً

صدق الله العظيم

(سورة الإسراء : الآية85)

بسم الله الرحمن الرحيم

أشهد أن الأطروحة الموسومة **(منهج الدرس الصوتي عند العرب)** التي أعدها الطالب **(علي خليف حسين)** جرت بأشرافي في قسم اللغة العربية في كلية الآداب في جامعة بغداد ، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها.

التوقيع :

المشرف : الأستاذ الدكتور محمد حسين آل ياسين

التاريخ : / / 2002م

بناءً على التوصيات المتوفرة أرشح هذه الأطروحة للمناقشة ..

الأستاذ الدكتور

أيهم عباس حمودي القيسي

رئيس قسم اللغة العربية

/ / 2002م

المقـــدمة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين محمد خاتم النبيين وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين .

أما بعد ؛

فان العرب قد بذلوا الجهود الكبيرة في خدمة لغتهم فدرسوا كل ما يتعلق بها من ظواهر ومظاهر دراسة عميقة وشاملة وجادة في مفردات اللغة ومعاني هذه المفردات وصيغها وتراكيبها ، وقدموا لنا تراثا لغويا ضخما ، ومن هذا التراث اللغوي الضخم قدم لنا العلماء العرب في مجال الصوتيات علما صوتيا عربيا خالصا تكاد تكتمل فيه النظرية الصوتية عندهم إذ شمل ميادين علم الصوتيات المختلفة في الجوانب السمعية والنطقية الوظيفية .

ان هذا الإرث اللغوي الكبير في مجال الصوتيات كان لابد أن يكون له منهج يضبط موضوعاته ويقسمها ويفرعها ويحدد اتجاهاتها ، وهذا ما دفعني إلى الخوض في دراسة منهج علماء العربية في أيراد المادة الصوتية ، فكان التركيز والاهتمام منصبا على المنهج من حيث هو الإطار العام للمادة الصوتية ، غير أنني لم اقف عند أسوار المادة الصوتية والنظر أليها من الخارج وإنما حاولت الدخول في صلب المادة الصوتية لكي يتسنى لي الوقوف على حقيقة المنهج من جهة ، وإشراك القارئ في إعطاء الرأي في المنهج الذي سار عليه علماء العربية في دراسة المادة من جهة أخرى . وربما نتفق في النتيجة والحكم الواحد وربما نختلف في وجهة النظر فجاء اختيار الموضوع وتسميته(منهج الدرس الصوتي عند العرب). غير أنجمع المادة ودراستها قد انتابها بعض الصعوبات تتمثل في كثرة المؤلفات التي تناول هذا الجانب بحيث أصبحت لا تعد ولا تحصى غير أنكثرة هذه المؤلفات لم تهتم في معرفة منهج الدرس الصوتي عند العرب وإنما اهتمت بدراسة الجانب الصوتي بما يضمه من مادة وما يعالجه من ظواهر وهذا ما دفعني إلى الولوج في هذا الميدان وبيان منهج علماء العربية في دراسة المادة الصوتية وعلى وفق خطة مقسمة إلى تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة . وكل فصل مقسم إلى مباحث .

فجاء التمهيد بعنوان (نشأة الدرس الصوتي عند العرب) .

تحدثت فيه عن نشأة الدراسة الصوتية عند العرب ، ومراحل تطورها فضلاً علىأصالة الدرس الصوتي عند العرب وما قيل فيه من تأثير وتأثر . لان الطعن في اصالة الدرس الصوتي عند العرب ، يقود حتما إلى الطعن في منهجهم في هذا الجانب فكان تمهيدا لا براز أصالة الدرس الصوتي ومن ثم أصالة المنهج مهما كان اتجاهه وتشعبه .

وجاء الفصل الأول بعنوان (علم الأصوات السمعي). وبدأنا به لاعتبارات علمية لأهمية السمع وأثره في النطق فلولا السمع لما كان النطق ومن حيث إن الصوت ظاهرة عامة قبل دخولها في الجانب الخاص وهو الصوت اللغوي فضلاً علىاعتبارات منهجية لأن مجال السمعيات قليل في مؤلفات علماء العربية واختص به نفر قليل منهم لاسيما الفلاسفة المسلمون . فتناولنا فيه جهد علماء العربية في هذا المجال وإسهاماتهم وما قدموه من نتائج على ما فيه من غموض العبارة التي حاولنا شرحها بما يوازيها في الدرس الصوتي الحديث وقد قسم هذا الفصل إلى مبحثين . شمل المبحث الأول (الصوت ومصدر الصوت وعناصر الصوت)، اما المبحث الثاني فضم : (الوسط الناقل للصوت، وجهاز الاستقبال، والعملية السمعية) .

أما الفصل الثاني : فقد حمل عنوان (علم الأصوات النطقي) .

وشمل منهج علماء العربية في دراسة الأصوات في حيز الأفراد من حيث المخارج والصفات والأبجدية الصوتية عندهم وتقسيم الأصوات إلى مجاميع متناظرة وتحدثت عن كل مجموعة كما وصفها علماء العربية فجاء هذا الفصل مقسما إلى المبحثين . ضم المبحث الأول (أعضاء النطق والأبجدية الصوتية وتقسيم الأصوات) في حين ضم المبحث الثاني (مخارج الأصوات وصفاتها) .

أما الفصل الثالث . فكان بعنوان (علم الأصوات الوظيفي).

وهذا الفصل سلط الضوء على تعاملیات الأصوات ودراسة العلماء العرب لها وما تمخض عن ذلك من ظواهر صوتية متنوعة وقد ركز الفصل على أهم هذه الظواهر وهي (الإدغام والإبدال والابتداء والوقف والإمالة والإعلال) . وهي أهم الظواهر الصوتية عند العرب التي يمكن من خلالها معرفة منهج علماء العربية في دراسة الأصوات في حيز التركيب أما غيرها من الظواهر فاستبعدناها لا لقلة أهميتها من نحو (الاتباع) بل لأننا لأيمكن أن نقف على حقيقة المنهج في دراسة هذه الظاهرة فضلاً علىأنها لا يمكن أن تجود بالجديد الذي يخدم الدراسة بعد ان اشبعت درسا وعلى الرغم من أن تلك الظواهر قد تناولها الباحثون فأنهم تناولوها من حيث هي جهد صوتي لدى العرب في حين تناولها البحث من حيث هي جهد ومنهج صوتي فضلا عما جاءت به هذه الدراسة من أراء تكاد تغير الكثير من المفاهيم عن هذه الظواهر .

و قد قسم الفصل إلى مبحثين ضم المبحث الأول (تعامليات الصوامت)

ويضم موضوعين هما : (الإدغام والإبدال) .

تناولت فيه حقيقة الإدغام وأنواعه عند علماء العربية وأهم الملاحظات التي سجلناها على عملهم هذا والحال يصدق على الإبدال الذي توصلنا فيه إلى نتائج مهمة في معرفة حقيقة

الإبدال والتفرقة بينه وبين الإبدال النحوي وسجلنا أهم الملاحظات في هذا الجانب أما المبحث الثاني فيضم (تعامليات الصوائت وأنصاف الصوائت) ويضم موضوعات :(الابتداء والوقف والإمالة والإعلال). تحدثنا فيه عن الابتداء وخرجنا فيه بآراء هامة أعطت حقيقة الابتداء في العربية والحال يصدق على الوقف واهم مظاهره وسجلنا بعض الاعتراضات على هذه المظاهر وعمل علماء العربية في دراسة ظاهرة الوقف والحال يصدق على الإمالة فتناولنا حقيقة هذه الظاهرة وبينا اضطراب العلماء العرب في رصدها وكذلك الإعلال ومظاهره وبينا الفرق بين منهج القدماء والمحدثين في دراسة هذه الظاهرة في مظاهرها الثلاثة (القلب والحذف والنقل) . وكل هذه الفصول يتقدمها مدخل يسير يبين مصطلح هذه العلوم الثلاثة وهي (علم الأصوات السمعي والنطقي والوظيفي) . وختمنا البحث بخاتمة سجلنا فيها أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة .

لقد جاء هذا العمل مستفادا" من المؤلفات والرسائل والبحوث والمقالات التي ألفت في هذا الجانب قديما" وحديثا" وكان العمل ضخما" وشاقا" لأنه يشمل العملين معا" أي (الجهد والمنهج) لأنني أردت أن يكون هذا العمل محيطا بالدراسات الصوتية عند العرب بحيث يغنى كل باحث ودارس للجهد الصوتي عند العرب ومعرفة ملامح المنهج الصوتي عند العرب أنها جاءت على وفق منهج مدروس او جاءت مبعثرة ومشتتة لا يجمعها رابط . وقد أشفق على هذا العمل أساتذتي الأفاضل فقدموا لي الكثير من المساعدة في هذا الجانب من المشورة والدعم المعنوي وأخص بالذكر منهم أستاذي المشرف الدكتور محمد حسين آل ياسين الذي كان نعم المشرف والأب الذي يعجز القلم واللسان عن وصف ما قام به من مساعدة لإخراج هذه الرسالة بشكلها النهائي وقد تحملني كثيرا" وأخذ بتشجيعي لإكمال هذه الرسالة وأزال عني الكثير من همومي الدراسية وهمومي الشخصية . ولولا مساعدته لما أكملت هذه الرسالة لصعوبة الظروف التي مرت بي فجزاه الله عني خير الجزاء .

وكذلك أستاذي الدكتور عناد غزوان الذي أدين له بالفضل الكبير لمساعدته لي في كل صغيرة وكبيرة وعلى يديه أقر البحث فكان نعم الأستاذ والأب .

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل أساتذتي في القسم وزملائي الأعزاء أخص بالذكر منهم الشاعر (نعمان النقاش) الذي تكفل طبع الرسالة ووقوفه إلى جانبي والاخوة محمد تقي الحسني وعلاء جبر وأحمد الشيخ وفائر الشرع وليث الراوي والشاعر منذر عبد الحر والدكتور محمد راضي جعفر . وكل من مد لي يد العون لإتمام هذه الرسالة .و أشكر مديرة مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب . جامعة بغداد . السيدة (أم علي) والأخت (مائدة) ولكل هؤلاء أتقدم بالشكر الجزيل .

و في الختام فعملي هذا خالص لوجه الله تعالى لخدمة العلم واللغة العربية وكل ما فيه من آراء جاءت خالصة لخدمة الدراسة الموضوعية الحقة لإبراز التراث اللغوي عند العرب بوجهه المشرق، وإذا أوغل القلم في النقد فإنما هو لحماس الباحث لخدمة التراث العربي ولمعرفة الأسس الرصينة للدراسة الصوتية عند العرب .

والله من وراء القصد

التمهـــيد

التمهيد

نشأة الدرس الصوتي عند العرب

من المسلمات في التاريخ اللغوي عند العرب أنه منذ بزوغ فجر الإسلام . ونزول القران الكريم أخذ المسلمون بقراءته وتلاوته فضلا" عن الحفاظ عليه من التحريف فاخذوا بحفظه في صدورهم فكان الجانب النطقي من أهم وسائل حفظ القران الكريم فوضع علماء العربية هذه الغاية نصب أعينهم ومن ثم وصفوا قواعد لدراسة اللغة العربية فوصفوا مخارج الأصوات وصفا" دقيقا" وتحدثوا عن صفات الأصوات فنشأ (علم التجويد) فكان هذا المبدأ السبب الأبرز في اهتمام علماء العربية في دراسة الأصوات فألفوا فيها الكتب والمصنفات . ولعل ارتباط دراسة الأصوات بالقران الكريم لاسيما تجويده وتلاوته التي تستند إلى النطق الصحيح للأصوات وضبط مخارجها وصفاتها هو الذي يقود إلى القول ان علم الأصوات قد ارتبط بعلم التجويد .

غير أن علم التجويد من حيث هو علم" يعنى بدراسة مخارج الأصوات وصفاتها وما يترتب على ذلك من أحكام عند تركيبها في الكلام المنطوق ظهر في حدود القرن الرابع الهجري لأنه لم يعرف كتاب الف في هذا العلم قبل ذلك القرن بمعنى آخر ان علم التجويد تأخر ظهوره من حيث هو علم مستقل" إزاء علوم العربية اكثر من قرنين من الزمان وان جهود علماء العربية من نحويين ولغويين كانت تقوم بالمهمة التي قام بها علم التجويد بعد ان كتب له الظهور في تعليم الناطقين بالعربية أصول النطق العربي الصحيح فقام علماء التجويد باستخلاص المادة الصوتية من مؤلفات النحويين واللغويين وصاغوا منها علم التجويد مواصلين أبحاثهم بالاستناد إلى تلك المادة مضيفين إليها خلاصة جهدهم حتى أصبح علم التجويد علما" متقدما" في دراسة الأصوات اللغوية[1].

ومهما يكن من أمر فقد كان الخليل بن احمد الفراهيدي (ت 175 هـ) من أوائل العلماء العرب الذين عنوا بدراسة الأصوات اللغوية فألف كتاب العين الذي بث فيه آراءه الصوتية في مخارج الأصوات وصفاتها فسمى كتابه (العين) لانه بدأ بصوت العين وفي مقدمته الموجزة نجد اول مادة صوتية تدل على اصالة علمه وعلى الرغم من ان كتابه يعد اول معجم في العربية ينماز بالتفرد فانه ارسى فيه اساس علم الأصوات عند العرب من خلال مقدمته التي ضمت معلومات صوته ذات قيمة علمية وتاريخية تتعلق بتحليل الأصوات العربية ودراستها دراسة عربية خالصة لم يسبقه اليها احد سواهُ من العرب او غير العرب فهو صاحب اول دراسة صوتية منهجية في تاريخ الفكر الصوتي عند العرب .

---

[1] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، ص20.19.

وعندما درس الخليل مخارج الأصوات وصفاتها كانت أفكاره وتعليلاته طريق من جاء بعده من علماء العربية فتابعه في ذلك تلميذه سيبويه (ت 180 هـ) إذ انه استلهم أفكار الخليل وصاغها بشكل يتسم بالشمول والدقة فكان دقيقا" في تحليلاته وتقسيماته لصفات الأصوات ومخارجها فضلا" عن الظواهر الصوتية التي درسها دراسة واعية تنم عن إدراك عميق لأسباب تلك الظواهر وأبعادها الصوتية . ويمكن إن نعد ابن جني (. 392 هـ) من ابرز العلماء الذين استطاعوا ان يستوعبوا نتاج الخليل وسيبويه فوضع ما يشبه نظرية الصوت اللغوي عند العرب من خلال الجهد الكبير الذي بذله في دراسة الجانب الصوتي فأضفى لونا" من الدقة بيَّن أنها دراسة لغوية مهمة يجب على كل عالم في اللغة ان يضعها في عين الاعتبار فأفرد كتابا" خاصا بالأصوات سماه (سر صناعة الاعراب) . فجاءت آراؤه في هذا الكتاب لتثير إعجاب المستشرقين وعلماء اللغة الغربيين، سوى علماء اللغة من العرب . لأن نظرته في دراسة الأصوات كانت نظرة علمية دقيقة، إذ جمع بين الجانب النظري والجانب العملي التطبيقي فكانت عنوانا على تفوقه في دراسة الأصوات فقد تكلم على الصوت بكلمات علمية لها مفهومها المحدد . فضلاً على تناوله الأصوات العربية من معظم جهاتها وائتلافها في تركيب الألفاظ[1] . ومن بعد هؤلاء اخذ العلماء في دراسة الأصوات من خلال بحوثهم في الموضوعات اللغوية إذ اهتم بها الصرفيون لأنهم يعللون لبعض الصيغ التي تدخل الأصوات في نطاق دراستها كالإبدال الصرفي والإعلال والإدغام والحذف والإمالة وغيرها من المسائل التي كانت تدخل مادة الصرف على الرغم من كونها صوتية . وكذلك المعجميون الذين تناولوا هذا الجانب لانه داخل في نطاق دراستهم ويكفي مثالا على ذلك مقدمة الخليل المهمة ومقدمة ابن دريد (ت 321 هـ) في الجمهرة .

أما علماء البلاغة فكانت لهم بحوث تتعلق بالأصوات تتحدث عن فصاحة اللفظة واضعين شروطا لخلوها من تنافر الأصوات وهو ما يعرف في علم الأصوات بالدراسة التنظيمية وهي طريقة تأليف الأصوات . فكانت دراسة ابن سنان الخفاجي (ت 446 هـ)

في سر الفصاحة والرماني (ت 384هـ) في إعجاز القرآن مثلا بارزا" على أهمية الجانب الصوتي في الدراسات البلاغية[2] .

ان مؤسس الدراسات الصوتية عند العرب هو الخليل بن احمد الفراهيدي وهذا الرأي لا جدال فيه فهو الذي وضع أسس هذا العلم وتابعه في ذلك علماء العربية إذ تحدث الخليل من الجهاز الصوتي وأعضاء هذا الجهاز ومخارج الأصوات وصفاتها وقد وضع الخليل الطريقة التي

---

[1] أصوات اللغة العربية ، ص10.

[2] سر الفصاحة، ص110-113 النكث في إعجاز القرآن ، ص73 - 92 .

يمكن من خلالها معرفة مخرج الصوت الحقيقي . فكان موفقا في ذلك إلى حد ان علم الأصوات يعترف له بصحة الكثير من آرائه الصوتية التي كانت مثار اعجاب الباحثين والدارسين لأنها قيلت قبل اكثر من الف ومائتي سنة، في زمن لم يعرف اجهزة التقدم العلمي الحديث، لاسيما ان الغربيين لم يعرفوا علم الأصوات معرفة حقيقية إلا عن مائة سنة تقريبا وما كان قبل ذلك التأريخ انما هو مبادئ ساذجة أسسها اليونان قبل الفي سنة إذ كان علمهم يقتصر على بعض التسميات التي قد ضاع معناها، لان الأصوات الموجودة في اللغات الاوربية في وقتنا الحاضر مخالفة لأصوات اليونانية القديمة مخالفة تامة . حتى قال شادة : (لم يكن هناك من الشعوب القديمة إلا شعبان قد بحثا عن كيفية الأصوات وانتاجها بحثا فاق بحث اليونان دقة وعمقا، وهما الهند والعرب)[1].

ومن مسألة السبق الزمني بين الهند والعرب أن الهند سبقوا العرب في وصف الأصوات بألف سنة أو اكثر، زعم بعض المستشرقين أن العلماء العرب قد اقتبسوا علم الأصوات من الهند [2].

غير أنمذهب العرب في دراسة الأصوات يخالف مذهب الهند في أمور مهمة فقد اعتمدت الأبجدية الهندية على المقاطع من نحو (يا، خا، حا) أما العربية فاعتمادها على الأصوات المفردة مثل (ب، ت، ث)، فالعرب قد استحدثوا هذا العلم من مداركهم الخاصة بأنفسهم، ولم يقتبسوه من أي شعب غيرهم، لأن الباعث الذي دفع العرب لدراسة الأصوات وعلوم العربية الأخرى هو القرآن الكريم .

لأن الشعوب التي دخلت في الإسلام في القرنين الأولين من قرون الإسلام، كانت غايتهم ان يحسنوا قراءة المصحف الشريف، وينطقوا أصواته نطقا عربيا خالصا، فلم يجدوا سبيلا" إلى ذلك ألا بعد الاطلاع على أصوات اللغة العربية وقواعدها[3] .

لذلك وضع علماء العربية تلك القواعد لتعليم هؤلاء الداخلين في الدين الإسلامي، سواء كانوا علماء عربا في أصولهم كالخليل، أو علماء من أصول غير عربية أو بالأحرى أصول فارسية، دخلت في الدين الإسلامي، فكان سيبويه رجلا" فارسيا" خلف لنا وصفا مفصلا لأصوات العربية وإنتاجها فكانت دراسته في كتابه المشهور مصدرا" لكل ما كتبه المتأخرون من علماء العرب . ليس في علم الأصوات فحسب، وانما في الصرف والنحو . فهو التلميذ الذي حفظ لنا تراث استاذه الخليل إن مسألة .

---

[1] علم الأصوات عند سيبويه وعندنا ، 30.

[2] المصدر نفسه ، 30.

[3] المصدر نفسه ، 31 – 32 .

تأثر الخليل بالامم المجاورة في وضع اصول الدراسات الصوتية عند العرب، غير مقبولة في المنهج العلمي السليم الذي يستند إلى الادلة والبراهين، فلا يوجد دليل على ان الخليل قد أخذ علمه من غير البيئة العربية، فالعلم عربي، وواضعه عربي، لأن البيئة التي عاش فيها الخليل تحتم عليه ذلك، فالقرآن الكريم يستند إلى الجانب النطقي أكثر من الجانب الاملائي، ناهيك عن ان المصطلحات التي أستعملها الخليل مصطلحات عربية خالصة من نحو الشديد والرخو، والذلاقة والاصمات، وغيرها من المصطلحات التي أخذت وجهها العربي المشرق، يضاف إلى ذلك أن الخليل لم يكن يعرف لغات أجنبية فكيف يتسنى له معرفة تراث الامم الأخرى، لا سيما أن الترجمة من تلك اللغات لم يقف عليها الخليل[1]. فجاءت المادة الصوتية عند العرب على وفق منهج عربي خالص، فإذا كان المنهج هو الطريقة التي يتخذها المؤلف ليسلك فيه موضوعات تفكيره أو دراسته، وهو الخطة التي يتبعها المؤلف في علاج المشكلة التي اختارها موضوعا له، وقيامها على اساس من المنطق أو من الاستقراء . أو منهما معا، فإنه في الوقت نفسه الذي يرتب المادة موضع الدراسة وهو نسق منطقي يجعل المقدمات اولا" تليها النتائج . أو نسق موضوعي يجعل الموضوعات العامة أولا، التي لها تأثيرها فيما بعدها، ثم يعقب على ذلك بذكر المسائل الخاصة أو الفرعية [2].

فليس من اليسير الوقوف على منهج علماء العربية في دراسة الأصوات لانهم لم يكتبوا لنا أو يوضحوا طريقتهم في دراسة الأصوات او المنهج الذي سوف يسلكونه في هذه الدراسة، وانما قاموا بعرض المسائل الصوتية فبرز الجهد الصوتي عند العرب غير أنالعلماء قد درسوا موضوعات العربية دراسة مستقلة بعضها عن بعض، توحي بأن علم الأصوات عندهم كان علما"عابرا"وما المقدمات الصوتية في كتاب العين او كتاب سيبويه وغيرهما من علماء العربية إلا ملاحظات صوتية عابرة القصد منها إرادة الدخول إلى أعمالهم الأصلية في ترتيب مادتهم اللغوية التي هي موضوع البحث . فلعدم تخصص أعمال للدراسات الصوتية قد يعرض عمل العرب في مجال الصوتيات إلى كثير من الانتقادات المنهجية فسيبويه الذي يعد من أبرز من درس الأصوات عند العرب، تناول الأصوات في باب يحيط به الكثير من الغموض . وهو (باب الإدغام). والإدغام كما هو معروف ظاهرة صوتية صرفية، أي غير خالصة للأصوات مما أدى به إلى الاضطراب في معالجتها . فضلا" على ذلك أنه الحق دراساته الصوتية في آخر بحوثه اللغوية، وكأنها شيء إضافي أراد أن يمر به، فضلا" عن ذلك الإهمال الذي سار فيه العلماء الذين جاءوا بعد الرعيل الأول من علماء العربية الذين درسوا الأصوات دراسة مقنعة . فأخذوا

---

[1] الخليل بن احمد الفراهيدي، أعماله ومنهجه ، .

[2] في التطور اللغوي ، ص149.

يرددون عبارات السابقين من دون النظر في أصوات اللغة نظرة جادة، وتركوا أمر هذه الدراسة إلى علماء التجويد، ظنا" منهم أنها دراسة خاصة بهؤلاء القوم . يضاف إلى ذلك ان اللغة يمكن أن تتم على المستوى النظري والتطبيقي ولكن من دون أن تبعد الجانب الصوتي في هذين المستويين . فالعلماء العرب قد خلفوا لنا تراثا" صوتيا" موزعا" على علوم العربية المتعددة من نحو وصرف وبلاغة ومعجم . ناهيك عن توزعها في الظواهر اللغوية التي تضمها هذه العلوم . فدراسة المنهج الصوتي عندهم والخوض فيه يحاط بكثير من المصاعب بحيث لايمكن القطع به بسرعة كبيرة وانما معرفة علوم العربية الرئيسة معرفة دقيقة من حيث منهج العلماء العرب في دراستها ومن ثم الكشف عن الجوانب الصوتية فيها . وبلورة تلك الجوانب في إطار عام يمكن من خلاله إيجاد مدخل لدراسة منهج الدرس الصوتي عند العرب على الرغم من ان العلماء العرب قد درسوا تلك العلوم دراسة منفصلة أي دراسة كل علم وكأنه منفصل او مستقل عن الآخر ومن ثم توزعت الآراء الصوتية بين هذه العلوم بعضها مع بعض والجانب الصوتي يدخل في كل علم من هذه العلوم .. بحيث لايمكن الاستغناء، عنه وجعله أشتاتا" متفرقة بين علوم العربية، يمكن من خلالها تلمس الجانب المنهجي في دراسة الأصوات، غير أن الدراسات الرائدة في علم الأصوات عند العرب يمكن من خلالها الوقوف على معرفة خصائص ومميزات المنهج الصوتي عند العرب وفي مختلف اختصاصات هؤلاء العلماء من نحويين وصرفيين وبلاغيين وعلماء تجويد وفلاسفة . سواء كان هذا المنهج يقوم على أسس منهجية سليمة . أو على أسس يعتريها بعض الاضطراب ويسودها التكلف، وهذا ما سوف نصل إلى حقيقته من خلال هذه الدراسة، التي جاءت لتكشف عن حقيقة المنهج الصوتي عند العرب، وهل لهم منهج في دراسة علم الأصوات، أو لم يكن لهم أي منهج في دراسته ؟

الفصل الأول

علم الأصوات السمعي

المبحث الأول

* الصوت
* مصدر الصوت
* عناصر الصوت

المبحث الثاني

* الوسط الناقل للصوت
* جهاز الاستقبال
* العملية السمعية

الفصل الأول

علم الأصوات السمعي

مدخل

اختلف الأصواتيون في إطلاق تسمية قطعية لهذا العلم ،وذلك لاختلافهم في ترجمة المصطلح الإنكليزي :(Acoustic phonetics) فاقترحوا لترجمته اقتراحات عدة هي [1]:

1. علم الأصوات الأكوستيكي .
2. علم الأصوات السمعي .
3. علم الأصوات الموجي .
4. علم الأصوات الفيزياوي .
5. علم الأصوات الطيفي .

وكل تلك التسميات وردت عليها إشكالات مصطلحية منها :

إن علم الأصوات الفيزياوي فيه تعميم ،لآن فيزياء الصوت تشمل ظاهرة الصوت الطبيعي وكل ما يقع في مجال السمع البشري . ودونه وفوقه، في حين الأصوات اللغوية تقع في مجال السمع البشري . أما مصطلح علم الأصوات السمعي فهو خلط بين مفهوم العملية الإدراكية (السمع) ومفهوم العملية الفيزياوية لانتقال الصوت وحدوثه ،وكذلك علم الأصوات الموجي والطيفي [2].

واشهر هذه المصطلحات هو علم الأصوات الاكوستيكي ،وهو ترجمة حرفية ونطقية للمصطلح الإنكليزي (Acoustic phonetics) [3].

ونحن نميل إلى تسميته بعلم الأصوات السمعي، وذلك لشموليته وإحاطته بالأصوات المسموعة سواء أكانت إنسانية أم غير إنسانية، وكل باحث يدرس مجال الأصوات الذي يختص به، فضلاً علىان العمليات الطبيعية للصوت وحدوثه والوسط الناقل له تعد بمثابة الممهدات للعملية السمعية فمن دونها لا تتم العملية السمعية[4] .

---

[1] علم الأصوات الموجي والسمعي عند المسلمين القدماء، ص 119 –120 .

[2] المصدر نفسه، ص120.

[3] دراسة الصوت اللغوي، ص5.

[4] علم اللغة العام – الأصوات– ، ص12.

فيشكل شرح عملية إدراك الأشارات السمعية الطبيعية من وجهة النظر الفيزيولوجية والتشريحية لأعضاء السمع والجهاز العصبي الهدف الرئيس لنظرية السمع[1] .

ومن هذا العموم جاز ان يطلق على الخاص ،واطلاق العام على الخاص جائز في الدراسات العلمية ،لانه أولى من إطلاق الخاص على العام، وهذا خلاف ما ذهب أليه بعض المحدثين من تفضيل مصطلح علم الأصوات الفيزياوي بحجة مشابهته لألفاظ الفلاسفة المسلمين من نحو (بوطيقا وريوطيقا)[2] .

وهذا الرأي وان كان مقبولا إلى حد معين، إلا أنه ليس بالرأي العلمي . فضلاً على ان ذلك لا يمنع من الأخذ بمصطلح علم الأصوات السمعي . للأسباب المذكورة، وإلى ذلك ذهب غير واحد من المحدثين، وبينوا انه يتعلق بالصوت من حيث انتقال موجاته في الهواء إلى إذن السامع وأثرها السمعي[3] .

ومهما يكن من أمر فعلم الأصوات السمعي فرع من فروع علم الأصوات العام يختص بدراسة الخصائص المادية الطبيعية لأصوات الكلام أثناء انتقالها من المتكلم إلى السامع[4].

او بمعنى أدق هو : (فرع من فروع علم الأصوات يهتم بدراسة الخصائص المادية والطبيعية لأصوات الكلام أثناء انتقالها من المرسل (المتكلم) إلى المرسل إليه (السامع) وذلك من دون الإلتفات إلى شروط وظروف إرسالها واستقبالها)[5].

عناصر العملية السمعية :

تناول العلماء المحدثون هذا العلم بعناية فائقة فبينوا جميع ما يتعلق بالعملية السمعية . من مصدر الصوت والوسط الناقل له، سواء كان عن طريق الهواء أو الماء أو أي جسم آخر . وجهاز الاستقبال (الأذن) فضلاً علىعناصر الصوت من شدة الصوت وتوتره وارتفاعه وتذبذبه وسعته وجرسه وغير ذلك مما يدخل في مجال علم الأصوات السمعي[6].

---

(1) المنظومة الكلامية، ص140.

(2) علم الأصوات الموجي والسمعي عند علماء المسلمين القدماء، ص120.

(3) علم اللغة السعران، ص381، مدخل إلى الالسنية، ص137، علم الأصوات العام، ص30. دراسة السمع والكلام، ص25.

(4) دراسة الصوت اللغوي، ص5، الصوتيات، ص35، التشكيل الصوتي، ص38 .

(5) علم الأصوات العام، ص30.

(6) الصوتيات، ص35-48، والمنظومة الكلامية، ص90 وما بعدها .

واجمع العلماء على ان عملية السمع او علم الأصوات السمعي يستند إلى ثلاثة أسس او جوانب تكون محور دراسته وهي [1] :-

1.مصدر الصوت : وهو الجسم الذي يحدث بتذبذبه أثرا مسموعا كالشوكة الرنانة أو الوتر الصوتي .

2.الوسط الناقل للصوت : وهو انتقال الصوت حال حركة الهواء، وهذا الوسط يكون اما غازا اخف من الهواء أو سائلا كالماء أو صلبا كالمعادن ولكل نوع نظامه الخاص وطرائقه الخاصة في نقل الصوت .

3.جهاز استقبال الصوت : وهو الأذن التي تكون المرحلة الاخيرة في العملية السمعية التي تصل اليها الهزات او الذبذبات ومنها إلى المخ.

وهذه الجوانب الثلاثة هي عماد العملية السمعية فبتوافرها جميعا تحدث العملية السمعية من خلال استقبال الأذن للصوت عن طريق الوسط الناقل له ومنه إلى الدماغ . فتحدث عملية الاستجابة بطرائق فصل فيها المحدثون كثيرا[2].

اذا كان المحدثون قد درسوا هذا الجانب من علم الأصوات العام، وتوصلوا فيه إلى نتائج مهمة وتفصيلات متشعبة يسندهم التطور العلمي وتوسع مجالات العلم، فأن العلماء العرب قد اعملوا فكرهم في هذا العلم وقدموا فيه الدرسات القيمة من دون ان تكون لهم اجهزة حديثة كالتي عند المحدثين . وانما هو الادراك والملاحظة التجريبية، بيد ان دراسة هذا العلم لم تكن على نطاق واسع عند العلماء العرب وانما اختص به بعض العلماء دون سواهم [3] .

فالخليل بن احمد على علو كعبه في الدراسات الصوتية إذ يعد مؤسس الدراسات الصوتية عند العرب .حتى قيل فيه : (لم يسبق الغربيين في هذا العلم إلا قومان من أقوام الشرق، وهما أهل الهند والعرب فأول من وضع أصول هذا العلم من العرب الخليل بن احمد)[4]لم يدرس هذا

---

[1] دروس في الطبيعة ،ص14-15، أصوات اللغة، ص92، الأصوات اللغوية، ص7. دراسة الصوت اللغوي، ص5، ص28.

[2] دراسة الصوت اللغوي، ص30-35.

[3] علم الأصوات عند العرب، ص50، (بحث).

[4]التطور النحوي، ص5، الخليل رائد علم الصوت عند العرب، ص195 (بحث).

الجانب من الأصوات [1]. وكذلك العلماء الذين نهلوا من علم الخليل وساروا على نهجه امثال : ابن دريد[2]، والازهري (ت370هـ)[3] .والقالي (ت371هـ) [4] وغيرهم من المعجميين العرب .

ويبدو أنَّ الخليل لم يكن معنيا بهذا الجانب من علم الأصوات، وكان جل اهتمامه منصبا على الجانب النطقي، فضلاً علىتعامليات الأصوات [5]. والطريف ان الخليل كان مولعا بالموسيقى وذُكر أن له كتابا في النغم لم يصل الينا[6] . ومعلوم ان الموسيقى تستند إلى هذا الجانب من العلم، حتى ان الفارابي (ت 360هـ) كانت له نظرات في هذا العلم وله كتاب في الموسيقى بين فيه الكثير من الظواهر السمعية . كما سنبينه في محله – ان شاء الله –

وما يصدق على الخليل يصدق على سيبويه. فعلى الرغم من دراسته لمخارج الأصوات وصفاتها وتعامالياتها لم يتطرق إلى هذا الجانب من علم الأصوات [7]، وكذلك من تابعه من النحاة العرب امثال : المبرد (ت285هـ)[8] . وابن السراج (ت316هـ)[9] . وابي على الفارسي (ت 377هـ)[10] وابن يعيش (ت 643هـ)[11] ورضي الدين الاسترابادي (ت 684هـ)[12] والسيوطي (ت 911هـ)[13] وغيرهم من النحاة الين اهتموا بالجانب النطقي للأصوات والجانب التعاملي فقط .سواء كانوا بصريين او كوفيين او غير ذلك[14] .

---

[1] التفكير الصوتي عند الخليل، ص31، الدراسات الصوتية في كتاب العين، ص75 (رسالة ماجستير) .

[2] الجمهرة ،ج1، ص45الدرس الصوتي عند ابن دريد، ص174، (بحث).

[3] تهذيب اللغة ،ج1، ص48.

[4] البارع، ص215.

[5] التفكير الصوتي عند الخليل، ص15 .

[6] الفهرست، ص68 . الخليل بن احمد الفراهيدي اعماله ومنهجه، ص124.

[7] الكتاب، ج2، ص405 . الأصوات عند سيبويه وعندنا، ص4، الأصوات عند سيبويه، ص25 (بحث).

[8]المقتضب، ج1، ص192 . والدرس الصوتي عند المبرد، ص37، (رسالة ماجستير) .

[9] الاصول، ج3، ص399 . والبحث الصوتي عند ابن السراج، ص35، (رسالة ماجستير) .

[10] ابو علي النحوي وجهوده في الدراسات اللغوية والصوتية، ص57، (رسالة دكتوراه) .

[11] شرح المفصل، ج10، ص40.

[12] شرح الشافية، ج3، ص260، والدرس الصوتي عند رضي الدين الاسترابادي، ص42، (رسالة ماجستير) .

[13] الفكر الصوتي عند السيوطي، ص 122، (بحث)، ابحاث في أصوات العربية، ص31.

[14] مدرسة الكوفة، ص118، جهود الكوفيين في علم الأصوات، ص65 (بحث)، والدرس الصوتي عند الكوفيين، ص38، (رسالة ماجستير)، ومن فكر الفراء الصوتي، ص60 (بحث) .

أما ابن جني فليس له نظرات ثاقبة في هذا الجانب [1]. وما ذكره عن امتداد الصوت وتقطيعه عند تجربته على الناي لا يعطي فكرة تامة عن علم الأصوات السمعي . بل هو بعيد عن الموضوع، لأنه يتحدث فيه عن مخارج الأصوات، او بمعنى علمي دقيق عن علم الأصوات النطقي . وهذا يتبين من قوله : (اعلم ان الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته فيسمى المقطع اينما عرض له حرفا، وتختلف اجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها وإذا تفطنت وجدته على ما ذكرته لك)[2].

وهذا النص يشير إلى ذبذبة الوترين الصوتيين وان لم يصرح (ابن جني) بذلك فضلاً علىوضعه آلية لمعرفة مخارج الأصوات وهو المستفاد من قوله (مقاطع) أي (المخارج) [3]. فضلاً علىتفريقه بين الحرف بوصفه وحدة لغوية وبين الصوت الذي يصدر من المخرج تبعاً للضغط الواقع عليه[4].

ولقد اساء بعض الباحثين فهم النص المتقدم وذهب إلى ان ابن جني يتحدث فيه عن مصدر الصوت وكيفية حدوثه وطريقة خروجه وعوامل تقاطعه [5] .

وكل ما في الامر انه يتحدث عن مفهوم نطق الصوت من خلال الاعضاء النطقية خصوصاً عملية الوترين الصوتيين واثرهما في نطق الأصوات .

بدليل قوله في موضع آخر : (. . . ونظير ذلك – أيضاً–وتر العود فإن الضارب إذا ضربه وهو مرسل سمعت له صوتا، فأن حصر آخر الوتر ببعض أصابع يسراه، ادى صوتا آخر، فإن أدناها قليلا سمعت غير الاثنين . . .)[6].

غير اننا لا نبخس حق ابن جني في هذا المجال، فقد أشار إشارة طفيفة إلى صدى الصوت من خلال حديثه عن اصل اللغات، ونسبتها إلى الأصوات المسموعة كدوي الريح، وخرير الماء . . . . [7] .

---

[1] الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ص295، وابن جني عالم العربية، ص80.

[2] سر الصناعة ، ج1، ص6.

[3] في البحث الصوتي عند العرب، ص30، والمدخل إلى علم اللغة، ص85.

[4] أصوات اللغة العربية، ص62 .

[5] منهج البحث الصوتي عند العرب، ص104، (بحث).

[6] سر الصناعة ، ج1، ص9.

[7] الخصائص، ج1، ص46–47.

الا ان هذه الالتفاتة ليس لها وزن في علم الأصوات السمعي . فضلاً علىانها تخصّ حقلا من حقول دراسة اللغة، وهو نشأة اللغة، ومحاولة ادخالها في مجال علم الصوتيات كما ذهب بعضهم [1] . يفقدها اهميتها، فضلا عما فيها من تكلف وتمحل . الا ان مهارة ابن جني تكمن في وصفه لمخارج الأصوات وصفاتها وتعامالياتها، فضلاً علىتفريقه بين الصوت والحرف . حتى قيل فيه : انه عالج جميع ما خطر له من مسائل علم الأصوات فلم يقتصر جهده على وصف الأصوات وانما اعطى اصولا لعلم الأصوات العام على الطريقة العربية وعلى اساس من الافكار الاصيلة[2].

وما يصدق على ابن جني ومن سبقه من علماء العربية يصدق على علماء القراءات وعلماء التجويد، إذ إن هم لم يعتنوا بهذا الجانب من دراسة علم الأصوات، لأن عنايتهم انصبت على الجانب النطقي للأصوات لأداء القرآن أداءً صحيحاً على النطق العربي الاصيل[3] .

اما علماء البلاغة، فكانت لبعضهم نظرات في هذا الجانب، ومنهم ابن سنان الخفاجي. إذ تحدث عن الجوانب السمعية للأصوات وحاسة السمع وانتقال الصوت وسرعة الصوت [4] . وعلى الرغم من قلتها الا انها مهمة من الناحية العلمية . كما سيجيء في محله – ان شاء الله– اما علماء البلاغة الاخرون فكان اهتمامهم محصورا في الجوانب النطقية للأصوات وتعامالياتها، ولا سيما تآلف الأصوات وتنافرها وأثرها في بنية الكلمة [5] من حيث هي عنصر لغوي مهم في بناء الكلمة، وما فيها من جمال وجرس موسيقي له اثره في التعبير[6].

ان اوضح معالم علم الأصوات السمعي تبرز عند العلماء الفلاسفة المسلمين، إذ تحدثوا عن جوانب هذا العلم بشكل مفصل وواسع يكاد يستوعب أغلب ما جاء به المحدثون في هذا العلم . فتحدثوا عن مصدر الصوت وكيفية انتقاله والمزايا الخاصة التي يتصف بها وكيفية وصوله إلى الأذن وادراكه ووضع المعايير الصوتية لتقسيم الأصوات وغيرها من جوانب علم الأصوات السمعي[7] .

---

[1] منهج البحث الصوتي عند العرب، ص105.

[2] التفكير الصوتي عند العرب، ص55.

[3] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص65–80، قضايا اساسية في علم اللسانيات الحديث، ص607–625.

[4] سر الفصاحة، ص7–14.

[5] البلاغة العربية امتدادها واصولها، ص111.

[6] البحث البلاغي عند العرب، ص80.

[7] علم الصوتيات الموجي والسمعي عند علماء المسلمين القدماء، ص60.

وابرز هؤلاء العلماء هم اخوان الصفا (ق 4 هـ)، والفارابي، وابن سينا (ت 428هـ)، وابن رشد (ت 595هـ)، وعبد اللطيف البغدادي (ت 629هـ) . ويضاف اليهم البيروني (ت 442هـ) . وكان لأبن باجة (533هـ) نظرات في الجانب السمعي . فعلم الأصوات السمعي تبرز معالمه الصوتية وأبعاده المنهجية عند هؤلاء العلماء بحيث يمكن للدارس ان يجد اصوله ومبادئه .

ولأيماننا بمنهج تقسيم العملية الصوتية إلى مصدر الصوت وانتقاله وعناصره أو ما يسمى بالجانب المادي أو الطبيعي للصوت، يقابله الجانب النفسي كالعملية السمعية وجهاز الاستقبال .

لذلك سندرس أراء هولاء العلماء ومنهجهم في هذه الموضوعات لنقف على جوانب هذا العلم وابعاده عندهم من جهة ومنهجهم في دراستها من جهة اخرى . فضلاً علىمدى اقترابهم من المحدثين لأعطاء ملامح علم الأصوات السمعي عند العرب ومنهجهم فيه .

المبحث الأول
(الصوت، ومصدره، وعناصره)

اولا : الصوت :

لم يفرق العلماء العرب بين الصوت والحرف، اي بين المنطوق والمكتوب كما هو الحال عند المحدثين الذين فرقوا بين الصوت والحرف [1].

فمذهب علماء العربية ان الصوت يشمل الحرف وعُدَّ هذا مأخذاً عليهم باتخاذهم الحرف تعبيرا عن الرمز المكتوب والصوت المسموع[2].

الا ان هناك طائفة من العلماء العرب بينوا الفرق بين الصوت والحرف يتقدمهم ابن جني الذي قال : (اعلم ان الصوت عرضي يخرج مع النفس، مستطيلا، متصلا، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته فيسمى المقطع اينما عرض له حرفا)[3] .

وابن جني هنا لم يعرف الصوت من الناحية السمعية، وانما عرفه من الناحية النطقية إذ يبدأ اخراج الصوت من الجزء الاقصى من الحلق، ويصادف في طريقه مقاطع تثنيه عن الاستطالة ومكان اعتراض هذه المقاطع للصوت يكون المخرج[4] .

وعلى الرغم من انه لم يفرق بين المصطلحين كما يفرق المحدثون وذهابه إلى ان الصوت يعني هذا المبهم الذي تصدره الحنجرة فإذا صار بسبب المقاطع سيناً او دالاً او قافاً صار حرفاً فأنه صاحب اول محاولة حقيقية للتفريق بين الحرف بوصفه وحدة لغوية، وبين الصوت الذي يمكن ان يصدر منه مخرجه تبعا للضغط الواقع عليه .

---

[1] المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، ص27، (رسالة ماجستير) .

[2] في البحث الصوتي عند العرب، ص29، والدرس الصوتي عند رضي الدين الاسترابادي، ص58، (رسالة ماجستير).

[3] سر الصناعة ، ج1، ص6.

[4] التفكير الصوتي عند العرب، ص58 .

بدليل قوله في معنى مصطلح الحرف : (واما الحرف فالقول فيه وفيما كان من لفظه ان (ح، ر، ف) اينما وقعت في الكلام يراد بها حد الشيء وحدته، من ذلك حرف الشيء إنما هو حده وناحيته)[1] .

وقال في موضع آخر : إن حروف المعجم سميت حروفا لأن الحرف حد منقطع الصوت وغايته وطرفه ويجوز إن تكون قد سميت حروفا لأنها جهات للكلم ونواحٍ [2] .

وتابعه في قوله ان الحروف أطراف الأصوات الفخر الرازي (ت هـ) الذي يرى ان الحرف هو طرف الصوت ومبدؤه [3] .

إلا إننا لا ننسى إشارة الجاحظ (ت 255هـ) الذي قال : (الصوت هو آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم فيه التقطيع وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا الا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف إلا بالتقطيع والتأليف) [4] .

يفهم من كلامه ان الصوت هو الجوهر وان الحروف هي الهيأة التي يأخذها الصوت لتأليف الكلام .

وعلى الرغم من ان اخوان الصفا قد احاطوا بالمعلومات الاساسية للصوت، وبينوا حركة الأجسام واثرها في الهواء لأحداث الأصوات بحيث يتدافع الهواء ويتموج إلى جميع الجهات[5] . فانهم لم يقدموا تعريفا دقيقا للصوت على الرغم من أشارتهم إلى الأثر السمعي للصوت ودرجات الصوت واقسامه وشدته وكثرة تموجه في الهواء[6] .

والحال يصدق على البيروني الذي كانت له نظرات في سرعة الصوت والضوء والفرق بين سرعة الصوت والضوء إلا أنه لم يحد الصوت تحديدا دقيقا[7].

وعلى الرغم من ان ابن سنان الخفاجي قد بين ان الحرف هو حد الشيء وان حرف الصوت هو حد مقطع الصوت اي ان الحرف هو خلاف الصوت[8] فأنه قد تابع البيروني في حديثه عن بعض الجوانب السمعية بأن الصوت يدرك بحاسة السمع وأشار إلى الوسط الناقل

---

[1] سر الصناعة ، ج1، ص13-14.

[2] المصدر نفسه، ج1، ص14.

[3] التفسير الكبير، ج1، ص30.

[4] البيان والتبيين، ج1، ص79.

[5] رسائل اخوان الصفا، ج1، ص189.

[6] المصدر نفسه، ج1، ص188.

[7] الجماهر في معرفة الجواهر، ص40.

[8] سر الفصاحة، ص23.

للصوت وبين سرعة الضوء وسرعة الصوت والفرق بينهما . الا ان حديثه هذا جاء بأسلوب يغلب عليه الطابع الفلسفي إذ قال : (الأصوات تدرك بحاسة السمع في محالها، ولا تحتاج إلى انتقال محالها وانتقالها . وكونها اعراضا منع من انتقالها)[1] .

يقصد بذلك ان الصوت عرض كالاعراض الأخرى ولكنه مع ذلك ليس بجسم بدليل قوله : (والصوت معقول، لأنه يدرك، ولا خلاف بين العقلاء في وجود ما يدرك، وهو عرض ليس بجسم، ولا صفة لجسم، والدليل على انه ليس بجسم انه مدرك بحاسة السمع) [2] .

وقد اطال ابن سنان في اثبات ان الصوت عرض وليس بجسم على الرغم من ان ذلك ليس من شأن البلاغة وانما هو محاولة لخلط مباحث البلاغة ومباحث علم الفلسفة . ومع ذلك لم يحد الصوت تحديدا يمكن لنا ان نقف من خلاله على أرض ننطلق منها لبيان المفهوم العلمي للصوت بوصفه أثراً سمعيا وطبيعيا سواء كان عنده ام عند من سبقه كالجاحظ الذي كانت له نظرات يسيرة في الجانب الطبيعي تتعلق بسرعة الضوء وتعريفه [3] .

على الرغم من ان الفارابي ذكر سبب حدوث الصوت وهو القرع الذي هو مماسة جسم صلب لآخر إلا أنه لم يعرف الصوت [4] غير انه قد بين بصورة دقيقة الفرق بين الصوت والحرف إذ ذهب إلى ان الصوت (جنس مادة اللفظ لا جنس اللفظ)[5] .

وقد بين عبد اللطيف البغدادي ان الأثر الحادث في الهواء عند ادراكه يسمى صوتاً [6].

ويظهر لنا ان اوضح تعريف للصوت نجده عند ابن سينا إذ كان ذا نظرة ثاقبة في رصد الأثر السمعي للأصوات فأكد ان الصوت هو (تموج الهواء ودفعه بسرعة وبقوة من اي سبب كان)[7] .

فالصوت – إذن – هو الأثر السمعي الناتج من تموج الهواء بسرعة . وهذه نظرية عملية تدل على فهم عميق لأثر الذبذبات ووصول الأثر السمعي للصوت الذي يستند إلى عمليتين مهمتين هما : القرع والقلع ومنهما تحدث الاهتزازات وتنتقل في الهواء إلى جميع الاتجاهات [8].

---

[1] سر الفصاحة، ص7.

[2] المصدر نفسه ، ص7 .

[3] الحيوان، ج4، ص408 .

[4] الموسيقي الكبير، ص212.

[5] شرح العبارة، ص29 . البحث الصوتي والدلالي عند الفيلسوف الفارابي، ص27.

[6] مقالتان في الحواس، ص84.

[7] اسباب حدوث الحروف، ص65.

[8] اسباب حدوث الحروف، ص59 . علم الأصوات السمعي والموجي عند علماء المسلمين القدماء، ص102.

وهو بذلك يفرق بين طبيعة الصوت ونطقه، لأنه ينسب الصوت اللغوي إلى العضلة التي عند الحنجرة، وبدفع الهواء يخرج الصوت من الحنجرة [1] .

كما انه ميز بين الحرف بوصفه هيأة شكلية للصوت وبين الصوت بوصفه اثرا سمعيا بقوله : (والحرف هيئة للصوت عارضة له يتميز بها عن صوت آخر مثله في الحدة والثقل تمييزا في المسموع) [2].

وإلى ذلك – أيضاً – ذهب ابن رشد عندما ميز بين الصوت والحرف تمييزا فلسفيا ينتابه الكثير من الغموض إذ يرى : (ان الصوت عنصر للحرف كما ان النحاس عنصر للصنم، الا ان الصوت ليس عنصرا محضا للحروف، ويشبه ان يكون الفرق بين الصوت في كونه عنصرا للصنم ان الصوت لا يقرب من صورة ما قبل القارع له، لذلك كان النحاس عنصرا محضا ولم يكن الصوت للحروف عنصرا محضا، ولكن يشبه العنصر من جهة قبوله للحروف، ويشبه الجنس من جهة انه لا ينفك عن انواع الأصوات)[3] .

ونوجز عبارته بأن الحرف هو هيأة للصوت لا جنس للصوت كما ان النحاس هو جوهر المعدن لا هيأة، ومع ذلك فلم نجد تعريفا دقيقا للصوت عنده وانما إشارة إلى حدوث الصوت وهو مقارعة الأجسام بعضها ببعض [4].

وقد عرف ابن باجة الصوت بأنه الأثر الحادث في الهواء عن تصادم جسمين متقاومين [5]

ان العلماء العرب قد اعطوا تعريفا للصوت وحاولوا التمييز بين الحرف بوصفه رمزا كتابيا او كما يسمونه حد الصوت واختلافهم في تحديد مصطلح الحرف والتمييز بينه وبين الصوت لذلك أنهم قد اتفقوا على ان الحرف يأتي بمعنى الصوت غير أن مصطلح الحرف مساوٍ لرمز الصوت ورسمه الكتابي فالرمز اصطلاح لا اكثر ولا اقل والعلاقة بين الرمز ومدلوله علاقة اعتباطية لا منطقية فالحروف وحدات من نظام وهي وحدات ذهنية وليست اعمال نطقية فالفرق واضح بين العمل الحركي الذي للصوت وبين الادراك الذهني الذي هو للحرف فالصوت يمثل الجانب النطقي والحرف هو الرمز الكتابي للصوت [6].

---

[1] القانون في الطب، ص1145. والدرس الصوتي عند ابن سينا، ص65.

[2] اسباب حدوث الحروف، ص60.

[3] تفسير ما بعد الطبيعة، ص 953.

[4] رسائل ابن رشد : النفس، ص30.

[5] كتاب النفس، ص111.

[6] مناهج البحث في اللغة، ص100.

لذلك العلماء العرب لم يستطيعوا على الرغم من المحاولات الجادة التي قام بها الفارابي وابن سينا وابن جني ان يميزوا بين الصوت والحرف فلم يمتلكوا الدقة في التمييز بين الرمز ومدلوله فخلطوا بين الصورة الرمزية والصورة النطقية للصوت .

ثانيا : الجرس :

لم يعرف اللغويون العرب مفهوم الجرس تعريفا دقيقا من الناحية الطبيعية، وانما أشاروا إلى الجرس من حيث هو صفة سمعية لبعض الأصوات . إذ نجد الخليل بن احمد يصف (العين والقاف) بأنهما اضخم جرساً من باقي الأصوات الأخرى إذ قال في ذلك : (. . . ولكن العين والقاف لا تدخلان في بناء الاحسنتاه، لأنهما اطلق الحروف واضخمهما جرساً)[1] .

وقد تابعه ابن السراج من خلال حديثه عن تأليف الكلام فوصف بعض الأصوات بأنها ذات جرس قوي كالتاء وبعضها ذات جرس لين كالدال فقال : (فحق الحرفين إذ تقاربت مخارجهما الا تأتلف فمتى تالف منهما شيء بدأوا بالأقوى من الحرفين، وأخروا الألين، كما فعلوا بالورل والوتد، فبدأوا بالتاء على الدال، وبالراء قبل اللام، فأن اردت ان تعلم قوة التاء على الدال والراء على اللام فذقِ التاء والدال فأنك تجد التاء ينقطع بجرس قوي، وتجد الدال ينقطع بجرس لين وكذلك الراء ينقطع بجرس أقوى، واللام تنقطع بغنة للينها)[2] .

فالجرس الصوتي – إذن –هو النغمة الصوتية التي يحملها الصوت عند النطق به قياسا إلى الأصوات الأخرى، مما يكسبه ميزة عليها، والأصوات من حيث الجرس الصوتي تقسم إلى قسمين :

1– جرس قوي مثل (التاء) .

2– جرس لين مثل (الدال) .

ويضاف إليهما نوع ثالث هو ما سماه الجرس بغنة .

وهذا الجرس المنبعث عن الصوت نابع عن فكرة التمازج بين الأصوات في تشكيل الكلمة، بعدا عن تنافرها، وكذلك لأن القدماء نظروا إلى الألفاظ التي تتميز عن غيرها بصوتها ونغمتها، وقد قادهم هذا البحث إلى النظر في جرس كل صوت من الأصوات التي تتألف منها الألفاظ، فأحسوا ان هناك ثقلا في نطق الأصوات المتقاربة في المخرج، فحاولوا الابتعاد عن ذلك قدر الإمكان، فان توالت أصوات متقاربة بالمخارج نظروا إلى جرس الأصوات وبدأوا به من الاقوى إلى الألين، وهذا الجرس الصوتي للأصوات أتخذه البلاغيون فيما بعد مصطلحا بلاغيا ونقديا .[3]

---

[1] العين، ج1، ص53.

[2] الاشتقاق، ص46.

[3] جرس الألفاظ، ص 15 .

وكان لابن سينا مفهوم للجرس مقارب لمفهوم من سبقه من العلماء وذلك عندما تحدث عن الأصوات الفرعية التي تشبه صوت الجيم فذكر ثلاثة أصوات لا توجد في العربية والفارسية بل توجد في لغات اخرى فيقرب نطق الجيم من الزاي والسين والصاد . والسبب الذي من أجله يقرب نطقها من الجيم العربية لما في (الجيم من استعمال رطوبة تفعل جرسها، وهي الرطوبة المعدة وراء الحبس ويكون عليها اعتماد الهواء عند الاطلاق)[1] .

فالجرس هو صفة من صفات الصوت تعطي للصوت مزيّة على الأصوات الأخرى .

اما علماء التجويد فقد عدّوا الجرس صفة لبعض الأصوات إذ اطلق مكي بن ابي طالب القيسي (ت437هـ) على الهمزة صفة الصوت (الجرسي) إذ قال:(الحرف الجرسي وهو الهمزة سميت بذلك لأن الصوت يعلو بها عند النطق بها . . . والجرس في اللغة الصوت . فكأنه الحرف الصوتي، أي المصوت به عند النطق به، وكل الحروف يصوت بها عند النطق بها، لكن الهمزة لها مزيّة زائدة في ذلك)[2].

وإلى ذلك ذهب القرطبي (ت462 هـ) وغيره من علماء التجويد الذين اتخذوا من الجرس صفة من صفات الأصوات التي تميز بعضها عن بعض [3] .

وقد خلط بعض المحدثين بين الصوت والجرس، إذ عرفوا بالجرس أنه (أي اثر سمعي غير ذي ذبذبة مستمرة مطردة كالنقرة على الخشب او الطبلة كالاصطدام وضجيج المرور وما يسمع نتيجة سقوط جسم على آخر أو احتكاك جسم بآخر)[4] .

والذي أراه انه تعريف يشمل الصوت لأن الصوت هو الأثر السمعي، وما النقر على الخشب أو الطبلة أو الاصطدام إلا مصادر للصوت .

اما في حالة كون الذبذبة غير مستمرة فأنه يمثل أصوات ضوضائية لعدم توازن ذبذباتها فتنفر الأذن من سماعها .

اما الوصف الدقيق للجرس فهو صفة من صفات الصوت وليس الصوت، أو بمعنى أدق : قوة سماع التوافقيات أو الترددات الكاملة للجسم كله، فإذا قوّينا التردد الموجود في الصوت عن طريق الرنين اعتدل جرسه، فإذا قوينا التوافقيات العليا (التردد) حصلنا على صوت رائق الجرس

---

[1] اسباب حدوث الحروف، ص128.

[2] الرعاية لتجويد القراءة، ص108.

[3] الموضح في التجويد، ص158 . والدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص325.

[4] مناهج البحث في اللغة، ص67. جرس الألفاظ، ص147.

. اما إذا قوينا التردد الاساسي أو التوافقيات السفلى حصلنا على صوت عميق الجرس ويعرف الجهاز المصمم لتقوية ترددات معينة لصوت ما أو إضعافها في علم الأصوات بالمصفاة [1].

فالجرس – إذن – صفة من صفات الصوت أو درجة من درجاته لأن الأصوات تتباين من حيث التردد (وهو عدد الدورات في وحدة زمنية معينة)، ومن حيث السعة (وهي التي تحدد في الاساس شدة الصوت)، ومن حيث الجرس (الذي يعود إلى التوافقيات وقوة إسماعها).

فالوتر المهتز على سبيل المثال . لا تصدر عنه ذبذبة اساسية فحسب، وهي التردد الخاص بالوتر كله، بل سلسلة كاملة من التوافقيات ترددتها مضاعفات كاملة لتردد الوتر كله [2].

وعلى الرغم من ان العلماء العرب – لغويين وبلاغيين – نظروا إلى الجرس نظرة ذوقية من خلال حديثهم عن الأصوات وائتلافها واختلافها في بنية الكلمة . فإن نظرتهم كانت دقيقة عندما وصفوا بعض الأصوات بأنها تحمل في طياتها جرسا سواء كان قويا او لينا، وهم بذلك قد فرقوا بين الصوت وجرسه .

وهو تفريق مبني في الأساس على الحالة التي يكون من خلالها للصوت عدة تنوعات تجعل منه ذا ميزة تميزه عن الأصوات الأخرى، وعلى الرغم من آن حديث العلماء العرب كان ينصب على جرس الأصوات عند نطقها وهو جانب من جوانب مصدر الصوت فإن ذلك لا يمنع من آن للجرس عندهم مفهوما محددا ينظر إلى الأصوات من خلال ما تحمله من صفات سمعية .

---

[1] الصوتيات، ص 40-41.

[2] المصدر نفسه، ص40.

ثالثا : الصدى :

لم نجد مفهوما " للصدى " عند علماء العربية، وانما كان الاساس النظري الذي انطلق منه العلماء العرب يعتمد مهمة الوصف النطقي للأصوات أو بمعنى آخر الاعتماد على قدرة المتكلم الفعلية على النطق، ولا يوجد تفسير طبيعي لمفهوم الصدى يمكن ان نستند اليه لمعرفة مفهوم العرب للصدى ما خلا محاولات ابن سينا وابن رشد إذ نجد فيها بيانا لمفهوم الصدى .

ولعل مرد ذلك ان مثل هذه الظاهرة عصية على الادراك اولاً، وعلى التفسير ثانياً . ومع ذلك نجد ابن جني يشير إلى مفهوم الصدى من خلال حديثه عن العملية النطقية للأصوات فقال : (الا ترى انك تبتدئ الصوت من اقصى حلقك ثم تبلع به اي المقاطع شئت، فتجد له جرسا ما، فأن انتقلت عنه راجعا منه أو متجاوزا له، ثم قطعت احسست عند ذلك صدى غير الصدى الأول، وذلك نحو الكاف، فأنك إذا قطّعت بها سمعت هنا صدى ما)[1].

والنص المتقدم يظهر الصدى بوصفه مزية صوتية لكل صوت تفرقه عن آخر فهو قائم على اساس نطقي وليس على اساس طبيعي، أي ان هناك صوتا يكون له الصدى الذي يصدره من الصدر ومنه ينتقل إلى اعضاء النطق الأخرى التي تتوزع عليها أصوات اللغة .

وقدم ابن سينا تعريفا مهما للصدى بين فيه الاساس السمعي فكان استجابة فعلية لمحاولات وصفية لم يقدر لها ان تأخذ مداها الواسع في الدرس الصوتي عند العرب كمحاولة ابن جني .

فقال ابن سينا في الصدى : (انه يحدث من تموج يوجبه هذا التموج إذا قاومه شيء من الاشياء كجبل او جدار حتى إذا وقفه لزم ان ينضغط أيضاً بين هذا التموج المتوجه إلى قرع الحائط او الجبل وبين ما يقرعه هواء آخر يردّ ذلك ويصرفه إلى جهة خلت منه بانضغاط، فيكون شكله الشكل المحول على هيأة) [2].

فالصدى عنده – إذن – هو الارتداد الحاصل للهواء الناقل للصوت نتيجة اصطدامه بجسم ما، فيرجع هذا الهواء على شكل صدى للصوت الأول فيحمل بذلك صفة الصوت الأول وهيأته .

وقد ربط ابن سينا بين ارسال الصوت واستقباله عن طريق الصدى، ويعطينا – أيضاً – وسيلة إدراك الصدى من جانب سمعي يرتكز على اوليات الادراك الحسي، وهو شبيه بالادراك الرياضي الذي يلجأ إلى التعميم القائم على مدركات حسية متوازنة، تعتمد طرفين، تموجا اول

---

[1] سر الصناعة، ج1، ص6.

[2] الشفاء : الطبيعيات : علم النفس، ص88.

وتموجا ثانيا، ويخلص إلى ان التموج الثاني هو الذي يحدث الصدى لاعتماده رجع التموج الأول الناقل للصوت الذي لا يمكنه ان يولد صوتا من تموج ثانٍ لأنه ليس له قدرة اسماعية شديدة متحصلة من القرع ولو توافرت له لأضرت بالسمع [1].

وهو بذلك يشير بدقة لما يسمى حديثا (عتبة الألم) وهي منحني يدل على الطاقة القصوى للذبذبات الصوتية التي تتحملها الأذن، التي تصبح إذا تعدته مؤذية ومؤلمة يقابلها ما يسمى (عتبة السمع) وهي منحني يدل على الطاقة الدنيا للذبذبات الصوتية التي يمكن لأذن الإنسان ان تدركها [2].

ويرى ابن سينا ان الأصوات تحمل في طياتها صداها، ولكل صوت صدى وان كان لا يسمع بالاعتماد على تناقض الضوء فلكل ضوء عاكسه [3] .

والسبب الذي من اجله لا نسمع الصدى في البيوت والمنازل أنَّ (المسافة إذا كانت قريبة بين المصوت وبين عاكس الصوت لم يسمعا في زمانين متباينين، بل يسمعان معا كما يسمع صوت القرع معه، وان كان بعده بالحقيقة) [4].

غير انه إذا كان عاكس الصوت بعيدا (فرق الزمان بين الصوتين تفريقا محسوسا وان كان صلبا املس فهو لتواتر الانعكاس منه بسبب قوة النبوة يبقى زماناً كثيراً كما في الحمامات) [5] .

ويضرب ابن سينا مثلا طريفا لبعد الزمانين واثرهما في احداث الصدى، وهو صوت المغني، ففي الصحراء يكون ضعيفا، وتحت السقوف يكون قويا لتضاعفه بالصدى المحسوس معه في زمان واحد [6].

وقد استلهم ابن رشد فكرة ابن سينا عن الصدى، ورأى انه ما هو الا انعكاس للصوت لأنه لا يوجد قرع الا ويحدث فيه انعكاس ما، ولولا ذلك لم يسمع الإنسان صوت نفسه كما ان الرؤية لا تحدث الا عن انعكاس الشعاع ولولا ذلك لم نبصر في الظل [7].

وذهب ابن رشد إلى ان الصدى يحدث في الاشكال المجوفة من الأجسام وذلك بعد ان فرق بين الصوت الذي يحدث من الأجسام الصلدة وانه يكون قويا، وبين الصوت الذي يكون من

---

[1] الشفاء : الطبيعيات : علم النفس، ص88.

[2] علم الأصوات العام، ص36.

[3] الشفاء : الطبيعيات : علم النفس، ص88.

[4] الشفاء : الطبيعيات : علم النفس، ص88.

[5] المصدر نفسه، ص88.

[6] المصدر نفسه، ص89.

[7] رسائل ابن رشد : النفس، ص32.

الأجسام المجوفة فيحدث فيها صوت ولكنه اقل حدة من الصوت الصادر من الأجسام الصلدة فقال في ذلك : (واما ذوات الاشكال المجوفة فالامر في ذلك بين وذلك ان الهواء يندفع من جوانبها مرارا كثيرة فيحدث هناك صوت طول لبِثْ . ومن هذا الجنس حدوث الصداء وذلك انه ليس شيئا اكثر من انعكاس الهواء عن الجسم الذي يلقاه حافظا لذلك الشكل) [1].

والذي يبدو لي أن اقوال العلماء العرب في الصدى على تفاوتها بساطةً وعمقاً تنحو منحى عقلياً في العرض، مع اختلاط النظرة الذوقية في بيان مفهوم الصدى، ولا سيما في تذوق الأصوات عند نطقها لمعرفة اختلاف اجراسها بعضها عن بعض .

ويمكن للدارس ان يضع يده على مفهوم الصدى من الناحية الطبيعية عند اقوال اولئك العلماء الذين نظروا إلى الصدى بوصفه ظاهرة طبيعية، وما هو الا رد فعل للصوت، فلكل صوت صداه .

وعلى الرغم من ان النظرة الأولى نظرة ذوقية، والنظرة الثانية نظرة عقلية فانه لا فرق بين النظرتين من حيث الجوهر، فأحداهما مكملة للأخرى .

---

[1] رسائل ابن رشد : النفس ، ص32.

ثانيا: مصدر الصوت :

هو اي شيء يمكن له ان يسبب اضطرابا او اهتزازا ملائما في ضغط الهواء، مثل الشوكة الرنانة او الوتر المشدود، واعضاء النطق ولا سيما الحبال الصوتية، وكلها تتحرك في اتجاهات مختلفة فتسبب تنوعا في ضغط الهواء وتحدث الأصوات .

وقد يكون مصدر الصوت حركة او ذبذبة بطيئة يمكن رؤيتها بالعين المجردة، وقد تكون سريعة لا يمكن رؤيتها [1] .

لقد كان لمصدر الصوت نصيب في فكر العلماء العرب إذ تناول علماء العربية مصدر الصوت فذهبوا إلى ان الأصوات تصدر عن تموج الهواء فيكون التموج هو المصدر الاساس لحدوث الصوت، والتموج قائم على اساسين مهمين هما القرع و القلع .

فذهب اخوان الصفا إلى ان القرع يحدث في الهواء من تصادم الاجرام، فإذا صدم جسم جسما آخر انسل الهواء من بينهما وتدافع وتموج إلى جميع الجهات واحدث من حركته شكلا كرويا وكلما اتسع ذلك الشكل ضعفت حركته وتموجه إلى ان يسكن ويضمحل [2] .

وإلى ذلك ذهب عبد اللطيف البغدادي – أيضاً – في ان الصوت مصدره تصادم الأجسام بقوة، ولا يزال الهواء متأثرا بذلك الأثر حتى يصل إلى الصماخ، وهذا الأثر الحادث في الهواء عند ادراكه يسمى صوتا[3].

ويقول الفخر الرازي في سبب حدوث الصوت : (يقال ان النظّام المتكلم كان يزعم ان الصوت جسم وقيل سببه تموج في الهواء، فأمساك عنيف، وهو القرع، أو تفريق عنيف وهو القلع)[4].

وقد بلغت فكرة إصدار الصوت نضجها عند الفارابي فقد تحدث عن مصدر الصوت وعزاه إلى تصادم الأجسام بعضها مع بعض ونتيجة لتصادم جسم مع اخر يحصل نوع من المقاومة التي تسبب حركة في الهواء تحدث صوتا ينقله الهواء من هذين الجسمين المتصادمين إلى جهاز السمع، والاساس العلمي الذي تقوم عليه عملية إصدار الصوت عنده هي المقاومة، فإذا حصلت المقاومة بين الجسمين المتصادمين حدث الصوت، كما هو الحال في الأجسام الصلبة، اما إذا لم تحصل مثل هذه المقاومة بين الجسمين فلا يحدث صوت كما هو الحال في الأجسام الرطبة،

---

[1] أصوات اللغة، ص92.

[2] الرسائل، ج1، ص188.

[3] مقالتان في الحواس، ص84.

[4] التفسير الكبير، ج1، ص29.

لأن المقاومة ستحدث حركة في الهواء، وهذه الحركة ستؤدي حتما إلى تموج الهواء الذي يعد سببا رئيسا في حدوث الصوت [1].

ويفهم من حديث الفارابي عن عملية إصدار الصوت أن القرع عند تصادم الأجسام هو وحده الذي يولد صوتا[2]. كما انه انعطف انعطافة مهمة في حديثه عن مصدر الصوت . وهي ان إصدار الصوت لم يكن في الهواء فحسب وانما في الماء أيضاً متى ما يقرع عليهما . فقال في ذلك : (. . . وكذلك الماء – أيضاً – فإنه متى قاوم القارع وجد له صوتا ومتى انحرف ولم يقاوم لم يكن له صوت أصلاً)[3] .

وقد تبلورت فكرة إصدار الصوت بشكلها النهائي عند ابن سينا الذي تحدث بشكل موسع ودقيق عن السبب الطبيعي لحدوث الصوت وهو التموج الحاصل في الهواء ودفعه بقوة وسرعة عن اي سبب كان [4]وتموج الهواء (وهي عملية حركة الهواء) تحدث الصوت وتنقله، وسبب التموج هو القرع والقلع . فإذا كان الفارابي يرى ان سبب تموج الهواء هو القرع وحده [5] .
فأن ابن سينا يرى خلاف ذلك ويذهب إلى ان القرع مع القلع يحدثان الصوت، ومفهوم القرع عنده لا يبتعد عن مفهوم اخوان الصفا والفارابي فهو عنده (تقريب جرم إلى جرم مقاوم له لمزاحمته تقريب مماسة عنيفة لسرعة حركة التقريب وقوتها)[6].

في حين كان مفهوم القرع عند الفارابي هو : (مماسة الجسم الصلب جسما اخر صلبا مزاحما له عن حركة الأجسام التي لدينا)[7].

اما مفهوم القلع عند ابن سينا فهو (تبعيد جرم عن جرم مماس له منطبق احدهما على الاخر تبعيدا ينقلع عن مماسته انقلاعا عنيفا لسرعة حركة التبعيد) [8].

فالقرع والقلع – احدهما او كلاهما – سيؤديان إلى ضغط الهواء، فقرع الجسمين يحدث اضطرابا في الهواء وتموجه والقلع يسمح للهواء بالاندفاع صوب المكان الذي احدثه الجسم

---

[1] الموسيقى الكبير، ص 212–213.
[2] المصدر نفسه، ص213 .
[3] الموسيقى الكبير، ص214.
[4] اسباب حدوث الحروف، ص59–60.
[5] دراسات في اللغة والنحو، ص80.
[6] اسباب حدوث الحروف، ص57.
[7] الموسيقى الكبير، ص213.
[8] اسباب حدوث الحروف، ص57.

المقلوع [1]. ومن ثم يكون تموج الهواء الذي هو السبب الاساس في حدوث عملية الصوت، إذ إن التموج نفسه يحدث الصوت . وهو يستند إلى القرع والقلع وليس إلى واحد منهما كما ذهب إلى ذلك الفارابي .

وقد رد ابن سينا على من يذهب إلى ان القرع وحده سبب حدوث الصوت بقوله : (وان ذهب ذاهب إلى ان القلع يحدث قرعا في الهواء ورآه هو السبب للصوت، فليس ضعف هذا القول مما يحتاج إلى ان يتكلف لأبانته) [2].

فالقرع عند ابن سينا ليس سببا كافيا لحدوث الصوت ولكنه سبب اكثري، فالصوت قد يحدث مع القلع – أيضاً – فمثلما ان القرع تقريب جسم من جسم اخر فالقلع تبعيدهما [3].

فهما – إذن – عمليتان متناقضتان، وهذا التناقض يستوجب وجود اثر سمعي وهو حركة قوية في الهواء تحدث تموجا ثم ذلك التموج يتأدى إلى الهواء الراكد في الصماخ فيموجه فتحس به العصبة المفروشة في سطحه، فالعلة القريبة – كما يقول ابن سينا – هو التموج، وللتموج علتان غير متلازمتين، قرع وقلع[4].

واذا كان الفارابي قد أشار إلى امكان إصدار الصوت من الماء – أيضاً – فان ابن سينا قد أشار إلى ذلك، وهو ان التموج الحاصل من الهواء والماء قد يحدث صوتا [5]. إلا أنه يذهب إلى ان مصدر الصوت في الهواء اكثر منه في الماء. وأشار إلى ان حدوثه يكون في الأجسام الصلبة كالنحاس والخشب، اما الصوف والاسفنج وغيرهما من الأجسام غير الصلبة فلا يمكنها ان تحدث صوتا، لأن القرع فيهما لين جيدا، ويشترط بالقرع ان تكون للجسم مقاومة، والحركة فيها عنف في التصادم [6].

بقي ان نشير إلى ان ابن سينا قد بين ماهية الصوت وماهية القرع والقلع وانهما ليسا صوتا وانما هما سببان لحدوث الصوت بسبب ما يحدثانه من حركة حال قرع الأجسام او قلعها . (فالصوت إذن عارض يعرض عن الحركة يتبعها ويكون معها) [7] ويصل إلى الأذن عن طريق موجات الهواء .

---

[1] اسباب حدوث الحروف، ص58.

[2] اسباب حدوث الحروف، ص58.

[3] المصدر نفسه، ص56.

[4] المصدر نفسه، ص58 . الشفاء : الطبيعيات : علم النفس، 83.

[5] الشفاء : الطبيعيا : علم النفس، ص84.

[6] الدرس الصوتي عند ابن سينا، ص74. (رسالة ماجستير) .

[7] الشفاء : الطبيعيات : علم النفس، ص83.

ويبدو لي أن ابن سينا كان اكثر دقة من سابقيه في بيان عملية حدوث الصوت . ولا شك في انه قد افاد من آراء الفارابي واخوان الصفا إلا أنه قد استلهمها خير استلهام . كما استلهمها منه ابن رشد إذ اكد ان الصوت يحدث من (مقارعة الأجسام بعضها بعضا ولكن ليس عن اي جسم اتفق يحدث الصوت ولا بأي نوع اتفق، بل تحتاج في ان يكون القارع والمقروع كلاهما صلدان، وان تكون حركة القارع إلى المقروع أسرع من تذبذب الهواء، فإذا ادنينا جسما في غاية الصلابة من جسم اخر في غاية الصلابة أيضاً برفق وبمهل لم يحدث عن ذلك صوت له قدر وكذلك أيضاً ان لم تكن الأجسام القارعة والمقروعة صلدة)[1].

يظهر من كلامه ان السبب الرئيس للصوت هو القرع . اي قرع الأجسام الصلبة بعضها مع بعض، والعلة التي من اجلها يكون الصوت صادرا من الأجسام الصلدة، لأن سطوح هذه الأجسام تتلاقى فيطفو الهواء عنها بشدة فيحدث الصوت[2].

وقد عرض ابن سنان الخفاجي آراء العلماء في السبب المحدث للصوت منهم ابو علي الجبائي (ت هـ) والشريف المرتضى (ت 446 هـ) اللذان ذهبا إلى ان الصوت يحتاج إلى الحركة لأنهما كالسبب فيه، فهو لا يحدث الا متولدا عن الاعتماد على وجه المصاكة والاعتماد يولد الحركة، فلهذا جرى مجرى السبب[3].

ويفهم من كلام العلماء انه يتولد عن طريق القرع او اصطدام جسمين، وقد اكد ذلك ابن سنان بقوله : (لا تقع الأصوات في فعل العباد الا متولدة ويد لك على ذلك أيضاً تعذر ايجادها عليهم الا بتوسط الاعتماد والمصاكة)[4].

وقد حاول اثبات ذلك بحجج فلسفية محاطة بالغموض المنطقي الضارب اطنابه على مجمل كلامه.

وقد ذهب ابن باجة إلى ان مصدر الصوت هو الأثر الحادث من تصادم جسمين متقاومين . وان كل الأجسام المحدثة للصوت لا تعدو ان تكون اما صلبة واما رطبة، فان كانت صلبة فعند قرعها بقارع يحدث عنها صوت، اما إذا كانت رطبة . فأنه لا يحدث عنها صوت الا إذا كانت حركة القارع إلى المقروع أسرع من انحراف ذلك الرطب فتقاومه . فيتحرك الذي فيه

---

[1] رسائل ابن رشد : كتاب النفس، ص30.

[2] المصدر نفسه، ص31.

[3] سر الفصاحة، ص12.

[4] المصدر نفسه، ص14.

تلك الحركة وينبو عنها، وتندفع منه إلى جميع الجهات التي تلي المكان الذي التقى فيه القارع والمقروع . والهواء المندفع عن القارع يحمل اثرا خاصا به [1].

واذا كان الفارابي وابن سينا قد ذهبا إلى ان الأجسام الرطبة لا يحدث فيها الصوت، لأن القرع فيها لين جدا، فضلاً علىفقدان المقاومة، فأن ابن باجة يرى ان الأجسام الرطبة يمكن لها ان تحدث صوتا بشرط ان تكون حركة القارع إلى المقروع أسرع من انحراف ذلك الرطب، وإذا توافر هذا الشرط حصلت المقاومة . فيتحرك الذي فيه تلك الحركة وينبو عنها . والهواء المندفع عن القارع يحمل اثرا خاصا به .

نفهم من آراء العلماء العرب في مصدر الصوت ان الصوت ينشأ عن اهتزاز المادة عندما تتصادم الأجسام بعضها ببعض او تنفصل عن بعضها، فينتج عن اهتزاز الهواء تموج في الهواء او ما يسمى الأثر، والصوت هو الأثر الناتج عن تموج الهواء عند قرع جسم بآخر او قلع احدهما عن الاخر، فالاصطدام بين جسمين يؤدي إلى حدوث الصوت، وهذا ما اجمله ابن سينا بأن نشوء الصوت يكون من احدى حالتين، اما قرع جرمين او قلع جرمين، بحيث يكون القرع شديدا تتبعه مماسة عنيفة لسرعة حركة التقريب، واما من القلع الذي هو تفريق الأجسام بعضها عن بعض تفريقا يؤدي إلى اقلاع عنيف لسرعة حركة التبعيد[2] .

وهذا ادق وصف يتطابق مع المفهوم الحديث لحدوث الصوت، فهو اما ان ينشأ بالتقاء جسمين التقاءً على جهة الاصطدام كما نسمع في الضرب في اليد على المكتب او طرق قطعة من الحديد بمطرقة، او ينشأ بالتقاء الجسمين التقاءً احتكاكيا كما نسمع من اثر احتكاك اقدامنا بالارض، او ينشأ من تفريق الأجسام بعضها عن بعض كتمزيق قطعة من القماش او الورق [3].

وكان ابن سينا قد أشار إلى ان احتكاك كل جسم احتكاكا كالقشر بجسم صلب يصدر صوتا شبيها بالخاء[4].

---

[1] كتاب النفس، ص111.

[2] اسباب حدوث الحروف، ص56-57.

[3] دروس في الطبيعة، ص5. والأصوات اللغوية، ص7.

[4] اسباب حدوث الحروف، ص93 . وجهود ابن سينا في اللغة والأصوات، ص118، (بحث) .

ثالثا: عناصر الصوت :

1- درجة الصوت :

هي الخصيصة التي يستطيع بها السامع التفريق بين أصوات مختلفة في ذبذبتها من حيث السرعة والعدد، فدرجة الصوت تتوقف على سرعة الذبذبات وعددها، فإذا بلغت حدا معينا سمي الصوت مرتفع الدرجة او دقيقا، وإذا قلت سمي الصوت منخفض الدرجة او سميكا، وقد يسمى النوع الأول بالصوت الحاد والثاني بالصوت الغليظ [1].

كان للعلماء العرب مفهوم لدرجة الصوت يقترب من مفهوم المحدثين، إذ قسم اخوان الصفا الصوت إلى قسمين : أصوات حادة وأصوات غليظة، وهو يقابل ما اصطلح عليه الفارابي وابن سينا بمفهومي الحدة والثقل . كما سيجيء في محله .

فذهب اخوان الصفا إلى (ان الأصوات الحادة والغليظة متضادتان، ولكن إذا كانت على نسبة تأليفية ائتلفت وامتزجت واتحدت وصارت لحنا موزونا واسعد السامع وفرحت بها الأرواح وسرت بها النفوس، وإذا كانت على غير النسبة تنافرت وتباينت ولم تألف سماعها ولم تستلذها المسامع، بل تنفر عنها، وتشمئز منها النفوس) [2].

وعلى الرغم من ان أخوان الصفا لم يميزوا بين درجة الصوت وشدته واختلاط كلامهم بتوافق النغمات المختلفة والأسماء والتناسب بين حدوث المقاطع المنبورة فان نظرتهم إلى الأصوات من حيث كونها غليظة وحادة، انما هي من صميم علم الأصوات السمعي وخصوصا قياس درجة الصوت، فضلاً علىان قولهم بأنه إذا التقت الأصوات بنسبة تأليفية امتزجت واتحدت وصارت لحنا موزونا اسعد السامع، وإذا كانت بغير نسبة تنافرت فلم يستلذها السامع، انما هو إشارة إلى ما يسمى (الصفات الاكوستيكية للأصوات) التي تقسم الأصوات إلى قسمين : أصوات موسيقية وأصوات ضوضائية بناء على انتظام الذبذبات وعدم انتظامها، فمتى انتظمت ذبذبات هواء الصوت كان الصوت موسيقيا، وان لم تنتظم كان الصوت ضوضائيا [3].

وتحدث الفارابي عن درجة الصوت من خلال حديثه عن الحدة والثقل، فأخذ معيارا يستند إلى اجتماع الهواء، فالشدة في اجتماعه تعطي للصوت شدة في درجته في حين قلة اجتماع الهواء لا تعطيه مثل تلك الشدة، اي ان درجة الصوت تستند إلى سرعة حركة الهواء وشدة

---

[1] دراسة الصوت اللغوي، ص82.

[2] الرسائل، ج1، ص195.

[3] الصوتيات، ص51-52.

اندفاعه، وشدة تزاحم القارع والمقروع، فمتى ما كان القارع اشد كان الصوت احد، وقوة الجسم المقروع وملامسته تؤثر في درجة الصوت – أيضاً – فكلما كا الجسم المصدوم اكثر صلابة وملامسة كان الصوت احد فقال في ذلك : (. . . ومتى نبا الهواء "اندفع بشدة" من بين القارع والمقروع، متجمعا متصل الأجزاء احدث حينئذ صوتا، وكلما كان الهواء النابي من بينهما اشد اجتماعا فحدوث الصوت فيه امكن واجود . . . ومتى كان المقروع خشنا او متخلخلا كان ذلك فيه اقل امكانا)[1].

ودرجة الصوت عند الفارابي او حدته او ثقله بمفهومه اسبابها واحدة سواء كانت في نغم الإنسان او نغم المزامير، وهذا ما يفصح عنه قوله : (واسباب الحدة والثقل في النغم الإنسانية هي بأعيانها اسباب الحدة والثقل في النغم المسموعة من المزامير فأن الحلوق كأنها مزامير طبيعية والمزامير كأنها حلوق صناعية) [2].

وتحدث ابن سينا عن درجة الصوت من خلال حديثه عن الحدة والثقل – أيضاً – فبين ان الحدة هي قوة ملامسة سطح وتراص أجزاء من موج الهواء الناقل للصوت، اما الثقل فيكون عكس ذلك [3]. اي انه كلما زادت صلابة الجسم المقروع زادت حدة الصوت اما اسباب الحدة والثقل فهي الاسباب نفسها التي ذكرها الفارابي [4].

وذهب ابن رشد إلى ما ذهب اليه الفارابي وابن سينا من ان قوة اجتماع الهواء هي التي تحدد درجة الصوت إذ قال : (فأما العلة التي من اجلها يكون الصوت عن الأجسام الصلدة، فلأنها إذا تلاقت بسطوحها لم يطأ من بعضها عن بعض فيطفوا الهواء عنها بشدة ولذلك ما كان منها اعرض كان صوته اعظم لأنه يلقى من الهواء اكثر) [5].

كما انه فرق بين الأصوات التي تحدث في الاشكال المجوفة من الأجسام والاشكال الصلدة، فالصوت يكون قويا عندما يصدر عن الأجسام الصلدة، في حين ان الأجسام المجوفة تصدر صوتا ولكنه اقل حدة من الصوت الصادر من الأجسام الصلدة [6].

إن حديث العلماء العرب عن الحدة والثقل بوصفهما معيارا لقياس درجة الصوت من حيث الارتفاع والشدة انما هو نابع من نظرتهم إلى ان الحركة القوية تؤدي إلى اضطراب اكبر في

---

[1] الموسيقى الكبير، ج1، ص212.

[2] المصدر نفسه، ج1، ص166.

[3] الشفاء : الرياضيات : جوامع علم الموسيقى، ص10.

[4] الدرس الصوتي عند ابن سينا، ص84 . والدرس الصوتي والدلالي عند الفيلسوف الفارابي، ص65.

[5] رسائل ابن رشد : كتاب النفس، ص31.

[6] المصدر نفسه، ص32.

ضغط الهواء في حين ان الحركة الضعيفة تؤدي إلى اضطراب اقل في الضغط، وبسبب اضطراب الهواء القوي تكون حركة الهواء اكبر ومن ثم تترجم تلك الحركة بارتفاع الصوت .

فالحدة والثقل صفتان صوتيتان تنجمان عن تواتر التذبذب الذي يحدثه الصوت وينتجه، ومن ثم يمكن لنا عن طريقهما ان نميز بين الصوت الخفيض والصوت الحاد . وهما يرتبطان بسرعة الحركة الاهتزازية، فالتواتر العالي يولد صوتا حادا والتواتر الضعيف يعطي صوتا خفيضا [1].

فالحدة والثقل اللتان عبر عنهما العلماء المسلمون عند تصادم الجسمين بقوة تكون الحدة اما الثقل فيكون عكس ذلك[2]. تعطيان الصوت عند ادراكه صفة الضعف او القوة بوصفهما مقياسا للطاقة التي تنتجها حركة اهتزازية في وحدة زمنية ووحدة مساحية محدودتين، فإذا قرعنا جسمين متماثلين برفق وجسمين اخرين بقوة فأن الفرق بين الصوتين الناتجين سيكون ان احدهما خفيضُ، اما الاخر فيكون قويا ويمكن سماعه من بعد، وذلك لأن الحركة القوية ستؤدي إلى اضطراب اكبر في ضغط الهواء والعكس صحيح . وهذا ما يعبر عنه بالدرس الصوتي الحديث بالشدة التي تكون نتيجة سعة حركة اهتزاز الصوت وتترجم طبيعيا بالضغط والقوة [3].

---

[1] علم الأصوات العام، ص39.

[2] الشفاء : الرياضيات : جوامع علم الموسيقى، ص10.

[3] علم الأصوات العام، ص40-41.

2- سرعة الصوت :

وتقاس بالمسافة التي يقطعها الصوت في الثانية [1].

وعلى الرغم من ان العلماء العرب لم يقيسوا سرعة الصوت بمقاييس الزمن الحديثة ووحداتها فإنهم استطاعوا ان يبينوا سرعة الصوت قياسا إلى سرعة الضوء، فضلاً علىدراستهم تتبع الصوت من مصدره إلى ان يصل إلى إذن السامع . وتأثير هذه المسافة التي يقطعها في سرعته .

إذ أشار أخوان الصفا إلى انه إذا تصادم جسمان انسل الهواء منهما وتموج إلى جميع الجهات . وحدث من حركته شكل كروي يتسع باتساع القارورة إذا نفخ الزجاج فيها ويبدأ الصوت بالضعف باتساع الشكل الكروي لضعف حركته وتموجه إلى ان يسكن ويضمحل [2].

فسرعة الصوت تقوم على حركته فإذا كانت سريعة يكون الصوت سريعا لقربه من المصدر ومثلوا له بالدوائر الصغيرة، وإذا ضعفت حركته وتموجه ضعف الصوت لبعده عن المصدر ومثلوا له بالدوائر الكبيرة .

وإلى ذلك أشار الفارابي من خلال حديثه عن اندفاع الهواء بين القارع والمقروع فإذا اندفع الهواء بشدة وكان الصوت اشد اجتماعا واتصالا بين أجزائه كان أسرع، وإذا كان الصوت اقل اجتماعا واتصالاً بين أجزائه قلت سرعة الصوت [3].

وذهب ابن سينا إلى ان سرعة الضوء ابعد من سرعة الصوت وأرجع السبب في ذلك إلى (ان البرق يحس في الان بلا زمان والرعد الذي يحدث مع البرق يحس بعد زمان لأن الأبصار لا يحتاج فيه الا إلى موازاة واشفاق، وهذا لا يتعلق وجوده بزمان، واما السمع فيحتاج فيه إلى تموج الهواء او ما يقوم مقامه، ينتقل به الصوت إلى السمع وكل حركة في زمان . ولهذا ما يرى وقع الفأس إذا كان يستعمل في موضع بعيد قبل ان يحس بالصوت بزمان محسوس القدر، واما إذا قرب فلا يمكنك ان تفرق بين الزمان القصير وبين الان) [4].

وقد ذهب بعض الباحثين إلى تخطئة ابن سينا في ان الأبصار لا يحتاج إلى زمان [5]، والذي يبدو لي أن ابن سينا قد بين ان للأبصار زمانا ولكنه في الان، اي في لحظة رؤيته ولا

---

[1] دروس في الطبيعة، ص60-61.

[2] الرسائل، ج1، ص188.

[3] الموسيقى الكبير، ص212-214.

[4] الشفاء : الطبيعيات : المعادن والاثار العلوية، ص69.

[5] الدرس الصوتي عند ابن سينا، ص82.

يحتاج إلى زمان مستمر كالصوت بدليل قوله : انه إذا وقع الفاس في مكان بعيد قبل ان يحس بالصوت بزمان محسوس القدر، واما إذا قرب فلا يمكنك ان تفرق بين ذلك الزمان وبين الان فهما إذن زمانان ولكن (الزمان) يقصد به الزمن البعيد والان الزمن القريب، والبعيد يقصد به سرعة الصوت والان يقصد به سرعة الضوء .

ولا يخفى على المتتبع ان الزمان هو مجموعة من الآنات، فالآن هو زمن ولكنه اقصر من الزمان الذي هو مجموعة من الآنات [1].

وهذا الكلام ينطبق على ما قاله ابن رشد الذي يفهم من كلامه ان ليس للضوء زمن إذ قال : (واما الضوء لما كان غير جسم اصلا بدليل انه مشبع في كليه المشقة، ويحدث في غير زمان ولم يمكن فمما هذا شأنه ان يفارق لم يكن الضوء شيئاً غير كمال المشق بما هو منسق)[2].

والسبب في ذلك ان الضوء ليس له تموج كما في الهواء بدليل قوله : (ان الاضاءة من الكمالات التي ليست منقسمة بانقسام الجسم ولا حاصلة في زمان) [3].

وكما ان القرع يؤدي بالحركة إلى ان تعرض فيه ولما كانت كل حركة في زمان كان هذا الادراك أيضاً في زمان بخلاف ما عليه الامر في الأبصار (ولذلك ما يسمع الرعد بعد رؤية البرق والسبب ان الفاعل لهما واحد) [4] .

وكان لابن سنان الخفاجي إشارة دقيقة إلى سرعة الضوء وذلك من خلال موازنته بين سرعة الصوت وسرعة الضوء . ويدل حديثه عن العلة في مشاهدة القصار من بعد بضرب الثوب على الحجر، ثم يسمع بعد مهلة، فيسبق النظر السمع . على إدراكه سرعة الصوت وقلتها قياسا إلى سرعة الضوء فقال : (ان الصوت يتولد في الهواء، والبعد المخصوص مانع من ادراكه) [5].

وتلك إشارة دقيقة لقياس سرعة الصوت، لأن الذبذبات الصوتية اثناء تموجها في الهواء تكون بطيئة قياسا إلى النظر [6] .

---

[1] معجم المصطلحات الادبية، ص110.

[2] رسائل ابن رشد، كتاب النفس، ص28.

[3] المصدر نفسه، ص28.

[4] رسائل ابن رشد، كتاب النفس، ص31.

[5] سر الفصاحة،ص12 .

[6] البحث الصوتي عند العرب، ص11.

ويبدو أنَّ قياس قوة الأصوات في مفهوم العلماء العرب انه إذا قربت من مصادر حدوثها اصبحت قويه ، وإذا زادت المسافة ضعف الصوت، وهذا ما يسمى حديثا بـ (الشدة الصوتية) فتزداد شدة توتر الصوت إذا قرب من مصدره، وتضعف إذا بعد عن مصدره، لأن الصوت مهما كان مصدره او اصله يحتوي على اضطراب مادي في الهواء يتمثل في قوة او ضعف سريعين للضغط المتحرك من المصدر ثم يضعف تدريجيا حتى ينتهي إلى نقطة الزوال النهائي [1].

وهو لا يبعد عما قاله اخوان الصفا بأن الصوت يضعف إذا اتسع الشكل الكروي الذي يتخذه الهواء اثناء تموجه نتيجة لضعف تموجه إلى ان يسكن ويضمحل [2].

[1] دراسة الصوت اللغوي، ص4، ص8.

[2] رسائل اخوان الصفا، ج1، ص188-189.

3- الموجة الصوتية :

هي مجموعة من الذبذبات الصوتية المتعاقبة التي تنتج كل منها عن الأخرى، ولما كان الصوت ينشأ بسبب تحركات لأجزاء الهواء المجاورة له، فأن هذه الأجزاء تضغط على الذرات الهوائية المجاورة لها، وتلك تضغط على الذرات المجاورة لها . . وهكذا [1].

فمصدر الصوت مهما كان نوعه يسبب اهتزازات لأجزاء الهواء المجاورة لها، وهذه الاهتزازات تسبب اهتزازات للأجزاء المجاورة لها، ويستمر هذا التداخل على شكل موجات بعيدا عن مصدر الصوت وتنتشر إلى ان تصل إلى إذن السامع[2] .

ولعلماء العربية نظرات ثاقبة للموجة الصوتية، إذ وضعوا تفسيرا واضحا لمجمل الموجة للهواء وهذا ما يظهر من تفسير أخوان الصفا لانتقال الصوت . فقد أشاروا إلى ان تموج الهواء ينتشر في جميع الجهات ويحدث على شكل كروي يتسع ويضيق فإذا اتسع الشكل ضعفت حركته وتموجه إلى ان يسكن ويضمحل [3].

وفي ذلك إشارة – أيضاً – إلى سعة الصوت وهي البعد بين نقطة الاستراحة، وابعد نقطة يصل اليها الجسم المتحرك، وهي في الوقت نفسه مسؤولة عن التوتر، فإذا زاد الاتساع زاد التوتر، فالصوت على اختلاف مصدره او اصله يحتوي على اضطراب مادي في الهواء يتمثل في قوة او ضعف سريعين للضغط المتحرك من المصدر ثم في ضعف تدريجي ينتهي إلى نقطة الزوال النهائي [4].

وهذا ما عبر عنه اخوان الصفا بأنه (يسكن او يضمحل) إذا استمر تموجه حتى تكبر سعة الموجة الصوتية، فيكون وقع الذبذبات الصوتية على الأذن قويا في حالة ضيق الشكل الكروي وحركة تموجه فنسمع الصوت قويا، في حين يكون تأثيره على الأذن ضعيفا في حالة سعة الشكل الكروي . وعلى هذا يترتب ارتفاع الصوت مع ضيق الشكل الكروي لقربه من المصدر وانخفاضه مع سعة الشكل الكروي لبعده عن المصدر [5].

وإلى ذلك أشار عبد اللطيف البغدادي بأن الهواء الناتج من تصادم الأجسام بقوة يتأثر بذلك الأثر ويتدافع بكسب مجاورة اثره حتى يصل إلى العصب المفروشة على الصماخ، وبين ان

---

[1] دراسة الصوت اللغوي، ص10.

[2] علم الأصوات العام، ص32.

[3] الرسائل، ج1، ص188.

[4] دراسة الصوت اللغوي، ص4-8.

[5] المنظومة الكلامية، ص 103،51.

هذه الحركة التداولية تكون على شكل دوائر او قطع دوائر ذلك (لأن الهواء بسيط لا يقبل ما كان من الاشكال ذا زوايا . . .)[1].

وقد تناول الفارابي الموجة الصوتية اثناء حديثه عن انتقال الصوت إذ أشار إلى ان الهواء يحمل الصوت فيحرك بمثل حركته الجزء الذي يليه فينتقل الصوت الذي كان قبله الأول ويحرك الثاني ثالثا يليه فيقبل ما قبل الثاني والثالث رابعا يليه، فلا يزال هذا التداول من واحد إلى واحد حتى يكون اخر ما يتأدى اليه من أجزاء الهواء هو الهواء الموجود في الصماخين إلى ان يلاقي القوة التي لها يسمع[2] .

ويبدو لي أنكلام الفارابي فيه إشارة إلى ما يسمى حديثا (بالرنين) الذي هو ظاهرة جعل جسم ما يتحرك عن طريق ذبذبات جسم آخر . اي تقوية الصوت الصادر من جسم ما باهتزاز جسم اخر متأثرا بالجسم الأول . فالجسم المتذبذب ينقل ذبذبته إلى جسم اخر يليه، لأن كل ذبذبة تميل إلى تحريك الأجسام المرنة التي توجد على طريق موجتها الصوتية [3].

وقد ابرز تلك الإشارة بقوله : (يكون هذا الهواء نفسه إذا فارق الذي عنه نبا، يتفق فيه ان يصدم جسما اخر فينبو عنه أيضاً وينكفئ فيصدم من خلفه اخر ثم ينكفئ أيضاً فيصدم اخر ولا يزال هذا التداول حتى تسكن حركته فتضعف موجته حتى يسكن) [4] .

أي ان صدمه للاجسام يخفف من سرعته وقوته . وهناك معالجة يسيرة لأبن سينا تتعلق بالموجة الصوتية من خلال حديثه عن تموج الهواء وأشارته إلى ان التموج يكون متصل الأجزاء إذ قال : (واما حال التموج في نفسه من اتصال أجزائه وتمليسها، او تشظيها وتشذ بها فيفعل الحدة والثقل)[5].

فيكثر تردد الموجة الصوتية عندما تتصل أجزاؤها ويقل تردد الموجة عندما تتشظى أجزاؤها وتتشذب[6].

اي ان الصوت ينتقل في الهواء بصورة اهتزازات موجية، وان أجزاء الهواء التي تصاب بحركة تهتز وتنتقل الحركة إلى الأجزاء التي تليها وهكذا يتم انتقال الصوت [7]. وذلك يظهر

---

[1] مقالتان في الحواس، ص84.

[2] الموسيقى الكبير، ص214.

[3] دروس في الطبيعة، ص54. وعلم الأصوات العام، ص45.

[4] الموسيقى الكبير، ص216.

[5] اسباب حدوث الحروف، ص59 . الشفاء : الرياضيات : جوامع علم الموسيقى، ص10.

[6] الدرس الصوتي عند ابن سينا، ص85.

[7] علم الأصوات الموجي والسمعي عند علماء المسلمين القدماء، ص105.

جليا في تفسير الفارابي لهذه العملية التتابعية للاهتزازات الموجية، إذ ذهب إلى ان الهواء يحمل الصوت فيحرك بمثل حركته الجزء الذي يليه فينتقل الصوت الذي كان قبله الأول، ويحرك الثاني ثالثا يليه فيقبل ما قبله الثاني والثالث رابعا يليه، فلا يزال هذا التداول من واحد إلى واحد حتى يكون اخر ما يتأدى اليه من أجزاء الهواء هو الهواء الموجود في الصماخين إلى ان يلاقي القوة التي يسمع[1].

[1] الموسيقى الكبير، ص214.

المبحث الثاني

(الوسط الناقل للصوت وجهاز السمع والعملية السمعية)

أولا : الوسط الناقل للصوت

ان عملية نقل الصوت تحتاج إلى وسط ناقل، يقوم بنقل تموجات وذبذبات الصوت إلى جهاز الاستقبال (الأذن) وهذا الوسط الناقل للصوت، اما ان يكون هواءً او غازاً اخف من الهواء او سائلاً كالماء او صلباً كالمعادن[1] .

وقد تحدث العلماء العرب عن الوسط الناقل للصوت . إذ حصره أخوان الصفا بالهواء (وذلك ان الهواء لشدة لطافته وخفة جوهره وسرعة حركة أجزائه يتخلل الاجساد كلها، فإذا صدم جسم جسما آخر انسل ذلك الهواء من بينهما، وتدافع وتموج إلى جميع الجهات وحدث من حركته شكل كروي فاتسع كما تتسع القارورة من نفخ الزجاج فيها) [2] .

وهو عند عبد اللطيف البغدادي الهواء – أيضاً – إذ بين ان عند حدوث الصوت في مصدره ينتقل في الهواء بنسب متجاورة حتى يصل إلى موضع السمع وقوة الادراك [3].

اما الفارابي فقد تحدث عن عملية انتقال الصوت بعد ان تحدث بشكل دقيق عن حدوث الصوت ومصدره فقال : (اما كيف يتأدى إلى السمع فأن الهواء الذي ينبو من المقروع هو الذي يحمل الصوت فيحرك مثل حركته الجزء الذي يليه فينقل الصوت الذي كان قبله الأول ويحرك الثاني ثالثا يليه فيقبل ما قبله الثاني، والثالث رابعا يليه، فلا يزال هذا التداول من واحد إلى واحد حتى يكون اخر ما يتأدى إليه من أجزاء الهواء هو الهواء الموجود في الصماخين، وهواء الصماخ ملاق للعضو الذي فيه القوة التي بها يسمع ويتأدى ذلك إلى القوة فيسمعه الإنسان)[4] .

وقد وهم بعض الباحثين فنسب هذا القول إلى ابن سينا [5] !. وانما هو ما تفرد به الفارابي من بين علماء العربية وفيه إشارة إلى ذبذبات الهواء وتصادم بعضها مع بعض، فينتج عن اندفاعها تموج للهواء، وهذا التموج ينتقل عبر الهواء والماء وما جانسهما كالغازات والسوائل [6].

---

[1] دروس في الطبيعة، ص14–15.

[2] رسائل اخوان الصفا، ص188–189.

[3] مقالتان في الحواس، ص84.

[4] الموسيقى الكبير، ص214.

[5] الدرس الصوتي عند ابن سينا، ص79.

[6] الدرس الصوتي والدلالي عند الفيلسوف الفارابي، ص30.

وقد حاول بعض الباحثين تكلفا ان يفسر هذا النص لبيان ان الوسط الناقل للصوت من جملته الأجسام الصلبة عند الفارابي [1].

والأجسام الصلبة عند الفارابي هي مصدر للصوت وليست وسطا لنقل الصوت [2].

وقد استلهم ابن سينا فكرة الفارابي في انتقال الصوت على شكل ذبذبات متتابعة يحملها تموج الهواء وتموج الماء فقال : (ان التموج ليس هو حركة انتقال من هواء واحد بعينه بل كالحال في تموج الماء يحدث التداول بعد صدم مع سكون قبل سكون وهذا التموج الفاعل للصوت سريع لكنه ليس بقوي الصك) [3].

ويظهر من قول ابن سينا ان الهواء والماء هما الوسطان الناقلان للصوت فتكون حركة الذبذبات تشبه حركة الماء وهي حركات متتابعة وصولا إلى جهاز الاستقبال .

وقد اكد الدرس الصوتي الحديث ان موجات الماء السطحية تشارك بعض صفات الموجات السمعية الهوائية، إذ تتشكل الموجات المائية من ذبذبات الجزيئات المائية تماما كما تتشكل الموجات الصوتية من ذبذبات الجزيئات الهوائية، ويقع الاختلاف بين الصنفين من الموجات في ان تذبذب الجزيئات الهوائية يكون نفسها اتجاه حركة الموجة، في حين تذبذب الجزيئات المائية في الموجات المائية السطحية باتجاه الأعلى والأسفل بشكل رئيس وبزوايا قائمة وباتجاه حركة الموجة، وعوضا عن ظاهرتي الضغط والخلخلة في الموجات الهوائية تشكل الموجات المائية السطحية قمما وأغوارا على مستوى سطح الماء [4].

فالوسط الناقل للصوت عند ابن سينا هو الماء والهواء . والغريب ان يذهب بعضهم إلى عد الأجسام الصلبة وسطا ناقلا للصوت عند ابن سينا بالاستناد إلى قول ابن سينا : (قبول التموج وليس ذلك من حيث المتوسط ماء او هواء) [5].

وفاته ان ابن سينا هنا يوازن بين عملية إصدار الصوت عن طريق التموج الحاصل بين الأجسام الرطبة السيالة، الهواء والماء بوصفهما ناقلين للصوت من حيث إن الصوت يحدث فيهما أيضاً . فهما مصدران للصوت ووسطان ناقلان له[6].

---

[1] المصدر نفسه، ص30.

[2] الموسيقى الكبير، ص214 وما بعدها.

[3] الشفاء : الطبيعيات : علم النفس، ص89.

[4] المنظومة الكلامية، ص42.

[5] الدرس الصوتي عند ابن سينا، ص80. والشفاء : الطبيعيات : علم النفس، ص87-88.

[6] الشفاء : الطبيعيات : علم النفس، ص87-88.

ووافق ابن رشد العلماء الذين سبقوه في عد الهواء والماء وسطين لنقل الصوت . فبعد ان عرف الصوت وبين مصدره ذكر ان الصوت ينتقل عن طريق الماء والهواء فقال : (. . . واما ما به يكون هذا الادراك فهو الماء والهواء) [1].

والسبب في ذلك عند ابن رشد يكاد يكون هو السبب الذي اعتل به اخوان الصفا وهو سرعة قبولهما الحركة والتشكل بها، بحيث تبقى الحركة فيهما وقد كف المتحرك [2].

وقد أشار ابن سنان الخفاجي إلى ان (الصوت يتولد في الهواء، والبعد المخصوص مانع من إدراكه، فإذا تولد فيها بقرب أدرك في عمله، وان لم يتصل بحاسة السمع) [3].

اي ان الوسط الناقل للصوت هو الهواء، فينقله من مكان حدوثه او كما يسميه (الصكة الأولى) إلى حاسة السمع [4].

اما الوسط الناقل للصوت عند ابن باجة فهو الماء والهواء – أيضاً – فعند تقارع الأجسام بعضها مع بعض يتولد عنها اثر محسوس ينقله الهواء والماء . إذ قال : (. . . والمحسوس الأول هو ذلك الأثر الذي في الهواء والماء الحادث عن القرع، لكنه مقرون بحركة، ولا يمكن ان يحس دون تحرك ذلك الهواء . فلذلك هو اثر مقترن به تحركه في الأثر) [5].

ويفهم من كلام ابن باجة ان الوسط الناقل للصوت على الرغم من انه يتم عن طريق الماء والهواء فإنه في الهواء افضل منه في الماء لأنه الموضع الأول للسمع، والقابل الأول للصوت [6].

ويبدو لي أنجهد العلماء العرب في الوسط الناقل للصوت جاء في شكل قواعد وقوانين بوصفها شروطا اولية لمعرفة عملية انتقال الصوت . قائمة على تصور تجريدي وصفي، وان استلهم الملامح الجزئية القائمة على العملية الاستقرائية شبه الكاملة بحصر الوسط الناقل للصوت بالهواء والماء في حين انه عند المحدثين يشمل الأجسام الغازية والسائلة والصلبة .

الا ان محاولاتهم خرجت بالكثير من رصد ظواهر العملية وتفسيرها تفسيرا علميا دقيقا، كما يظهر عند الفارابي وابن سينا، فأراؤهما مبنية على أسس علمية رصينة تحاول ان تخرج من طور التصور الجزئي إلى التصور الكلي لبناء نظرة صوتية شاملة لا تقف عند معرفة الوسط الناقل

---

[1] رسائل ابن رشد : النفس، ص30.

[2] المصدر نفسه، ص31.

[3] سر الفصاحة، ص13.

[4] المصدر نفسه، ص13.

[5] كتاب النفس، ص112.

[6] المصدر نفسه، ص113.

للصوت فقط وإنما معرفة خصائصه ومميزاته وصولا إلى تنظير علمي لعملية انتقال الصوت وقد وفقوا في ذلك إذ طابقت نظراتهم ما وصل اليه علم الصوت السمعي الحديث [1].

[1] علم الأصوات العام، ص30-48.

2- جهاز السمع (الاستقبال) :

يتم استقبال الصوت عن طريق الأذن فهي الاداة التي تحوله من أشارات مادية (ذبيات في الهواء) إلى أشارات عصبية تنتقل إلى الدماغ .

والأذن تقسم إلى ثلاثة أجزاء لكل جزء منها وظيفة خاصة به . وهي : **الأذن الخارجية** وتلتقط الذبذبات الخارجية . **والأذن الوسطى** تحول الضغط الصوتي إلى ذبذبات ميكانيكية . **والأذن الداخلية** تحول الذبذبات الميكانيكية إلى دافع عصبي ترسله إلى الدماغ .

وكل جزء من هذه الأجزاء له تفصيلاته الدقيقة التي وقف عليها العلماء المحدثون في ابحاثهم [1] .

وقد تحدث العلماء العرب عن الأذن واهميتها السمعية بوصفها جهازا لاستقبال الصوت . إذ أشار اخوان الصفا إلى ان الأذن هي اداة استقبال الصوت سواء كانت في الإنسان او الحيوان الذي له اذن، فعند تموج الهواء بحركته يدخل في الأذن ومن ثم إلى الصماخ في مؤخرة الدماغ [2].

وقد تطرق الفارابي إلى الأذن واستقبالها الصوت، إلا أنه لم يتطرق إلى تشريح الأذن او ذكر اجزائها الكلية، وانما أشار إلى الصماخ وطبلة الأذن [3].

اما ابن سينا فقد تحدث بشكل دقيق وموسع عن الأذن بسبب كونه طبيبا وعدها اداة خاصة بالسمع فقط، وبين اقسامها وتشريحها فقال : (اعلم ان الأذن عضو خلق للسمع، وجعل له صدف معوج ليحبس جميع الصوت ويوجب طنينه، وثقب يأخذ في العظم الحجري ملواب معوج، ليكون تعوجه مطولا لمسافة الهواء إلى داخل مع قصر تحته الذي لو جعل الثقب نافذا فيه نفوذا مستقيما لقصرت المسافة، وانما دبر لتطويل المسافة اليه لئلا يناقص باطنه الحر والبرد المفرطان، بل يردان عليه متدرجين اليه، وثقب الأذن يؤدي إلى جوية فيها هواء راكد وسطها الانسي مفروش بليف العصب السابع الوارد من الزوج الخامس من ازواج الدماغي وصلب فضل تصليب لئلا يكون ضعيفا منفعلاعن قرع الهواء وكيفيته فإذا تأدى الموج الصوتي إلى هناك ادركه السمع)[4].

---

[1] علم الأصوات العام، ص51-54.

[2] رسائل اخوان الصفا، ص188-189.

[3] الدرس الصوتي والدلالي عند الفيلسوف الفارابي، ص32.

[4] القانون في الطب، ص1145. احوال النفس، ص58 . وعيون الحكمة، ص36.

وعلى ذلك تكون الأذن عند ابن سينا متكونة من صدف معوج لحبس الهواء وتوجيه طنينه، ومن ثقب يكون في العظم الحجري ويكون معوجا لكي تطول مسافة الهواء، ومن جوية فيها هواء وتكون مفروشة بليف العصب المتصل بالدماغ، وعندما يمر بها الهواء تتحرك الاعصاب فندرك السمع .

وقد جانب الصواب بعض الباحثين حين نعت ابن سينا بأنه لم يكن مصيبا في كل ما طرحه من حديث عن الأذن ولا سيما تعيين المركز العصبي السمعي في الأذن [1].

ويبدو لي أن قول ابن سينا عن العصب السابع الوارد من العصب الدماغي الذي هو عبارة عن ليف عصبي مفروش في طريق جوية الهواء، إذا مر به الهواء تحركت الاعصاب وادركت الأذن السمع، يطابق ما ذهب اليه المحدثون [2]. وهو في الوقت نفسه دليل على معرفة ابن سينا بالمركز العصبي للسمع في الأذن بدليل قول الباحث نفسه بعد ذلك : (ان ابن سينا كان على قلة وسائل التشريح عنده عارفا بوجود العصب السمعي ومدركا اهميته في العملية السمعية) [3].

فكأن الالياف العصبية الي تنقل ذبذبات الصوت والتي تكون في الأذن الداخلية هي اخر جزء من أجزاء الأذن، فالذبذبات الصوتية تسير على شكل موجات يستقبلها الصوان وينقلها إلى غشاء الطبلة الذي ينقلها إلى المطرقة والسندان والركاب فتهتز ويصطدم بعضها ببعض فتنتقل هذه الاهتزازات إلى الاعصاب السمعية ومنها تصل إلى الدماغ [4].

وهذا عينه ما أشار اليه ابن سينا من ان توتر الياف العصب إذا تأتّى الموج الهوائي اليها توترت وادركنا السمع لأتصالها بعصب الدماغ . بدليل قوله : (. . . ثم ذلك الموج يتأدى إلى الهواء الراكد في الصماخ فيموجه فتحس به العصبة المفروشة في سطحه) [5].

وإلى العصبة المفروشة على سطح الصماخ أشار عبد اللطيف البغدادي عندما تحدث عن تموج الهواء إلى ان يصل إلى الأذن حاسة السمع فقال : (ولا يزال ذلك الهواء المتأثر بذلك الأثر يتدافع بكسب مجاوره اثره حتى يصل إلى العصبة المفروشة على الصماخ التي هي بمنزلة الرَّق على الطبل، وهناك موضع السمع وقوة الادراك) [6].

---

[1] الدرس الصوتي عند ابن سينا، ص86.

[2] علم الأصوات العام، ص51–54. والنجاة، ص159.

[3] الدرس الصوتي عند ابن سينا، ص87.

[4] دراسة الصوت اللغوي، ص31.

[5] اسباب حدوث الحروف، ص4.

[6] مقالتان في الحواس، ص84.

ونسب ذلك إلى ارسطو [1].

وقوله انها الآلة القريبة من السمع، ربما يقصد به الوصف الخارجي للأذن، فالأذن تقسم إلى عدة أجزاء . الأذن الخارجية والأذن الوسطى والأذن الداخلية . وفي الاخيرة تحدث عملية السمع لوجود الالياف العصبية السمعية فيها، فعلى الرغم من انها تقسم إلى عدة أجزاء فإن آخرها يقوم بالعملية السمعية وهي الأذن الداخلية.

اما باقي الأجزاء الأخرى فتوفر نوعا من الحماية الخارجية والتنظيم الداخلي للعملية السمعية، لأن عملية السمع تبدأ في الأذن الداخلية في الخلايا الشعرية ومنها يحصل الادراك النهائي للحدث المسموع في الدماغ [2].

وفي حديث ابن باجة عن ظاهرة السمع إشارة إلى الأذن . وذلك عندما وازن بين حركة الهواء المنبعثة من تحريك اوتار العود والأثر الناتج من تلك الحركة من رجوع، ولكن ليس على تلك الحالة الأولى وانما يلزم التغيير مع بقاء الأثر واحدا بعينه، وبين إذن الإنسان فلما كانت كثيرة التقارع، عرض للهواء هنالك اصناف من الرجوع وبقى الصوت . ومتى يردفه صوت اخر امتزج الهواءان وهما باحوال مختلفة، فحدثت نغمة ممتزجة، اما ملائمة واما منافرة [3].

ويظهر من ذلك ان ابن باجة لم يعرف الأذن تعريفا واضحا وانما اكتفى بالإشارة اليها . وبذلك يكون ابن سينا صاحب ادق وصف لجهاز استقبال الصوت (الأذن) من بين علماء العربية .

يظهر مما تقدم ان جهاز استقبال الصوت هو (الأذن)، فهي الالة التي خلقت للسمع . كما يقول الفارابي [4]. وعلى الرغم من ان بعضهم لم يتطرق إلى تشريح الأذن وبيان أجزاءها فأن ابن سينا تكفل بتشريح الأذن وذكر أجزاءها، وعدها اداة خاصة بالسمع فقط، وانها متكونة من صدف معوج لحبس الهواء، وثقب يكون في العظم الحجري ويكون معوجا لتطول مسافة الهواء، ومن جوية فيها هواء . وتكون مفروشة بليف العصب المتصل بالدماغ [5].

وهذا يقترب كثيرا من مذهب المحدثين في الحديث عن جهاز الاستقبال (الأذن) . مع الاختلاف في التقسيم الدقيق للأذن وتسمية تلك التقسيمات بمسميات تختلف عما هي عند

---

[1] رسائل ابن رشد : النفس، ص32.

[2] دراسة الصوت اللغوي، ص30.

[3] كتاب النفس، ص112.

[4] الموسيقى الكبير، ص214.

[5] القانون في الطب، ص1015.

القدماء، كالأذن الداخلية، والأذن الوسطى، والأذن الخارجية، ولكل واحدة منها وظيفتها الخاصة، وتقسيماتها الدقيقة الخاصة بها – أيضاً – [1].

[1] علم الأصوات العام، ص5–54.

3- العملية السمعية :

تستند العملية السمعية إلى ذبذبات الهواء الخارجي، فتنتقل هذه الذبذبات إلى الأذن، فيستقبلها الصوان ومنه إلى طبلة الأذن، فيهتز غشاؤها اهتزازات تتناسب مع هذه الذبذبات إلى الأذن الداخلية بوساطة سلسلة من العظيمات، وتجري هذه الاهتزازات في السائل التيهي، وتحدث فيه ذبذبات تتناسب معها، فينبه الاعصاب المغموسة فيه لتنقل هذه الذبذبات في دوافع عصبية إلى المراكز السمعية في الدماغ [1].

هذا اجمال للعملية السمعية في الوصف الحديث الذي يقترب اقترابا شديدا من وصف العلماء العرب للعملية السمعية . إذ كان لأخوان الصفا وصف دقيق للعملية السمعية حين تناولوها بالشرح والتوضيح من إصدار الصوت إلى استقبال الأذن له، فذهبوا إلى انه (اذا صدم جسم جسما اخر انسل ذلك الهواء من بينهما وتدافع وتموج إلى جميع الاتجاهات وحدث من حركته شكل كروي واتسع كما تتسع القارورة من نفخ الزجاج فيها وكلما اتسع ذلك الشكل ضعفت حركته وتموجه إلى ان يسكن ويضمحل، فمن كان حاضرا من الناس وسائر الحيوانات الذي له إذن بالقرب من ذلك المكان، فيتموج ذلك الهواء بحركته ويدخل في آذنيه إلى صماخيه في مؤخر الدماغ فيتموج أيضاً ذلك الذي هناك فتحدث عند ذلك القوة السابقة بتلك الحركة وذلك التغيير) [2].

فالعملية السمعية عند أخوان الصفا تستند إلى التذبذب الهوائي الناقل للصوت والداخل في مؤخرة الدماغ، فتحدث الانفعالات العصبية في تلك المنطقة فترسل إشارات إلى الدماغ تمثل قوة الإدراك .

وذهب عبد اللطيف البغدادي إلى ما ذهب إليه أخوان الصفا وبين ان الصوت الحادث عند مصادمة الأجسام التابعة لحركاتها . وهو في الوقت نفسه اثر حادث في الهواء . يكون تابعا لتصادم الأجسام بقوة . ولا يزال ذلك الهواء المتأثر بذلك الأثر يتدافع حتى يحاول ان يكسب الأثر المجاور له ويبقى يسير على هذا التدافع حتى يصل إلى العصبة المفروشة على الصماخ التي هي بمنزلة الرَّق على الطبل، وهناك يكون موضع السمع وقوة الادراك [3].

وقد اخذت العملية السمعية معالمها الواضحة عند الفيلسوف الفارابي فاقترب في وصفه لها من الوصف الحديث، فبعد ان تحدث عن عملية إصدار الصوت بين كيفية حدوث عملية السمع

---

[1] الأصوات اللغوية، ص15 . علم الأصوات العام، ص54.علم اللغة، سوسير، ص87.

[2] رسائل أخوان الصفا ، ص188-189.

[3] مقالتان في الحواس، ص84.

بقوله : (ان الهواء الذي ينبو من المقروع هو الذي يحمل الصوت فيحرك بمثل حركته الجزء الذي يليه فينقل الصوت الذي قبله الأولى ويحرك الثاني ثالثا يليه فيقبل ما قبله الثاني والثالث رابعا يليه، فلا يزال هذا التداول من واحد إلى واحد حتى يكون اخر ما يتأدى اليه من أجزاء الهواء هو الهواء الموجود في الصماخين، وهواء الصماخ ملاق للعضو الذي فيه القوة التي بها يسمع فيتأدى ذلك إلى القوة فيسمعه الإنسان) [1].

فالتتابع الحاصل للهواء انما هو ذبذبات الصوت التي تسير كلّ منها اثر الأخرى ويستمر هذا التتابع او التدافع إلى ان يصل إلى الصماخ وهو مؤخرة الدماغ ومنه قوة الادراك السمعي عند الإنسان .

وإلى ذلك أشار ابن سينا – أيضاً – فذهب إلى ان تموج الهواء المنضغط بين قارع ومقروع مقاوم له انضغاطا عنيفا سيحدث منه صوت يذهب إلى تموج الهواء المحور الراكد في تجويف الدماغ . فيحركه حتى تلامس تلك الامواج العصبية . ويقصد بها العصبة المفروشة في الصماخ [2].

وقد ادرك ابن سينا ما ادركه الفارابي من ان العملية السمعية تستند إلى تموج الهواء الذي يمر بالأذن، ويؤثر بالهواء الراكد في الصماخ الذي يمتد تأثيره إلى الاعصاب السمعية فيحدث الادراك في الصماخ الذي يصل تأثيره إلى الاعصاب السمعية فيحدث الادراك السمعي [3].

وهذا ادق ما وصل اليه المحدثون من ان الذبذبات الهوائية تؤثر في التغيرات العصبية التي تعد الاعصاب الموصلة إلى منطقة الادراك السمعي في المخ [4].

اما ابن رشد فقد ذكر عملية السمع بمفهومها العام . او بمعنى ادق عرف السمع ولم يبين عملية السمع كما فعل العلماء الذين سبقوه إذ قال في السمع : (هي القوة التي من شأنها ان تستكمل معاني الآثار الحادثة في الهواء من مقارعة الأجسام بعضها بعضا المسماة أصواتا) [5].

وكان لابن باجة تعريف للسمع مقاربٌ تماما لتعريف ابن رشد إذ قال : (والقوة السامعة هي استكمال حاسة السمع، وفعلها إدراك الأثر الحادث في الهواء عن تصادم جسمين متقاومين وهذه الحال هي التي يكون بها الشيء مسموعا واحساسها هو سمع) [1].

---

[1] الموسيقى الكبير، ص214 . كتاب الحروف، ص136.

[2] احوال النفس، ص85.

[3] الادراك الحسي عند ابن سينا، ص111 . والدرس الصوتي عند ابن سينا، ص88.

[4] علم الأصوات العام، ص55.

[5] رسائل ابن رشد : كتاب النفس، ص30.

ويبدو لي أنما ذهب إليه العلماء العرب في العملية السمعية يتفق مع العملية النفسية للسمع عند المحدثين، إذ إن الحركة الموجية للأصوات تنتقل بوساطة الالياف العصبية السمعية المفروشة إلى الدماغ، الذي يفسر هذه الحركات الموجبة ويعطيها مدلولها اللغوي، وهذه هي الأسس التي تقوم عليها العملية النفسية للسمع كما وصفها المحدثون . إذ إن ذبذبات الهواء تنتقل إلى الأذن عن طريق طبلة الأذن، فيهتز غشاؤها اهتزازات تتناسب مع هذه الذبذبات ومن الأذن الداخلية تنتقل إلى السائل التيهي بوساطة سلسلة من العظيمات فينبه الأعصاب المفروشة فيه فينقل هذه الذبذبات بدوافع عصبية إلى المراكز السمعية في الدماغ [2].

ان إشارة بعض الأطباء الفلاسفة العرب مثل ابن سينا والفارابي واخوان الصفا وغيرهم إلى الظواهر السمعية وحديثهم عن أسرار حدوث الصوت وكيفية سماعه وإدراكه بوساطة جهاز السمع وأشارتهم إلى بعض المصطلحات السمعية مثل القرع والقلع والحدة والثقل قد وصلوا إلى درجة كبيرة في دراسة الصوت دراسة سمعية (أكوستيكية) على الرغم من الوسائل البسيطة التي اعتمدوها في دراستهم للصوت، إذ قامت دراستهم على الملاحظة الذاتية والمشاهدة من دون ان يكون لديهم وسائل علمية لذلك ليس من الغريب ان نجد بعض الغموض في مصطلحاتهم التي استعملوها بدراسة الأصوات من الناحية السمعية فضلاً علىالنقص في دراسة جهاز السمع فلم يدرسوه دراسة تفصيلية دقيقة إذ اكتفوا بالإشارة إلى بعض هذه الأجزاء ووظائفها اما فيما يخص اللغويين العرب والنحويين فلا يوجد في مصنفاتهم دراسة سمعية إذ إن اهتمامهم كان منصبا على دراسة الجانب النطقي للأصوات . فربما يعود ذلك إلى جهلهم بمعطيات علوم الطبيعة والتشريح.

---

[1] كتاب النفس، ص111.

[2] علم اللغة، سوسير، ص78 . الأصوات اللغوية، ص15. دراسة السمع والكلام، ص27.

الفصل الثاني

علم الأصوات النطقي

المبحث الأول

* أعضاء النطق
* الأبجدية الصوتية
* تقسيم الأصوات

المبحث الثاني

* مخارج الأصوات
* صفات الأصوات

الفصل الثاني

علم الأصوات النطقي

مدخل

يعني علم الاصوات النطقي بتحركات جهاز النطق وطبيعة عملياته، وما يترتب على ذلك من تقسيم الاصوات من حيث المخارج والصفات وتآلفها وما يصيبها من تغير بسبب هذا التآلف والاجتماع [1].

وهو يعد من اقدم الدراسات الصوتية، وذلك لأعتماده الملاحظة الذاتية للأعضاء المرئية من جهاز النطق والتذوق الشخصي لعمليات النطق .

وإن للجهاز النطقي وظائف أخرى الى جانب وظائفه الصوتية، فعندما يطلق عليه تسمية (أعضاء النطق)، إنما هي تسمية مجازية، لأن أعضاء النطق لا تقتصر على الوظيفة الصوتية فقط، وإنما لها وظائف أخرى أهم من ذلك بكثير، فاللسان لتذوق الطعام، والأسنان لقطع الطعام وطحنه، وللأنف الشم، والتنفس، وهكذا بقية الأعضاء لذلك، ليس غرض دارس الأصوات أن يتوسع في وصف أعضائه وصفاً تفصيلياً، وإنما يكفيه أن يلم بها، وأن يشير الى الاثر الذي يقوم به كل عضو في اصدار الأصوات اللغوية [2].

لقد عرف اللغويون العرب اكثر اعضاء النطق واطلقوا عليها تسميات دقيقة، على الرغم من انهم لم يكونوا يعرفون بعض تفصيلات هذا الجهاز، وعذرهم في ذلك انهم لم يكن عندهم علم التشريح الذي يوقفهم على هذا الجهاز وتحليل اجزائه وخواصه الوظيفة [3].

فاستندوا إلى حسهم وتذوقهم للأصوات ومواضع نطقها، فضلاً علىمعرفتهم موضوعات بخلق الانسان، لذلك ما تزال جهود علماء العرب في هذا الجانب [4] موضع التقدير والدراسة في شتى مراكز البحث الاكاديمي في العالم حتى يومنا هذا .

---

[1] علم الاصوات عند سبيويه وعندنا، ص11.

[2] علم اللغة العام . الاصوات، ص64-65.

[3] اصوات اللغة العربية، ص38.

[4] دراسة السمع والكلام، ص76.

المبحث الاول

(اعضاء النطق ، الابجدية الصوتية ، تقسيم الاصوات)

اولا: أعضاء النطق

لقد كان للعرب معرفة واعية لأكثر اعضاء النطق، فأطلقوا عليها تسميات متعددة تبعا لمواقعها من جهاز النطق الانساني ذي التفصيلات المتشعبة التي تحتاج الى اجهزة علمية دقيقة للكشف عن خصائصها . وتفصيلاتها الدقيقة، في زمن لم تكن مثل هذه الاجهزة في متناول ايدي علماء العربية .

لذلك أن العلماء العرب لم يكونوا يعرفون بعض تفصيلات هذا الجهاز . إذ إنهم اغفلوا اثر بعض أجزائه في اصدار الاصوات، من ذلك القصبة الهوائية، فأنهم لم يكونوا على علم في اثرها في انتاج الاصوات، فضلاً علىالحنجرة التي تعد المركز الرئيس لأصدار الصوت، على الرغم من ان بعضهم تحدث عنها بشكل مفصل كأبن سينا [1]. إلا أنه لم يحدد ما بداخلها من الاوتار الصوتية وأثرها في انتاج الاصوات، غير أنذلك يمكن ان يحمل على انهم لم يكونوا على علم واسع بعلم التشريح الذي يوقفهم على حقيقة هذا الجهاز وتحليل أجزائه وخواصه الوظيفية .

لذلك اكتفى بعضهم بوصف الاعضاء الظاهرة لهذا الجهاز . فالخليل بن احمد قد ذكر جميع اعضاء جهاز النطق، فذكر الفم والحلق والشفتين واللسان بأجزائه المختلفة من نحو : اسلة اللسان (الذلق)، ظهر اللسان وطرفه، غار الفم، والثنايا، والغار الاعلى، واللهاة، واقصى الفم، واقصى الحلق، (شجر الفم، ومفرج الفم)، والنطع، وهو نطع الغار الاعلى، واللثة [2] .

وهذه التسميات اتبعها ابن دريد وغيره من العلماء في ذكر اعضاء النطق [3].

والملاحظ على هؤلاء العلماء انهم قد ذكروا تسميات هذه الاعضاء، واثرها في انتاج الاصوات اللغوية، فنسبوا كل صوت الى عضو من هذه الاعضاء فمنها ما هو لثوي كالظاء والذال والثاء، لأن مبدأها من اللثة، ومنها ما هو لهوي، مبدأه من اللهاة، وهكذا باقي الاصوات الاخرى المتوزعة على اعضاء النطق التي استطاع العلماء العرب ان يقفوا عليها بما توافر لهم من ملاحظة وتجربة مكنتهم من تحسس تلك الاعضاء ونسبة الاصوات اليها [4].

---

[1] اسباب حدوث الحروف، ص6-7.

[2] العين : ج1، ص51-58.

[3] الجمهرة، ج1، ص8. جرس الألفاظ، ص85. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص150.

[4] العين، ج1، ص58.

وكان لسيبويه الاثر الكبير في من تابعه من علماء العربية في ذكر أعضاء النطق، إذ استند اليه العلماء الذين جاءوا من بعده بترديد تسمياته لتلك الاعضاء ولم يشذوا عنه الا لتوضيح غامض أو تفسيره من ذلك تفسيرهم ان الثنايا التي يخرج منها (الزاي والسين والصاد) . هي السفلى، في حين لم ينص سيبويه على وصفها بالسفلى وانما تركها مطلقة [1].

واعضاء النطق عند سيبويه هي [2]:

1- الحلق وقسمه الى :

اقصى الحلق .

وسط الحلق .

ادنى الحلق .

2- اللسان وقسمه الى :

اقصى اللسان .

وسط اللسان .

حافة اللسان (اول الحافة، ادنى الحافة) .

طرف اللسان .

فضلاً علىحديثه عن (ظهر اللسان) الذي يمر من خلاله صوت (الراء) .

3- الحنك : فذكر (الحنك) مطلقاً، وذكر (وسط الحنك) و (الحنك الاعلى).

4- الثنايا : وقسمها إلى الثنايا العليا والثنايا السفلى، واشار الى اصول الثنايا واطرافها .

5- الخياشيم .

6- الشفتان : وذكر منها الشفة السفلى .

7- الأسنان : وأشار بخصوصها الى الاضراس واصول الثنايا، واطراف الثنايا العليا .

وعلى الرغم من ان رضي الدين الاستراباذي (ت 684هـ) . قد تابع سيبويه في الحديث عن اعضاء النطق، فأنه قد انفرد عنه ببيان عددها وتقسيماتها.

---

[1] الكتاب، ج2، ص405. الاصول في النحو، ج3، ص400.

[2] الكتاب، ج2، ص405. المقتضب، ج1، ص193 . الاصول، ج3، ص400-401.

فذكر انها (اثنتان وثلاثون) سنا، (ست عشرة) في الفك الاعلى، ومثلها في الفك الاسفل موزعة اربعة منها على الثنايا، اثنتان من فوق ومثلها من اسفل، واربعة على الانياب، اثنتان من فوق يمينا ويسارا، ومثلها من اسفل، واربعة على الضواحك، اثنان من فوق يمينا ويسارا، ومثلهما من اسفل، وباقي الاسنان (ستة عشر) . تسمى الاضراس، ثمانية من فوق، اربعة يمينا، واربعة يسارا، ومثلها من اسفل، وقد بنيت خلف الاضراس النواجذ، وهي أربع من كل جانب، اثنتان من فوق، واثنتان من اسفل، وبذلك يصبح عدد الاسنان (ست وثلاثون) [1].

لقد اخذ موضوع الاعضاء النطقية منهجا اكثر وضوحا عند طائفة من علماء الاسلام، ويعد الامام جعفر الصادق (ع) (ت 148 هـ) . من اوائل العلماء العرب الذين وصفوا الاعضاء النطقية وصفا دقيقا يكاد يقرب من الوصف الحديث، وذلك من خلال ما نقله عنه ابو عبد الله المفضل (كان حيا عام 183هـ). في كتابه (توحيد المفضل)، إذ وصف تلك الاعضاء بـ(آلات النطق الانساني). وتتبعها من الحنجرة حتى الشفتين . إذ قال مخاطبا المفضل : (اطل الفكر يا مفضل في الصوت والكلام وتهيئة آلاته في الانسان، فالحنجرة كالانبوبة لخروج الصوت، واللسان والشفتان والاسنان لصياغة الأصوات والنغم، الا ترى ان من سقطت اسنانه لم يقم السين، ومن سقطت شفته لم يصحح الفاء، ومن ثقل لسانه لم يفصح الراء، وأشبه شيء بذلك المزمار الاعظم، فالحنجرة تشبه قصبة المزمار، والرئة تشبه الرّق الذي ينفخ فيه لتدخل الريح، والعضلات التي تقبض على الرئة ليخرج الصوت كالاصابع التي تقبض على الرّق حتى تجري الريح في المزامير، والشفتان والاسنان التي تصوغ الصوت أصواتا ونغما كالاصابع التي تختلف في فم المزمار، فتصوغ صفيره الحانا غير انه وان كان مخرج الصوت يشبه المزمار بالآلة والتعريف، فأن المزمار في الحقيقة هو المشبه بمخرج الصوت) [2].

وفي هذا النص النفيس التفاتات مهمة لعمل اعضاء النطق واثرها في انتاج الاصوات، فضلاً علانه يعد اول اشارة حقيقية لتشبيه مخرج الصوت بالمزمار، وسواء انسب هذا النص للأمام الصادق (ع) أم للمفضل، فتعد محاولتهما سابقة لأبن جني الذي شبه مخرج الصوت بالمزمار، فضلاً علانه اكد حقيقة مهمة في ان المزمار هو الذي يشبه بمخرج الصوت وليس العكس، كما ان الامام الصادق (ع) قد فرق بين وظيفة الاعضاء الصوتية، ووظيفتها العامة التي وضعت من اجلها، وذلك من خلال قوله للمفضل : (قد انبأتك بما في الاعضاء من الغناء في صفة الكلام واقامة الحروف، وفيها مع الذي ذكرت لك مآرب أخرى، فالحنجرة ليسلك فيها

---

[1] شرح الشافية، ج3، ص252.

[2] توحيد المفضل، ص62-63.

هذا النسيم الى الرئة فتروح على الفؤاد بالنفس الدائم المتتابع الذي لو حبس شيئا يسيرا لهلك الانسان، وباللسان تذاق الطعوم . . .) [1].

وهكذا يأخذ بسرد وظائف الاعضاء الاخرى .

وتحدث في موضع اخر عن الحلق والمريء، وبين ان للحلق منفذين، احدهما لمخرج الصوت، وهو الحلقوم المتصل بالرئة، والاخر منفذا للغذاء، وهو المريء المتصل بالمعدة الموصل الغذاء اليها، وجعل على الحلقوم طبقا لمنع الطعام من الوصول الى الرئة، فلو وصل اليها لقتل الانسان [2].

كما انه عرف بالرئة أنها مروحة الفؤاد لا تفتر ولا تختل لكيلا تتصير الحرارة في الفؤاد، فتؤدي الى التلف [3].

وهو بذلك سابق للفارابي الذي ذهب المذهب نفسه في وظيفة الرئة، واضاف الى ذلك ان النفس يمر منها الى تجويف الحلق ومنه الى طرف الحلق الى ان يخرج من الشفتين [4].

ولقد كان للفارابي اشارة دقيقة لمفهوم اعضاء النطق، إذ إنه اطلق على هذا الجهاز (أعضاء النطق) [5].

وهو بذلك مهد لأستقرار مفهوم المصطلح ودلالته، وادرج فيه مجموعة من الاعضاء التي لها اثر مهم في انتاج الاصوات اللغوية إلا أنه اكتفى بسرد هذه الاعضاء من دون ان يفصل القول فيها، فضلاً علىانه لم يوردها كلها كما فعل سابقوه، فجاء كلامه على اعضاء الصوت والاعضاء المعينة لحدوثه مجملا وخاليا من التفصيلات [6].

فأنه قد اجمل ان الاعضاء التي يحدث من خلالها هي اعضاء الصدر وبعض الاعضاء التي تتجاوز الصدر من تحته، من نحو الاضلاع والخواصر، وبعض اجزاء الاعضاء التي تجاور الحلق واللهاة والانف، واشار الى ان هذه الاماكن لحدوث الاصوات تتفاوت في درجة

---

[1] توحيد المفضل، ص63.

[2] المصدر نفسه، ص65-66.

[3] المصدر نفسه، ص66.

[4] الحروف، ص136.

[5] الموسيقى الكبير، ص1068.

[6] الدرس الصوتي والدلالي عند الفيلسوف الفارابي، ص50.

انتاج الاصوات، فبعضها ذو اهمية كبيرة لحدوث الصوت، وبعضها اقل اهمية، أو كما يصفها بانها اكثر معونة وبعضها اقل معونة [1].

ولعله يقصد بذلك ان بعض هذه الاعضاء له وظيفة كبيرة أو اساسية لحدوث الصوت كالرئتين أو القصبة الهوائية، وبعضها تكمن اهميته في جانب آخر، وما أصدار الصوت إلا وظيفة ثانوية كالاسنان . فإنها وصفت لقطع الطعام، وهي في الوقت نفسه تصدر عنها مجموعة من الاصوات تسمى (الاصوات الاسنانية) فجوهر المسألة يكمن في وظيفة العضو الاساسية التي خلق من اجلها، ومن ثم دعاه ذلك لوصف بعض اعضاء الصوت بأنها تتفاوت فيما بينها في معونة حدوث الصوت .

ومهما يكن من امر فأن تفصيلات الفارابي لأعضاء النطق لا تتعدى الاجزاء الآتية وهي :

الحلق واجزائه (اسفل الحلق، وتجويف الحلق، مقدم الحلق، طرف الحلق).

واللهاة، والانف، والفم، ويضم مجموعة من الاجزاء اطلق عليها (اجزاء باطن الفم) . كالشفتين واللسان والاسنان [2].

والشيء الذي يذكر للفارابي انه حاول ان يبين مفهوم بعض تلك الاعضاء، من ذلك اللسان الذي عده اهم عضو من اعضاء الصوت، وبين انه يتألف من مجموعة من العضلات تتخذ اشكالا متعددة، فمنها تحرم اللسان من اتخاذه اوضاعا مختلفة في الاتجاهات المختلفة، ومنها عضلات تساعد اللسان في اتخاذه اوضاعا متعددة، ومن هذه الاوضاع المتعددة يستطيع اللسان ان يخرج الصوت من جزء الى اخر من اجزاء الفم [3] .

في حين اكتفى بذكر اسماء بعض تلك الاجزاء من دون ان يبين مفهومها من نحو (اللهاة) فلم يتطرق الى بيان مفهومها كما فعل في اللسان فقال : (والحرف صوت له فضل من يحدث فيه بقرع شيء من اجزاء الفم من لهاة أو شيء من اجزاء الحلق) [4].

ومثلها الانف والفم، فلم يتطرق الى شرحهما وتوضيحهما بشكل دقيق [5].

---

[1] الموسيقى الكبير، ص1068

[2] المصدر السابق، ص1066-1068. والحروف، ص136-137.

[3] الحروف، ص136.

[4] شرح العبارة، ص29.

[5] الحروف، ص136.

لقد احدث ابن سينا نقلة نوعية في وصف اعضاء النطق الانساني، وذلك عندما ذكر كل ما يتعلق بهذا الجهاز ووصفه وصفا دقيقا يكاد يقرب من وصف المحدثين، مما اعطاه ميزة التفرد عن سابقيه، ولعل اشتغاله بالطب قد ساعده في ذلك .

فقد تحدث عن الرئة وذكر فائدتها . بأنها للأستنشاق واعداد الهواء للقلب، ويساعد الرئة في هذه العملية الحجاب وعضل الصدر، أما قصبة الرئة فأنها عضو مؤلف من غضاريف كثيرة ودوائر يصل بعضها الى بعض، وقصبة الرئة مكونة من نصف دوائر غضروفية يكمل نصفها الدائري الآخر جسم غشائي، ويكون داخلها املس يميل في بعض الاحيان الى اليبس والصلابة أما غضروفها القريب من الحنجرة فيدعى (الفوقاني) . واما طرفها الاسفل فينقسم الى قسمين يصلانها بالرئة [1].

كما انه عرف بالحنجرة تعريفا دقيقا وبين اجزاءها إذ (الحنجرة هي عضو غضروفي خلق آلةً للصوت) [2] .

وهي تتكون من ثلاثة غضاريف :-

1- **الدرقي أو الترسي** : وهو موضوع الى قدّام يناله المسّ في المهازيل جدا، عند اعلى العنق، وتحت الذقن وشكله شكل القصعة حدبته الى الخارج والى قدّام، وتقعره الى داخل والى خلف وسمي بالدرقي لأنه يشبه الدرقة [3].

2- **الذي لا أسم له** : وهو خلف الغضروف الدرقي وسطحه مقابل لسطحه متصل به بالرباطات من جهة اليمين واليسار منفصل عنه الى فوق وفائدته تضييق فتحة الحنجرة وفتحها مع الغضروف الدرقي، فإذا تقارب هذا الغضروف مع الغضروف الدرقي وتضاما حدث تضييق الحنجرة، واذا تباعدا، حدث اتساع الحنجرة، وبسبب التقارب والتباعد يحدث الصوت الحاد والثقيل [4].

3- **الطهرجالي** : وهو غضروف مكبوب على الغضروفين السابقين، فيفصل بالذي لا اسم له، ويلاقي الدرقي من غير إتصال، وبينه وبين الذي لا اسم له مفصل مضاعف بنقرتين فيه، وتهندم فيه زائدتان من الذي لا اسم له، وبتباعدهما احدهما عن الآخر يكون توسع

---

[1] القانون في الطب، ص1121-1122.

[2] المصدر نفسه، ص64.

[3] اسباب حدوث الحروف، ص64 . والقانون في الطب، ص64.

[4] اسباب حدوث الحروف، ص65. والقانون في الطب، ص64.

الحنجرة وضيقها، وبأنكباب الطهرجالي على الدرقي ولزومه اياه وبتجافيه عنه يكون انفتاح الحنجرة وانغلاقها[1].

كما انه تحدث عن العظم اللامي والذي يقع امام الحنجرة وهو شبيه باللام في كتابة اليونانيين (Λ) وهو عظم مثلث الشكل، ويتصل بالدرقي عرضا، ويمضي كل واحد من وريديه حتى يجاوز المريء يمينا ويسارا، ويلاقي الآخر ويتصل به، وفائدته ان يكون متشبثا وسندا ينشأ منه ليف عضل الحنجرة [2].

وذكر ابن سينا اللسان وبين انه جوهر لحمي وهو ابيض تحتويه عروق صغار متداخلة ودموية وبسببها يكون اللسان احمر، وانه متكون من ثماني عضلات تحركه يمينا ويسارا وتجذبه الى قدّام فتؤدي الى امتداد اللسان وإطالته، وعضلات تميل اللسان الى فوق والى الداخل .

وقد قسم اللسان إلى اربعة اقسام : (سطح اللسان، طرف اللسان، وسط اللسان، اصل اللسان)، ولم يصف ابن سينا اقسام اللسان وصفا شاملا، وانما اكتفى بالاشارة اليها من خلال حديثه عن مخارج بعض الاصوات التي يكون اللسان طرفا فيها [3].

اما الاسنان فقد قسمها إلى اربعة اقسام هي :-

أ- القواطع : وعددها ثمانية اسنان .

ب- الانياب : وعددها اربعة اسنان .

ج- الطواحن : وعددها اربعة أو خمسة من كل جانب فوق وتحت .

د- النواجذ : وعددها اربعة اسنان .

كما اشار الى فتحات الاسنان التي تخرج الهواء، وسماها (خلل الاسنان)[4].

وعلى الرغم من ان ابن سينا وصف اعضاء النطق وصفا دقيقا، فأنه اكتفى بذكر بعضها من دون ان يفصّل فيها كما فعل في حديثه عن الحنك فاكتفى في ذكر الاصوات الخارجة منه، ووصفه بالحنك، وتارة يصفه بسطح الحنك، وكذلك الشجر [5].

---

[1] اسباب حدوث الحروف، ص65 . والقانون في الطب، ص64.

[2] اسباب حدوث الحروف، ص69. والقانون في الطب، ص64-65.

[3] القانون في الطب، ص1061. واسباب حدوث الحروف، ص70-71، ص 79،85.

[4] القانون في الطب، ص64. اسباب حدوث الحروف، ص80.

[5] اسباب حدوث الحروف، ص73، 75، 77.

وذكر (الخياشيم) واشار الى اهميتها في تقطيع الاصوات وتسهيل اخراجها لئلا يزدحم الهواء عند المواضع التي يحاول فيها تقطيع الاصوات . وغالبا ما يسميه الانف أو الحنجرة [1].

اما الشفتان فقد وصفهما بأنهما عضوان يشكلان غطاء للفم والاسنان ووظيفتهما اخراج الكلام، فضلاً علىاخراج بعض الاصوات اللغوية مثل (الفاء والواو)و بانطباقهما (الباء والميم)[2] .

اما اللهاة فعرفها : بأنها جوهر لحمي معلق بأعلى الحنجرة كالحجاب وفائدتها المساعدة في تنسيق الهواء الداخل في عمله الشهيق لكي لا تدخل برودته الى الرئة فجأة، فتكون مفرغة للصوت، فكأنها باب موصد على مخرج الصوت، لذلك يضر قطعها بالصوت [3].

وفي وصفه هذا للهاة وفائدتها يكون متابعا للأمام الصادق (ع) والفارابي كما انه تحدث عن لسان المزمار وبين انه يكون في داخل الحنجرة، وهو مثل الزائدة التي تمثل رأس المزمار، وهو عضو خلق لأجل التصويت .

فيتضايق عنده طرف القصبة ثم يتسع عند الحنجرة، فيبتدئ من سعه الى ضيق، ثم فضاء واسع كما في المزمار [4].

وبذلك يكون ابن سينا قد أضاف إضافات مهمة في وصف اعضاء النطق، لم يصرح بها سابقوه، ولعل اشتغاله بالطب ساعده كثيرا في الوقوف على التفصيلات التشريحية لهذه الاعضاء . إذ أفاد منها المتأخرون من علماء العربية، واننا لا نقول انهم قد تأثروا بما جاء به ابن سينا في هذا الجانب، وانما كانت مباحثه مصدرا مهما لمن يريد الوقوف على وصف اعضاء النطق الانساني من علماء العربية الذين جاءوا من بعده .

فكان لعلماء التجويد مباحث مهمة في وصف اعضاء النطق، بل انهم قد اطلقوا عليها مصطلحا عاما هو (آلة النطق) [5].

ان دراسة علماء التجويد لأعضاء النطق إنمازت عن دراسة السابقين لهم واللاحقين من علماء العربية بأنهم قد وصفوا بعض اعضاء النطق وصفا دقيقا مستعينين بما توافر لهم من

---

[1] اسباب حدوث الحروف، ص83، والقانون في الطب، ص46.

[2] القانون في الطب، اسباب حدوث الحروف، ص82.

[3] القانون في الطب، ص1103.

[4] القانون في الطب، ص1122.

[5] الموضح في التجويد، ص178.

معلومات بعلم التشريح مع ايراد بعض الرسوم التوضيحية، إذ أورد ابن وثيق الاندلسي (ت 654 هـ) . رسما تخطيطيا مبسطا يمثل الحلق واللسان والشفتين، وكتب على اجزائه صورة الحلق وحروفه ، هذا اول اللسان وحروفه ، الحنك الاعلى والحنك الاسفل، والشفة السفلى، مقدم الرأس .

وقد وزع ابن وثيق الاصوات العربية على اجزاء هذه الصورة [1].

وقد وصف علماء التجويد الرئة وعرفوها : بأنها لحم رخو متخلخل كالزبد الى بياض، وفائدتها هي الترويح على القلب بالهواء المستنشق من القصبة، وقسموا القصبة الى شعبتين ترتبط بالرئة وتنتهي بالحنجرة، واطلقوا عليها (قصبة الرئة) .

وعرفوا باللهاة : أنها اللحمة المسترخية كالزنمة في اقصى الحلق، وتكتنفها النغنغة، وهي لحمة في اصل الاذن من باطن، وبينوا ان فائدتها تشكيل الصوت وتعديل الهواء .

وذهبوا الى ان اللثة ليست من الحنك الاعلى، بل اسفل منه حول الاسنان، وهي اللحم الذي تتركب فيه الاسنان أو منبت الاسنان .

وعرفوا باللسان : أنه لحم رخو يحتوي على اوردة وشرايين واعصاب كثيرة، وقسموه الى اربعة اقسام : **(اقصى اللسان، ووسطه، وطرفه، وحافته).**

وعرفوا بالخياشيم تعريفا اكثر دقة من سابقيهم من علماء العربية، إذ عرفوه بأنه خرق الفم المنجذب الى داخل الفم، والمركب فوق غار الحنك الاعلى [2].

وعلى الرغم من ان علماء التجويد قد وصفوا بعض هذه الاعضاء بدقة فأن هناك بعضا منها، لم يعطوا لها وصفا دقيقا، وانما اكتفوا بذكرها فقط من ذلك الحلق، فاكتفوا بتقسيمه الى ثلاثة اقسام هي : **(اقصى الحلق ووسطه وادناه)**، والفم، والشفتين، إذ اكتفوا ببيان اثرهما في انتاج بعض الاصوات اللغوية، وكذلك الاسنان والحنجرة [3].

وعلى العموم فوصف علماء التجويد لأعضاء النطق يكاد يكون وصفا دقيقا، ما خلا الحنجرة التي لم يتمكنوا من وصفها، لأنها لا تقع تحت النظر،غير أنذلك لا يمنع من انهم

---

[1] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص108.

[2] الرعاية، ص111-115. والنشر، ج1، ص198. والدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص97-113.

[3] النشر، ج1، ص198. الموضح، ص85.

عرفوها وادركوا تأثيرها في انتاج الأصوات اللغوية[1] وتركوا وصفها لاكتفائهم بوصف غيرهم لها وصفا مفصلا كأبن سينا .

وبذلك يكون علماء العربية قد ذكروا اعضاء النطق الانساني، ووصفوها وصفا، ينم عن معرفة واسعة واطلاع عميق، وادراك سليم لوظائف جهاز النطق، بل ميزوا بين وظائفها النطقية، ووظائفها الفسلجية، بغض النظر عن تفاوت وصفها بين عالم واخر، وذلك مرده الى طبيعة المعرفة المتحصلة لكل عالم، وما توافر له من وسائل يستطيع من خلالها الوقوف على تفصيلات اكثر لكل عضو من اعضاء النطق، فضلاً علىمنهجية كل عالم في بسط المادة التي احتوت على مباحث لأعضاء النطق .

كما ان دراسة اعضاء النطق لا تتطلب من عالم الاصوات أو اللغة المعرفة الواسعة بكل تفاصيل جهاز النطق، لأن ذلك له ميدانه الخاص به وهو الطب، وانما يكفيه الاحاطة بهذا العلم ومعرفة بعض جوانبه التي لها علاقة بموضوع دراسته، كالمعرفة الجزئية لأهم اعضاء النطق الانساني، فلا بأس عليه إذا ما أخطأ أو لم يعط تفصيلات دقيقة لبعض هذه الاعضاء، أو اغفل بعضها، ويمكن ايجاد العذر له في حين لا يعذر من هو مختص في هذا الجانب، وانما يكفي عالم اللغة معلومات يسيرة عن هذا الجهاز، تساعده في معرفة مواقع النطق ومخارج الاصوات . مما دعا الفخر الرازي يؤكد ضرورة معرفة علم التشريح للوقوف بدقة على اعضاء النطق لمعرفة اسباب حدوث الاصوات ومخارجها وصفاتها [2].

ومهما يكن من امر فأن علماء العربية قد عرفوا اعضاء الجهاز النطقي بالاستناد الى معرفتهم اللغوية بمواضيع (خلق الانسان) . حتى الفوا فيه الكثير من الكتب، وهو جانب دلالي غني بالمعارف الطبية، فضلاً علىاعتمادهم الملاحظة والتجربة التي اوصلتهم الى وصف كاف لأليات النطق والتحقق من مخرج الصوت وصفته[3] . وعلى الرغم من ان الملاحظة قاصرة على اكتشاف بعض اجزاء جهاز النطق الانساني كالوترين لعدم وضوحها للعين .

فأن ذلك لا يقلل من جهود علماء العربية في دراسة جهاز النطق وما توصلوا اليه من نتائج طيبة . فجاء وصفهم مقاربا لوصف المحدثين مع زيادة المحدثين لبعض التفصيلات الدقيقة لهذا الجهاز النطقي بفضل ما توافر لهم من اجهزة دقيقة لكشف اعضاء الجهاز النطقي

---

[1] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص109-110.

[2] التفسير الكبير، ج1، ص11.

[3] اصالة علم الاصوات، ص51.

وبيان تفصيلاته الدقيقة التي وفرها لهم التقدم العلمي الكبير في مجال الطب والمختبرات الصوتية المزودة بالاجهزة [1].

[1] علم اللغة العام – الاصوات –، ص64. الكلام : انتاجه وتحليله، ص91.

ثانيا : الابجدية العربية

استعمل العرب بوصفهم يتحدثون احدى اللغات الانسانية، طريقة صوتية خاصة بهم لها اتجاه معين في التعبير، بفضل حسهم المرهف وبراعتهم في استعمال اعضاء النطق، فاستطاعوا ان يصدروا ألوانا من الاصوات لم يستطع غيرهم ان ينطق بها [1] .

فبعض القبائل الافريقية لا تستطيع النطق بالاصوات الشفوية (ف، ب، م، و) ومن ثم لم توجد في ابجديتهم، ومعظم الاستراليين الاصليين لا ينطقون بأصوات الصفير (س، ص، ز) . وكذلك شعوب نيوزلندا، وبعض هنود كولومبيا [2].

اما الابجدية العربية فقد شملت معظم الاصوات التي يمكن النطق بها، وقد حافظت على وضوح تلك الاصوات، وابتعدت بها عن الالتباس في المخارج لحرص العرب على اخراج كل صوت من موضعه المناسب جريا على الاصول الفنية الصوتية، وعلى حسب الملكة الموسيقية الكامنة فيها [3].

ولقد قيل الكثير في الاصوات العربية وميزتها عن الابجديات الانسانية مما لا مجال لذكره في هذا الموضع [4].

كما اننا لا نريد ان نتطرق الى تاريخ نشوء الابجدية العربية حتى وصلت الى ما هي عليه اليوم، فقد اشبع درسا من الباحثين[5] .

والذي يهمنا في هذا الجانب هو اصوات العربية المتعارف عليها في وقتنا الحاضر . والتي عدتها (تسعة وعشرون) صوتا، اولها صوت الهمزة واخرها صوت الياء على المشهور في ترتيب المعجمات، ولها اشكال صورية ثابتة، فضلاً علىبعض الاصوات المتفرعة عنها، ما استحسن منها وما استقبح .

وقد نقل عن بعض العلماء كالمبرد انه يعد الابجدية العربية (ثمانية وعشرين) صوتا، فجعل (الباء) اولها واهمل (الالف)، وحجته في ذلك انها همزة، لأنها ليس لها صورة مستقرة، لذلك لا يعدها من الاصوات التي اشكالها محفوظة ومعروفة [6] .

---

[1] اللغة الشاعرة، ص12.

[2] تاريخ اداب العرب، ص100-101 . والفلسفة اللغوية، ص9.

[3] اللغة الشاعرة، ص98.

[4] الابجدية العربية اكمل الابجديات، ص393. (بحث) .

[5] رسم المصحف، ص222. الدراسات اللغوية عند العرب، ص170.

[6] المفصل، ج1، ص126 . سر الصناعة، ج 1، ص46. الزينة، ج1، ص64. كلام العرب، ص16.

وقد رد العلماء العرب رأي المبرد، واثبتوا ان الهمزة غير الالف لأختلاف مخرجهما، فضلاً علىاختلاف وظيفتهما الدلالية في بنية الكلمة [1].

ان الحديث عن الابجدية الصوتية العربية لا يمكن له ان يمر من دون ذكر الخليل إذ مما لا شك فيه إن الالفاظ العربية تتألف من تلك الابجدية، ومحاولة أحصائها يقتضي طريقة معينة، وقد ادرك الخليل وهو يضع اول معجم عربي حاجته الى ترتيب يرتب في ضوئه هذا المعجم الذي يكون مدار كلام العرب والفاظهم فلا يخرج منها عنه شيء [2]. فواجه فكرته نظامان :-

الاول : النظام الابجدي المعروف عند السريان (ابجد هوز) واتبعته اللغات الاخرى، لأن الشعوب استعملت هذا الترتيب كالفينيقية والارامية والبابلية والعبرية وتابعتهن العربية في ذلك[3].

الثاني : النظام الالفبائي : الذي وضعه نصر بن عاصم (ت 89 هـ) لترتيب الابجدية العربية ترتيبا صوريا على النحو الآتي : أ،ب،ت،ث،ج،ح، . . . وحل هذا الترتيب محل الترتيب الابجدي الاول في عهد عبد الملك بن مروان، على يد نصر بن عاصم، فأصلح الخط وميز الأصوات والحركات، فرتب الأصوات حسب صورها في النظام الالفبائي السائد في يومنا هذا، وكان أبو الاسود الدؤلي (ت69هـ) صاحب الفضل في ذلك [4] .

ان الخليل لم يأخذ بأحد هذين النظامين، فأعمل فكره فلم يمكنه ان يبتدئ التأليف بالالف، لأنه صوت معتل، ولم يأخذ بالترتيب الابجدي الذي يبدأ بالهمزة لأنها إذا رفه عنها لانت فصارت الياء والواو [5].

فرأى ان يرتب الابجدية صوتيا على وفق مخارج اصواتها وما لها من ارتكاز في جهاز النطق بعد ان ذاق الاصوات، فوجد مخرج الكلام كله من الحلق فصير اولاها بالابتداء ادخل اصواتها في الحلق [6].

وبذلك تجاوز اقصى الاصوات مخرجا (الهمزة والهاء والالف) . ونزل الى الحيز الثاني، فلم يبدأ بالهمزة لأنها يلحقها النقص والتغيير والحذف، ولا بالالف لأنها لا تكون في ابتداء كلمة ولا في اسم ولا فعل الا زائدة مبدلة، ولا بالهاء لأنها مهموسة خفية، لا صوت لها، فنزل الى

---

[1] سر الصناعة، ج1، ص46-48. حاشية الصبان، ج4، ص286-287. سر الفصاحة، ص20-21.

[2] العين، ج1، ص47.

[3] تاريخ اللغات السامية، ص 92، 99، 100.

[4] تاريخ اداب اللغة، ص101-103.

[5] العين، ج1، ص47-52.

[6] المصدر نفسه ج1، ص47.

الحيز الثاني وفيه العين والحاء، فوجد العين انصع الصوتين، فبدأ به ليكون أحسن في التأليف [1].

فأذا انتهى من مجموعة اصوات الحلق بدأ بمجموعة اللهاة وفيها صوتان هما (القاف والكاف)، وهكذا ينتقل من مخرج أو مدرج الى ما يليه حتى ينتهي الى مدرج الشفتين، وبعد ان ينتهي من (الأصوات الصحيحة)، يعقد بابا لـ(اصوت العلة)، وهو اخر ابواب كتاب العين، لأنه وضع هذه الاصوات في اخر كتابه، وسماها (أصوات الجوف) ليس لها مخرج تنسب اليه الا الجوف [2].

وبذلك يكون ترتيب الابجدية العربية عند الخليل على النحو الآتي :-

ع،ح،هـــــــ،خ،ت،غ،ق،ك،ج،ش،ض،ص،س،ز،ط،د،ت،ظ،ث،ذ،ر،ل،ن،ف،ب،م،و،ا، ي،الهمزة

وقد نقل ابن منظور (ت 711 هـ) ترتيب الخليل المشار اليه آنفا، رواية عن الخليل مع احداث بعض التغيرات الطفيفة من نحو : تقديم الذال على الثاء، في المخرج نفسه، وجعل الواو بجوار الياء، قبل الالف، مع تقدم الياء(ي و ا)[3].

وقد سار على طريقة الخليل طائفة من المعجميين حتى سميت (مدرسة العين) . لاتباعها منهج الخليل في ترتيب المادة المعجمية من امثال، الازهري (ت370هـ)، والصاحب بن عباد (ت385هـ)، وابن سيده (ت458هـ)، والقالي (ت371هـ) [4].

وقد اختصر الزبيدي (ت379هـ) عمل الخليل في كتاب سماه (مختصر العين) . إلا أنه حذف المقدمة الصوتية منه واضاف اليه كثيرا [5].

اما اصحاب المعجمات الاخرى فقد اعرضوا عن نظام الخليل وترتيبه الصوتي للأبجدية، واتبعوا الترتيب الهجائي من نحو ابن دريد في الجمهرة وابن فارس (ت395هـ) في المقاييس، والزمخشري (ت538هـ) في اساس البلاغة وغيرها من المعجمات الاخرى [6] .

---

[1] المزهر، ج1، ص90.

[2] العين، ج1، ص51-58.

[3] لسان العرب ج1، ص7 . والمعاجم اللغوية : ابو النجا، ص17.

[4] المعجم العربي، نشأته، وتطوره، ج 1، ص150.

[5] مختصر العين، ج1، ص12.

[6] المعجم العربي، نشأته، وتطوره، ج1، ص150.

ولعل السبب في ذلك ما اوضحه ابن دريد . إذ قال : (وقد الف ابو عبد الرحمن الخليل ابن احمد الفراهيدي كتاب العين اتعب من تصدى لغايته وعنى من سما الى نهايته . . . . ولكنه – رحمه الله – الف كتابه مشاكلا لثقوب فهمه وذكاء فطنته وحده . .) [1] .

وقد سار سبيويه على منوال الخليل في ترتيب الابجدية الصوتية ترتيبا مخرجيا إذ رتبها على النحو الآتي[2] :-

الهمزة،ا،هـ،ع،ح،غ،خ،ك،ق،ض،ج،ش،ي،ل،ر،ن،ط،د،ت،ص،ز،س،ظ،ذ،ث،ف،ب،م،و

.

وتابعه في ذلك علماء العربية [3].

وعلى الرغم من ان ابن جني قد انتقد ترتيب الخليل، وتبنى ترتيب سيبويه وعده الصواب الذي يشهد له التأمل بصحته، فسار عليه اصحابه، فأنه اورد ترتيب سيبويه مع اختلاف في مجموعة الاصوات (ق،ك،ج،ش،ي،ض) . فقدم واخر على بعض بما يخالف ترتيب سيبويه [4].

ويبدو أناختلاف نسخ الكتاب كان له الاثر في هذا التغير [5].

كما إن ابن جني لم يكن منصفا في انتقاده للخليل، لأن الخليل وضع كل صوت في مخرجه المناسب له، ما خلا (الياء) التي ليست للمد فلم يذكرها في مكانها المناسب، وعده الهمزة اخر الاصوات مخرجا وانها ليس لها حيز تنسب اليه [6] .

ويبدو أنذهابه الى ان المادة العلمية في كتاب العين ليست من عمل الخليل وانما الفكرة وحدها هي للخليل هو السبب في انتقاده للخليل [7] .

بل ان الانتقاد موجه الى ابن جني نفسه، إذ إن الترتيب الصوتي الذي اختاره ابن جني لم يتبعه في عرض مادة كتابه (سر الصناعة) . والذي يعد من الكتب المعدة للدراسة الصوتية، فأكتفى بالاشارة اليه ولم يطبقه من الناحية العملية، وانما سار على النظام الهجائي المبني على اساس الاعجام ، حتى ان سيبويه الذي سار على نهجه ابن جني في ترتيب الاصوات مخرجيا

---

[1] الجمهرة، ج1، ص3.

[2] الكتاب : ج2 ، ص405.

[3] المقتضب، ج1، ص192 . والاصول، ج3، 399. شرح الشافية، ج3، 255. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص175 .

[4] الكتاب، ج2، ص405. سر الصناعة، ج1، ص50-51.

[5] علم اللغة العام – الاصوات –، ص115.

[6] العين، ج1، ص65.

[7] المعاجم اللغوية، ص20-29.

قد طبق ذلك عمليا في ظاهرة الادغام، فبدأ بما يدغم من اصوات الحلق وانتهى بأصوات الشفتين [1].

فأذا كان ابن دريد قد احتج بأن كتابه للخاصة والعامة من المتعلمين، فليس لأبن جني حجة في ذلك، لأن كتابه يضم معاني دقيقة من علم الصوتيات، فلم يؤلفه لعامة الناس، بل لخواص الباحثين والمتضلعين باللغة ومن أربابها وفرسانها[2].

ومهما يكن من امر فأن العلماء العرب لم يكتفوا بذكر الابجدية العامة لأصوات العربية التي تضم (تسعة وعشرين) صوتا اصليا، بل ذكروا اصواتا فرعية لها، أو كما يسميها ابن سينا (الأصوات الشبيهة لهذه الأصوات، وليست في لغة العرب) [3].

وقسموها إلى قسمين [4] :-

الاول : الاصوات المستحسنة : وعدتها (ثمانية) اصوات هي :

1- الهمزة المخففة، وتسمى همزة بين بين .

2- الجيم التي تقرب الى الزاي كما في (اجدر) .

3- الشين التي كالجيم، كقولك (اجدق) في (اشدق) .

4- الشين التي تقرب من الزاي . كما في (اشدق) فتضارع بها الزاي .

5- الصاد التي كالزاي، نحو (يصدر) تقول (يزدر).

6- النون الخفيفة، وهي ساكنة نحو . منك، وعنك .

7- الف الامالة، وهي الالف المخلوطة بالياء . نحو عالم وخاتم .

8- الف التفخيم، وهي الالف المخلوطة بالواو . نحو الصلوة، الزكوة .

وبذلك يصبح عدد الابجدية العربية (سبعة وثلاثون) صوتا ، والاصوات الثمانية المضافة مستحسنة في قراءة القرآن وفصيح الكلام .

الثاني : الاصوات المستقبحة : وعدتها (اثنا عشر) صوتا هي:

---

[1] الكتاب، ج2، ص408 وما بعدها.

[2] سر الصناعة، ج1، ص20.

[3] اسباب حدوث الأصوات، ص86.

[4] الكتاب، ج2، ص405. الجمهرة، ج1، ص5 . المقرب، ج1، ص326. الصاحب، ص57 . شرح المفصل، ج1، ص127-128.

1- **الباء التي كالفاء** : نحو اصبهان، وهي كالنطق بصوت (P) في اللغة الانكليزية.

2- **الباء التي كالميم**، وهي لغة بني مازن، يقولون : بأسمك ؟ في ما اسمك ؟.

3- **الجيم التي كالشين** نحو : اجتمعوا – اشتمعوا .

4- **الجيم التي كالكاف** نحو : رجل – ركل .

5- **الصاد التي كالسين** نحو : صالح – سالح .

6- **الضاد الضعيفة** . وهي من طرف اللسان، مطبقة، لم تخرج من مخرج الضاد، فيضعف اطباقها فتخرج عند قوم (ظاء) أي من مخرج طرف اللسان واطراف الثنايا .

7- **الطاء التي كالتاء**، نحو : سلطان – سلتان .

8- **الظاء التي كالثاء**، نحو : ظلم – ثلم .

9- **الكاف التي بين الجيم والكاف** . نحو : كافر – جافر .

10- **صوت بين الكاف والقاف** . نحو : القوم – الكَوم .

11- **الواو التي كالباء** . نحو هذا ابن بور، فيكون نطقها مثل صوت (V) الانكليزية .

12- **الباء التي كالواو** . نحو : قيل وبيع بالاشمام .

وهذه الاصوات تسمى الاصوات المستقبحة، لا يؤخذ بها في قراءة القرآن، ولا في الشعر، ولا توجد الا في لغة ضعيفة أو مرذولة، وقد دخلت هذه الاصوات الى العربية على لسان القبائل التي اخذتها من لغات اخرى كالفرس والروم والسريان والحبشة ممن خالطهم العرب في الازمنة المتقدمة [1] .

لذلك الاصوات المستحسنة، والاصوات المستقبحة تكاد تكون اصواتا مضطربة بين مخارج النطق، فليس لها مخرج واضح كالاصوات الاصلية، لذلك استقر الهجاء العربي على عدد محدود من اصوات المعجم واضح كل الوضوح. اذ يعرف كل صوت طريق خروجه وتكوينه في اعضاء النطق، فأعطى العلماء العرب كل صوت شكله الكتابي ومخرجه الصوتي، من غير أنيلتبس بسائر الاصوات الاخرى، ولو كانت مقاربة له في الاداء [2] .

---

[1] تاريخ اداب اللغة، ص112.

[2] اللغة الشاعرة، ص8-12.

وبذلك اصبحت الابجدية العربية تشمل (تسعة وعشرين) صوتا حسنا في النطق، وروعة في الاداء، ودقة في الاصوات [1].

وعلى الرغم من ان ابن سينا قد رتب الابجدية العربية ترتيبا صوتيا فكان ترتيبه على النحو الآتي [2] :-

(الهمزة، هـــــــ، ع، ح، خ، ق، غ، ك، ج، ش، ض، ص، س، ز، ط، ت، د، ث، ظ، ذ، ل، ر، ف، ب، م، ن، الواو، والياء (الصامتتان) والالف.

فأنه افرد (الواو والياء) المصوتتين في آخر ابجديته، لأن لهما وضعا خاصا، وهو بذلك ميز بين الخصائص الصوتية لـ(الواو والياء) على الرغم من اتحاد رسمهما الكتابي في داخل الابجدية، وهو ما لم يشر اليه سابقوه.

ويبدو لي أن العرب وضعوا ابجديتهم الصوتية مستندين الى حسهم المرهف، وعقليتهم المبدعة . التي حاول قسم من الدارسين ان يطعن بهذه العقلية من خلال الخليل بزعم ان منهج الخليل في ترتيب الاصوات بحسب المخارج متأثر بنظام ترتيب الاصوات عند الهنود من علماء السنسكريتية بحجة ان هذا المنهج ينم عن علم ناضج . ولم تكن العربية وعلماؤها بهذا النضج العلمي في ذلك الزمن المبكر لنشأة العلوم العربية فأقتباس هذا المنهج من حضارات سابقة تتمتع بمفاهيم لغوية متطورة تطورا بعيدا هو الامر الصواب في زعم هؤلاء [3].

وفات هؤلاء ان ترتيب الاصوات مخرجيا، هو من افكار الخليل وحده [4]. لأن نشأة الدرس الصوتي على يد الخليل كانت ضمن الجو الحضاري الناهض في زمن الخليل، فلم تكن طفرة في عصر راكد أو متخلف . واذا كان الخليل اقتبس هذا العلم من الامم الاخرى، فماذا نقول في تلك العلوم الكثيرة التي نشأت مع علم الاصوات كالمعجم والنحو والصرف والبلاغة والتفسير والفقه ؟ ! فضلاً علىخلو عمل الخليل من اي مصطلح صوتي دخيل أو معرب، والعلوم المترجمة تكون حافلة بالمصطلحات الدخيلة، التي يمكن ان نجد صداها في عمل الخليل [5].

لقد قيل الكثير في هذه المسألة، واثبت العلماء والباحثون عدم صحة ذلك التأثر، فيما يخص عمل الخليل، مما لا مجال لذكره في هذا الموضع [6].

---

[1] اصوات اللغة العربية، ص81.

[2] اسباب حدوث الحروف، ص113-126. والدرس الصوتي عند ابن سينا، ص50.

[3] تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، ص106.

[4] تاريخ التراث العربي : مج 1،8، ص18-22. دائرة المعارف الاسلامية، ج8، ص436.

[5] اصالة علم الاصوات، ص18-19.

[6] المعجم العربي، نشأته وتطوره، ج1 ، ص222-227.

والذي نريد ان نؤكده ان الخليل رجل يتمتع بتكوين ثقافي وعقلية مبدعة تختلف عن معاصريه، فلم يكن رجلا ذا ثقافة سطحية، وانما هو مفكر مبدع في امة عظيمة، لها علومها وحضارتها، وعلماؤها .

لذلك منهج ترتيب الاصوات العربية بحسب المخارج منهج عربي خالص . وفي ضوئه وضعت الابجدية الصوتية العربية، لتكون إحدى الابجديات الصوتية العالمية، التي يفخر الناطقون بها بين اللغات الانسانية، لأن وضع الابجدية لأي لغة ليست مسألة يسيرة أو شكلية، فهي وان كانت صورة خارجية الا انها مستمدة من صميم اللغة، ومرتبطة بخواصها اللغوية ارتباطا شديدا، وهي في الوقت نفسه تصوير كتابي لمادتها الاصلية وهي الاصوات .

فالدرس الصوتي الحديث يضع في اول مهماته وضع ابجدية صوتية لكل لغة يراد معرفة خصائصها اللغوية تمثل النطق تمثيلا صادقا على الرغم من ان الاصوات يصيبها التغيير بمرور الزمن، وتبقى الابجدية على صورتها الاولى من دون تغيير، فيظهر في الابجدية الصوتية نوع من القصور[1] . غير أناللغة العربية تكاد تنفرد بين اللغات الانسانية بالمحافظة على ابجديتها الصوتية بفضل وجود القرآن الكريم، إذ يحاول القارئ ان ينطق الاصوات كما ينطقها العرب الاوائل، وان وجد تغيير في النطق انما هو تغيير طفيف، لا يغير من جوهر النطق الاصلي للأصوات العربية .

ولم يكتف العلماء العرب بوضع الابجدية الصوتية للأصوات من دون الاشارة الى وضع الرموز الصوتية للحركات القصار، وهي (الضمة والفتحة والكسرة) . ولقد كانت الاشارة الاولى لهذه الحركات من ابي الاسود الدؤلي عن طريق ما رواه عنه المؤرخون من قوله لأحد تلاميذه : (عندما ترى اني فتحت فمي بالأصوات فضع نقطة فوقه، وإذا ضممته فضع نقطة بين يديه، وإذا كسرته فضع نقطة تحته) [2].

وهذه الرواية جعلت الخليل يعمل فكره في ذلك فأجرى نوعا من التعديل للرموز التي وضعها ابو الاسود، وكانت على شكل نقط، فوضع بدل النقط أصواتا صغيرة، مستندا الى اشكال الشفة واوضاع النطق التي قال بها ابو الاسود، فأخذ (الواو والياء والالف) . مستفيدا من ابعاضها، فكانت الضمة من الواو، والكسرة من الياء، والفتحة من الالف [3].

---

[1] علم اللغة العام – الاصوات –، ص181.

[2] اخبار النحويين البصريين، ص8–10.

[3] رسم المصحف، ص200.

فالعلماء العرب قد ادركوا معنى هذه الاصوات التي سموها (الحركات) . وقسموا ذلك إلى حركات طويلة وحركات قصيرة، وكانوا يقولون ان الحركات ابعاض أصوات المد فكما ان هذه الأصوات ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاثة . وهي الفتحة والكسرة والضمة، وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الالف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة [1].

ولعل اهتمام العرب بالاصوات الصامتة لأنها اساس في بنية الكلمة في حين تكون الحركات اشياء عارضة تعرض للأصوات، فهي تبع لها، وليست مستقلة مثلها، فأصول الكلمات العربية عند العلماء العرب مكونة من الاصوات الصامتة. وهي اساس بنيتها، اما الحركات فهي اصوات من شأنها ان تعدل الصيغة أو الوزن فقط، فكانت لها رموز ثانوية، وهي علامات ليس لها استقلال الرموز الاخرى، لذلك استقرت على العلامات الثانوية المتعارف عليها الآن وهي (ـَ ـُ ـِ) [2].

وبذلك اكتمل عمل العلماء العرب في رسم الابجدية العربية ورموزها التي بقيت الى يومنا هذا . شاهدا على براعتهم وعقليتهم المبدعة .

ان دارسي الاصوات المحدثين عندما يضعون ابجدية اي لغة يراد دراستها . يخضعون ابجديتها للترتيب المخرجي فهم يرتبون المخارج العربية ترتيبا مخرجيا من الشفتين الى اقصى الحلق، وهو عكس ترتيب القدماء الذين يبدؤون من اقصى الحلق حتى الشفتين وكما لا يخفى ان طريقة العرب اكثر منهجية من طريقة المحدثين، لأنهم تتبعوا الصوت من الداخل وهو مكان النطق الاصلي الى الخارج. كما ان الهواء المرافق له يتجه من الداخل الى الخارج .

وعلى العموم كان ترتيب المحدثين للمخارج الصوتية العربية بحسب مخارجها النطقية ولتسهيل موازنتها مع الابجدية الصوتية التي وضعها علماء العربية فيكون ترتيب الاصوات ترتيبا تصاعديا وهو ترتيب القدماء – ايضا – فتكون المخارج الصوتية العربية في الوصف الحديث على النحو الآتي[3]:-

الهمزة،هـ، ع، ح،ق، خ، غ،ك،و،ي، ج،ش،ر ،ز ،س،ص،ت،د،ض،ط،ل،ن،ث،ظ،ف،ب،م،و .

وعلى الرغم من وجود بعض الاختلاف في ترتيب الابجدية الصوتية العربية بين القدماء والمحدثين . فإن ذلك لا يمنع من ان القدماء قد وفقوا الى حد كبير في عملهم هذا، فضلاً علىان

---

[1] سر الصناعة، ج1، ص19.

[2] علم اللغة العام – الاصوات –، ص47.

[3] المصدر نفسه، ص93-94.

الاختلاف مرده الى حدوث تطور في نطق بعض الاصوات جعل مواضع نطقها تختلف نوعا ما بين القديم والحديث[1] .

وهذا ما سنعرفه في موضوع المخارج والصفات في هذا البحث – ان شاء الله – ولكن ذلك لا يلغي اتفاق المحدثين مع القدماء في ان الاساس في ترتيب الاصوات هو ترتيبها بحسب مخارج نطقها . وهذا ما عمله العلماء العرب قبل اكثر من مائتين والف عام .

[1] علم اللغة العام – الاصوات –، ص94.

ثالثا : تقسيم الاصوات

قسم علماء العربية الاصوات العربية إلى قسمين يختلف عدد الاصوات المندرجة تحتها، فنجد الخليل يقسم الاصوات إلى قسمين [1]:-

القسم الاول : اطلق عليه (الأصوات الصحاح) لها احياز ومخارج، وتضم (خمسة وعشرين) صوتا .

القسم الثاني : اطلق عليه (أصوات الجوف) ليس لها مخارج، لأنها لينة وهاوية في الهواء، فليس لها جزء تنسب اليه، وتضم اربعة اصوات هي (الواو والياء والالف والهمزة) .

واذا سلمنا ان الخليل يعد (الالف والواو والياء والهمزة) . أصوات علة [2]. فأن تقسيم الاصوات العربية عنده سيكون إلى قسمين – ايضا – هما : الاصوات الصحيحة والاصوات المعتلة، فأذا كان تقسيمه الاول مبنيا على اساس نطقي أو على اساس مخرجي، فأن التقسيم الاخر يستند الى الاساس الوظيفي لتلك الاصوات من خلال دخولها في بنية الكلمة، إذ الاصوات المعتلة أو (الحروف المعتلة) . كما يسميها الخليل . ليست من اصول ابنية الكلم وانما الاصول هي (الأصوات الصحاح)، فتكون القسمة العامة قسمة صرفية (مورفولوجية) . تستند الى الاساس الصرفي وكان لهذا التقسيم الاثر الكبير في الدراسات اللغوية عند العرب، وفي ضوئه نظر العلماء الى اصول ابنية الكلمة العربية، مما فتح بابا واسعا للدراسات الصرفية في هذا الجانب فأخذوا في دراسة الكلمات العربية الصحيحة والمعتلة سواء اكانت أسماءً ام افعالاً .

ويلاحظ على منهج الخليل انه يعد اصوات العلة (اربعة) اصوات هي (الهمزة والالف والواو والياء) . وهو بذلك مخالف لسيبويه وجمهور النحاة[3]. وموافق للبعض منهم[4].

في حين الدرس الصوتي الحديث يرى ان مفهوم (أصوات العلة)، ينطبق على (الواو والياء) فهما فعلا يقصد بهما (اصوات العلة) .

وذلك بسبب طبيعتهما الانتقالية التي تحدث عن طريق حركتين مختلفتين اي (فتحة + كسرة) تحدث الياء، و(فتحة + ضمة) تحدث الواو . فان لم يحدث هذا الانتقال لم تحدث (الواو والياء)، التي يقصد بهما (اصوات علة)[1] .

---

[1] العين، ج1، ص57.

[2] المصدر نفسه، ج1، ص58.

[3] المقتضب، ج1، ص115. وسر الصناعة، ج1، ص77.

[4] الاصول، ج3، ص311. والاشتقاق، ص54.

وكذلك (الالف) فأنه حركة طويلة، وليس له علاقة باصوات العلة . ومثله (الهمزة) . فليس هناك علاقة صوتية بينه وبين اصوات العلة، فهو صوت صامت، واصوات العلة اصوات صائتة او نصف صائتة [2] .

ويبدو لي أن سبب اطلاق الخليل على هذه الاصوات الاربعة (أصوات العلة)، أنه نظر اليها من الناحية الوظيفية، وذلك لكثرة ما يطرأ عليها من تغيير وانقلاب في بنية الكلمة، فضلاً علىانها ليست من اصول ابنية الكلم .

ويمكن ان نستدل من كلام سيبويه ان الاصوات العربية تقسم إلى قسمين من خلال وضعه (الواو والياء والالف) في مكان بارز ومنفصل عن باقي الاصوات، ومنحها صفات تنفرد بها عن الاصوات الاخرى، بانها اوسع مخرجا وامد صوتا، لا تضمها شفة ولا لسان ولا حلق فيهوى الصوت معها [3].

وعلى الرغم من ان المبرد قد سار في منهج من سبقه من علماء العربية فأنه اول من اطلق على (الالف والواو والياء) اسم المصوت، إذ قال : (من أصوات المد واللين المصوتة، وهي الالف والواو والياء) [4].

وتابعه في ذلك ابن جني وبعض علماء التجويد المتأخرين[5] . إذ ذهب اغلبهم في تقسيمها إلى قسمين – ايضا – الا انهم اطلقوا على ما يسمى بالاصوات الصحيحة (الاصوات الجامدة)، واطلقوا على اصوات المد واللين (الاصوات الذائبة) . وهو اتجاه جديد في التعبير عن التصنيف السابق للأصوات تفردوا به عن غيرهم، ولكن هذا الاتجاه ظهر في القرن الخامس ولم يستمر ابعد من القرن السادس من الهجرة، وارتبط بعدد محدود من العلماء، كالداني(ت444هـ) وابي فضل الرازي (ت454هـ)، والقرطبي (ت462هـ) [6].

وهي نظرة ذوقية انعطفت بالمصطلح الصوتي انعطافة مهمة لم يقدر لها الشيوع في الدراسات الصوتية عند العرب لغلبة المصطلحات المتقدمة عليها وتداولها من الدارسين .

وكان ابن جني اكثر دقة من سابقيه . إذ بين ان أصوات المد واللين وهي (الالف والواو والياء) تتصف باتساع مخارجها، وبين هذه الاصوات الثلاثة من حيث كيفية النطق بها،

---

[1] علم الاصوات، ج3، ص80. المنهج الصوتي في بنية العربية، ص30–32.

[2] المنهج الصوتي، ص172.

[3] الكتاب، ج2، ص406.

[4] المقتضب، ج1، ص61.

[5] سر الصناعة، ج1، ص8 . والخصائص، ج3، ص125. شرح مراح الارواح، ص12.

[6] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص158.

ومواقعها في جهاز النطق إذ قال : (ان الصوت الذي يجري في الالف مخالف للصوت الذي يجري في الياء والواو، والصوت الذي يجري في الياء مخالف للصوت الذي يجري في الالف والواو، والعلة في ذلك انك تجد الفم والحلق، في ثلاث الاحوال مختلف الاشكال، اما الالف فتجد الحلق والفم معها منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر، واما الياء فتجد معها الاضراس سفلا وعلوا قد اكتنفت جنبتي اللسان، وضغطته، وتفاج الحنك عن ظهر اللسان فجرى الصوت متصعدا هناك، فلأجل تلك الفجوة ما استطال واما الواو فتضم لها معظم الشفتين، وتدع بينهما بعض الانفراج ليخرج فيه النفس، ويتصل الصوت، فلما اختلفت اشكال الحلق والفم، والشفتين مع هذه الاصوت الثلاثة، اختلف الصدى المنبعث من المصدر، وذلك قولك الالف (أ ا) وفي الياء (أي) وفي الواو (أو)) [1] .

كما انه بين ان الحركات القصيرة التي عدها القدماء ابعاض أصوات المد . هي ثلاث حركات، فكما ان تلك الأصوات الثلاثة، فهذه ثلاث – ايضا – وهي (الفتحة والكسرة والضمة) فالفتحة بعض الالف والكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو[2].

إذ كانت نظرة القدماء انهم متى ما اشبعوا واحدة منهن حدث بعدها الصوت الذي هي بعضه (نحو فتحة عين (عمر) فأنك ان اشبعتها حدثت بعدها الف فقلت (عامر)، وكذلك كسر عين (عِنب) ان اشبعتها نشأت بعدها ياء ساكنة، وذلك قولك (عينب)، وكذلك ضمه عين (عُمر) لو اشبعتها لأنشأت بعدها واو ساكنة، وذلك قولك (عومر) . فلولا ان الحركات ابعاض لهذه الأصوات واوائل لها لما تنشأ عنها، ولا كانت تابعة لها) [3] .

لذلك سميت تلك الاصوات الناقصة حركات عندهم، لأنها تقلقل الصوت الذي تقترن به وتحاول ان تجذبه نحو الأصوات التي هي ابعاضها، فتقوم الفتحة بجذب الصوت نحو الالف، والكسرة نحو الياء، والضمة نحو الواو، ولا يبلغ الناطق بها مدى الأصوات التي هي ابعاضها، فأذا بلغت ذلك كملت له الحركات أصواتا وهي الالف والياء والواو[4] .

نستنتج من ذلك ان الفرق بين اصوات المد والحركات هو فرق في الكمية أو ما يطلق عليه المحدثون (الايقاع الكمي) . فأذا طال زمن النطق بالحركة صارت مدا، واذا قصر زمن النطق بصوت المد رجع هذا الصوت الى الحركة[5].

---

[1] سر الصناعة، ج1، ص8–9..

[2] المصدر نفسه، ج1، ص19.

[3] المصدر نفسه، ج1، ص20.

[4] المصدر نفسه، ج1، ص27–30. والخصائص، ج2، ص315–316.

[5] دروس في علم الاصوات العربية، ص151. والدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص439.

وعلى الرغم من ان المحدثين قد ايدوا علماء العربية فيما ذهبوا اليه، من ان الضمة إذا اشبعت صارت واوا وان الكسرة إذا اشبعت صارت ياءً لأنه ما زال سائدا في زماننا، فإنهم تحفظوا على ما يخص (الفتحة والالف)، فأذا كان اشباع الفتحة يحدث الالف عند القدماء، فأنه ليس كذلك عند المحدثين، على ما هو متعارف عليه في نطق الالف في يومنا هذا، إذ إنه رجع الى الوراء، فصار اشباعا لفتحة متأخرة، لم تكن شائعة يوم وصفت اصوات العربية، فدخله نوع من التفخيم كما كان عند اهل الحجاز[1].

ويبدو لي أن ذلك لا يقلل من نظرة العلماء العرب لهذه الاصوات . فلا يمنع ان تكون الفتحة **(الحركة القصيرة)** جزءاً أو بعضا من الالف **(الحركة الطويلة)** . والفرق بينهما فرق في الكمية . وهذا لا يبعد عن نظرة علمائنا لهما ولو بالمفهوم العام . فضلا عما اصاب الالف من تغيير أو تطور صوتي جعل منه حركة يرجع في نطقها الى الوراء[2].

وكان للفارابي تقسيمه الخاص للأصوات، فقد قسمها إلى قسمين **(الاصوات المصوتة، والاصوات غير المصوتة)** . على اساس مجرى الهواء من المخرج . وقسم المصوتات الى **(قصيرة وطويلة)** .

والمصوتات القصيرة هي التي تسميها العرب (الحركات)، وبين ان الاصوات غير المصوتة (منها ما يمتد بأمتداد النغم، ومنها ما لا يمتد بأمتدادها . والممتدة مع النغم مثل، اللام والميم، والنون، والهمزة والعين، والزاي وما اشبه ذلك، وغير الممتدة مثل : التاء والدال والكاف وما جانس ذلك)[3] .

ثم اخذ الفارابي في بيان الجمال الموسيقي للأصوات بنوعيها الممتدة وغير الممتدة . إذ قال : (الأصوات الممتدة بأمتداد النغم منها ما يبشع مسموع النغم إذا اقترنت بها مثل العين والحاء والظاء، وما أشبه ذلك، ومنها ما لا يبشعه وهي هذه الثلاثة اللام والميم والنون، فاللام من بينها تمتد وان لم يسلك الهواء في مقعر الانف، والميم والنون لا يمتدان الا ان يسلك الهواء في الانف)[4].

اما **المصوتات الطويلة** فقسمها إلى قسمين – ايضا – :-

---

[1] اصوات العربية بين التحول والثبات، ص18-21.

[2] البحث الصوتي عند ابن السراج، ص65.

[3] الموسيقى الكبير، ص1072-1079.

[4] الموسيقى الكبير، ص1072.

1- **اطراف : وهي ثلاثة :**

الطرف العالي وهو الالف، **والطرف المنخفض** وهو الياء، **والطرف المتوسط** وهو الواو .

2- ممتزجة عن اطراف : وهي : اما ممزوجة من الالف والياء، واما من ياء وواو واما من الف وواو، وكل واحد من هذه الممتزجة، اما مائلة الى احد الطرفين أو متوسطة غير مائلة، والمائلة اما الى هذا واما الى ذاك[1].

ولعله يقصد بالممزوجة من الالف والياء هو صوت الامالة في نحو (الهدى). والممزوجة من الالف والواو هو صوت التفخيم في نحو (الصلاة) .

اما الممزوجة من الياء والواو، فلعله صوت الاشمام، حيث تضم شفتيك وانت تنطق الياء[2].

واشار الفارابي الى ان اصناف المصوتات البينة في السمع هي (اثنا عشر) مصوتا، وذلك لو كانت المصوتات الممتزجة بالجملة ثلاث، واصنافها كل واحد منها ثلاثة، صارت جملتها تسعة، ويمكن ان ينقسم كل واحد من هذه غير أنمسموعات اقسامها تتقارب تقاربا، لا يميز السمع بين فصولها، لذلك ينبغي ان يقتصر منها على هذه التسعة ويجمع اليها الاطراف الثلاثة، فتصبح اصناف المصوتات المنفصلة والتي يدركها السمع اثني عشر مصوتا[3].

ويبدو أنالاساس الذي استند اليه الفارابي في التمييز بين المصوتات القصيرة والطويلة هو امتداد النغم، فالمصوتات القصيرة لا يمتد معها النغم ما دامت على قصرها، فأذا ما ساوقت النغمة امتدت حتى لا يفرق بينها وبين الطويلة .

ويمكن لنا ان نختصر رأي الفارابي في تقسيم الاصوات في انه يرى ان الاصوات تقسم إلى قسمين : **(مصوتات وغير مصوتات)** .

والمصوتات اما طويلة مثل (الالف والواو والياء) أو قصيرة التي يسميها العرب (الحركات) . اما غير المصوتة فتشمل الاصوات الباقية، وهذا عين ما ذهب اليه المحدثون في تقسيم الاصوات إلى (صوامت وصوائت)، بل ان ذهابه الى جعل المصوتات (اثنى عشر) مصوتا،

---

[1] المصدر نفسه، ص10798.

[2] ابحاث في اصوات العربية، ص95-96.

[3] الموسيقى الكبير، ص1087.

ينطبق تماما مع ما ذهب اليه المحدثون من تقسيم الحركات إلى معيارية وغير معيارية، ومجموعها (اثنى عشر) حركة[1].

فضلاً علىانه اتفق الى حد كبير مع ما ذهب اليه جومسكي، إذ قسم الاصوات إلى قسمين رئيسيين هما : **(مقطعي وغير مقطعي)**، والصوت المقطعي هو صوت العلة الممدود وغير اللين، إذ إنه يعد اصوات العلة اللينة غير مقطعية، اما الصوت المقطعي فهو الذي يكون مجرى النفس معه حرا لا يعترضه حائل .

كما ان عمل الفارابي في تقسيم الاصوات غير المصوتة إلى تقسيمات اخرى، قد شابه تقسيمات جومسكي، فأذا كان الفارابي يعد الاصوات غير المصوتة منها الممتدة مثل (الزاي والسين والعين) وما اشبه ذلك . ومنها غير الممتدة مثل (التاء والدال والكاف) فأن جومسكي يذهب المذهب نفسه في تقسيم الاصوات غير المصوتة عند الفارابي يقابله عند جومسكي الاصوات غير المقطعية، وهي مقسمة عنده – ايضا – إلى اصوات ممتدة مثل (السين واللام)، وغير ممتدة مثل (التاء والكاف والدال)[2].

والذي اميل اليه ان منهج الفارابي في تقسيمه للاصوات كان منهجا صائبا ودقيقا، توصل من خلاله الى تلك التقسيمات التي وافق فيها المحدثون قبل الف سنة أو يزيد[3].

فدراسة الفارابي للأصوات العربية دراسة تطبيقية، منطقية، وصفية، رياضية، فأخرج المصوتات الطويلة من مفهوم (الحرف) وتحويلها من ذلك المفهوم السائد لدى علماء العربية الى مفهوم الحركات وذلك بانقسامها إلى قسمين : طويلة وقصيرة، ونظيرها هو (الحرف) الذي اطلق عليه غير المصوت[4].

وتابع ابن سينا الفارابي في تقسيمه للأصوات، فقسمها إلى (صوامت ومصوتات)، وذلك بالاستناد الى ما استند اليه الفارابي من قابليتها على الامتداد أو عدمه، إذ إن الصوامت عنده لا تقبل المد البته من نحو (التاء والباء) وان هناك من الصوامت ما يقبل المد قليلا، لأن لها نصف صوت من نحو (السين والراء)[5].

اما الصوائب فقسمها إلى قسمين – ايضا – هي المصوتات الممدودة أو ما اطلق عليها (المدات)، والمصوتات القصيرة وهي ما اطلق عليها (الحركات) وذلك يتضح من ذهابه الى ان

---

(1) علم اللغة العام – الاصوات –، ص137.

(2) علم الاصوات السمعي والموجي، ص114–115.

(3) المصدر نفسه، ص115.

(4) ابحاث في اصوات العربية، ص94–95.

(5) اسباب حدوث الحروف، ص84. الشفاء، المنطق والشعر، ص65.

الالف المصوتة هي اخت الفتحة، والواو المصوتة هي اخت الضمة، والياء المصوتة هي اخت الكسرة[1].

وذلك بناء على المسافة الزمنية من حيث النطق بين النوعين من المصوتات القصيرة والطويلة ، فالطويلة لها ضعف زمن القصيرة، – وان كان مخرجها واحد – فأذا امتدت الحركة وطولت بدلت الى صوت المد، فأذا كانت فتحة ابدلت الفا مدية، واذا كانت كسرة ابدلت ياء مدية، واذا كانت ضمة ابدلت واوا مدية[2].

ان ابن سينا لم يقطع بذلك، لأن وصفها يتطلب دقة متناهية، فقال : (ثم امر هذه الثلاثة عليّ مشكل، ولكن اعلم يقينا ان الالف الممدودة المصوتة تقع في ضعف أو اضعاف زمان الفتحة، وان الفتحة تقع في اصغر الازمنة التي يصح فيها الانتقال من حرف الى حرف، وكذلك نسبة الواو المصوتة الى الضمة والياء المصوتة الى الكسرة)[3] .

وقد فرق ابن سينا تفريقا دقيقا بين (الياء والواو) المصوتة وغير المصوتة . حين اطلق عليهما وصفين متقاربين، فغير المصوتة اطلق عليها الصامتة والمصوتة اطلق عليها المصوتة، والفرق الجوهري بينهما هو نقطة التحكم في مجرى الهواء، إذ إن المصوتة تخرج باطلاق الهواء من مخرجها، في حين كانت الصامتة تخرج بضغط الهواء من مخرجها[4].

وقسم ابن سينا الاصوات من زاوية اخرى من حيث حبس الهواء، فأذا حدثت حبسات تامة، والهواء يتبعها اطلاق دفعة، فهي اصوات مفردة، كالباء والياء والجيم والدال والضاد والطاء والقاف والكاف واللام والميم والنون، واذا حدثت عن حبسات غير تامة لكي يتبعها اطلاقات فهي اصوات مركبة وهي سائر الأصوات الاخرى .

وتشترك المفردة والمركبة في ان وجودهما أو حدوثهما يكون في لحظة الحبس والاطلاق اي هي مع ازالة الحبس فقط، اما الأصوات المركبة، فانها تمتد زمانا وتفنى مع زمان الاطلاق التام، اي انها تمتد في الزمان الذي يجتمع فيه الحبس مع الاطلاق[5].

وعلى ذلك لا تبعد منهجية العلماء العرب في تقسيم الاصوات عن منهجية المحدثين، إذ إن المحدثين يقسمون الاصوات إلى قسمين – ايضا – هي :

---

(1) اسباب حدوث الحروف، ص84.

(2) الشفاء، جوامع علم الموسيقى، ص87.

(3) اسباب حدوث الحروف، ص85.

(4) المصدر نفسه، ص83–84.

(5) اسباب حدوث الحروف، ص61–62.

1- الاصوات الصامتة : وهي تقابل ما اطلق عليه العلماء العرب (الأصوات الصحيحة) .

2- الاصوات الصائتة : وهي تقابل ما اطلق عليه العلماء العرب (الحركات).

فأذا كان تقسيم القدماء مبنيا على اساس صوتي أو وظيفي فأن تقسيم المحدثين مبني على اساس طبيعة الاصوات وخصائصها . مع ملاحظة اوضاع الاوتار الصوتية، وطريق مرور الهواء من الحلق الى الشفتين . وبذلك تكون الصوانت اصواتا مجهورة ويحدث اثناء النطق بها ان يمر الهواء حرا طليقا خلال الحلق والفم من دون ان يقف في طريقه عائق ومن دون ان يضيق مجرى الهواء ضيقا من شأنه ان يحدث احتكاكا مسموعا .

لذلك كل صوت لا ينطبق عليه هذا التعريف فهو صوت صامت، فتكون الاصوات الصامتة منها ما هو مجهور، ومنها ما هو مهموس، ومنها ما هو انفجاري، ومنها ما هو احتكاكي . وغير ذلك من صفات الاصوات[1].

وذهب بعض الباحثين ان العرب لم يكونوا يفرقون بين الصوامت والصوائت. تفريقا صوتيا دقيقا، وانهم اطلقوا عليها مصطلح (الحرف) . فلا يقابل لفظ حركة عندهم لفظ صامت وانما يقابله لفظ (السكون) . والسبب في ذلك هو نظام الكتابة العربية الذي اضاع معالم هذه التفرقة العلمية الدقيقة[2].

ويبدو لي أن ما اوردناه من تقسيم العلماء العرب للأصوات في هذا الموضوع، وكلامهم المتقدم يدحض هذا الزعم، فضلاً علىان العلماء العرب قد عرفوا هذين النوعين من الاصوات، فاطلقوا على الاصوات الصامتة (الحروف)، وهي اساس بنية الكلمة العربية، واصول الفاظها، واطلقوا على الاصوات الصائتة. (حروف المد) أو (حروف العلة) أو (الحروف الهوائية)، أو (حروف اللين)، ولكن الذي يؤخذ على منهج العلماء العرب. ان عنايتهم انصبت على (الصوامت) أو ما يسمونها (الحروف الصحاح)، اكثر من اهتمامهم (بالصوائت) ام ما يسمونها بالحركات أو (حروف العلة)، لأن الاولى في نظرهم اصل البناء الصرفي، في حين تدخل الثانية في بناء الصيغ، وتنويعها .

غير أنذلك لا يمنع من ان العلماء العرب قد اتفقوا منهجيا والى حد كبير مع العلماء المحدثين في تقسيم الاصوات إلى نوعين رئيسيين. بغض النظر عن التسمية، وهو تقسيم مبني على معرفة الخصائص الصوتية لكل قسم من هذين القسمين .

---

[1] علم اللغة العام – الاصوات –، ص73-74.

[2] دروس في علم الاصوات العربية، ص20-21.

المبحث الثاني

(مخارج الاصوات وصفاتها)

أولا : مخارج الأصوات

الحديث عن منهج علماء العربية في مخارج الأصوات لا بد من معرفة حد المخرج عندهم وعدد مخارج الأصوات ، ليكون مدخلا لمعرفة ابعاد هذا الموضوع .

1- حد المخرج

حدد العلماء العرب مكان ولادة الصوت الانساني، وبينوا ان المنطقة التي يولد فيها الصوت تسمى المخرج، وكان الخليل بن احمد من اوائل العلماء العرب الذي اطلق تلك التسمية الى جانب تسمية اخرى من نحو الحيز أو الموضع[1]

ولعل اطلاق الخليل تلك التسميات المتعددة للمخرج قائم على اساس تصنيفي للأصوات، إذ المخرج يريد به الموضع الذي يحصل فيه اعتراض جهاز النطق لمجرى الهواء المار به، والخارج من ابعد نقطة مخرجية، والحيز هو الفراغ الذي يشغله عدد من الاصوات. والمدرج هو الموضع الذي يبدأ منه الصوت، وهو طريق الهواء من بدء الاعتراض، فمدرجة الباء من بين الشفتين، ومدرجة التاء بين طرف اللسان واطراف الثنايا، وهكذا فلكل صوت مدرجه[2].

وكان للفارابي اشارة الى مخرج الصوت، ولكنه الصوت الموسيقي، وسماه مكان خروج النغمة، أو منفذ الهواء القارع[3]، الا ان مكان خروج الصوت الانساني لا يمكن تحديده بدقة، كما في تحديد اماكن خروج الصوت من المزمار أو الاوتار الصوتية، لأنه يحتاج الى بعض الآلات التي توجد فيها أمكنة النغم، لتحديد مقاديرها، لذلك صار كثير من الناس ينسب كثيرا من فصول النغم الى الرأس والى اجزائه، وبعضها الى الصدر والى اجزائه، وبعضها الى ما تحت الصدر[4].

واذا كان الفارابي قد اعطى تحديدا لمخرج صوت النغم، ولم يحدد مخرج الصوت الانساني، فأن ابن سينا – ايضا – لم يعرف المخرج، بل ذكره فقط، وبين ان له اثرا في صفة الصوت عندما يكون ضيقا أو واسعا أو مستديرا، اما المحبس عنده فهو نقطة التحكم، وليس المخرج[5].

---

(1) العين، ج1، ص51.

(2) التفكير الصوتي عند الخليل، ص36. والخليل رائد علم الصوت، ص100-101.

(3) الموسيقى الكبير، ص1069.

(4) المصدر نفسه، ص1068-1069.

(5) اسباب حدوث الحروف ، ص59 وما بعدها .

وذهب علماء التجويد في تعريف المخرج الى انه الموضع الذي ينشأ منه الصوت[1].

وهناك من اطلق عليه الحيز الذي يتولد منه الصوت[2].

وعلى الرغم من تعدد اسماء المخرج عند علماء العربية، فهناك من اطلق عليه حيز. وجمعه احياز[3]. أو مدرج وجمعه مدراج[4]. ومنهم من سماه مخرج أو موضع[5].

فأن طريقة تعيين المخارج عند علماء العربية تقوم على اساس ذوقي بعد تسكين الصوت يدخلون عليه همزة القطع ليوصل الى النطق به، فيستقر اللسان في موضعه، فيتبين من ذلك مخرجه[6].

ومن ذلك يتوصل الى تسلسل الاصوات المخرجي، وبساطة هذه الطريقة تستند الى ان يأتي بالصوت خالصا من اي حركة، وبعد ذلك يفتح الناطق فمه بالالف أو ما يسمى الهمزة لأن الصوت لا يفهم الا اذا كان الصوت ساكنا فنقول : أبْ، أتْ، أعْ، وهذه هي طريقة الخليل[7]، التي سار عليها علماء العربية في نطق الاصوات وتذوقها مع تغيير يسير لا يغير من جوهر الطريقة وهي ان سيبويه نقل طريقة الخليل هذه مع نطق الهمزة مكسورة في حين كانت عند الخليل مفتوحة[8].

وعلم الاصوات الحديث يخالف تماما ما ذهب اليه علماء العربية في طريقة نطق الاصوات، فالدرس الحديث ينطق الصوت خالصا من كل شيء وحده، من دون الحاق همزة، لأن ذلك يؤدي الى خلط خصائص الصوتين، فلا يمكن الوقوف بدقة على خصائص الصوت. لأن في هذه الحالة يكون النطق بصوتين الاول الهمزة والثاني الصوت المراد نطقه، واجتماع صوتين حال النطق بهما سيؤدي الى عدم معرفة خصائص احدهما وتمييزها من الاخر[9].

ويبدو لي انه اذا كان المحدثون يخالفون القدماء في طريقة تعيين مخرج الصوت وتعيين طريقة نطق الاصوات، فأنهم اتفقوا مع القدماء في تعريف المخرج، فتعريف المحدثين لمخرج

---

(1) التحديد، ص16. وهمع الهوامع، ج2، ص228.

(2) لطائف الاشارات، ج1، ص182.

(3) العين، ج1، ص51. التهذيب، ج1، ص50.

(4) العين ، ج1، ص51.

(5) الكتاب، ج2، ص405.

(6) العين، ج1، ص47. والتهذيب، ج1، ص41. سر الصناعة، ج1، ص7.

(7) العين، ج1، ص47.

(8) الكتاب، ج2، ص320-321.

(9) علم اللغة العام – الاصوات –، ص113.

الصوت لا يختلف عن تعريف القدماء، فهو عند المحدثين : الموضع الذي يتكون فيه الصوت، أو هو مكان نطق الاصوات[1].

وبذلك يكون مفهوم المخرج أو موضع النطق واحدا عند القدماء والمحدثين. ولم تكن هذه المسألة خلافية بينهما.

2- عدد المخارج

اختلف علماء العربية في تحديد عدد مخارج الاصوات العربية إذ ذهب اكثرهم الى ان عدد مخارج الاصوات العربية هو (ستة عشر) مخرجا[2].

وذهب بعضهم، منهم الفراء (ت207هـ)، وقطرب (ت210هـ) والجرمي (ت225هـ) وابن كيسان (ت229هـ) الى انها (اربعة عشر) مخرجا[3].

وذهب السيوطي (ت911هـ) في توجيه ذلك الاختلاف في العدد الى ان موضع الخلاف بينهم مخرج اللام والنون والراء، فهو عند هؤلاء مخرج واحد، وعند الخليل ومن وافقه ثلاثة مخارج، وعلى القولين فذلك على سبيل التقريب، والا فالتحقيق ان لكل حرفا مخرجا على حده[4].

ولقد ذكر ابن الجزري (ت833هـ) ان عدد المخارج عند ابن دريد (اربعة عشر) مخرجا بأسقاط مخارج النون واللام والراء، وجعلها مخرجا واحدا هو طرف اللسان[5].

والحقيقة ان عدد المخارج عند ابن دريد هو (ستة عشر) مخرجا، وهو بذلك موافق لسيبويه، ولعل قول ابن دريد : (ثم النون تحت حافة اللسان من الشق الايمن واللام قريبة من ذلك الا ان الراء ادخل بطرف اللسان في الفم)[6] . هو الذي جعل ابن الجزري يذهب الى ما ذهب اليه، ولو كان مقصد ابن دريد ذلك، فأنه مخالف لما ذهب اليه ابن دريد نفسه في مقدمته عند الحديث عن مخارج الاصوات واجناسها من انها ستة عشر مخرجا أو مجرى[7].

والغريب ان يذهب بعض المحدثين الى ان عدد المخارج عند الخليل هي (ثمانية عشر) مخرجا[8]. مع انه لا يوجد مثل هذا العدد عند الخليل ولعلها زلة قلم من المؤلف.

---

(1) المصطلح الصوتي، ص25.

(2) الكتاب، ج2، ص405. سر الصناعة، ج1، ص53. شرح المفصل، ج10، ص123-124.

(3) همع الهوامع، ج6، ص289-291. والنشر، ج1، ص198-199.

(4) همع الهوامع، ج2، 228.

(5) النشر، ج1، ص199.

(6) الجمهرة، ج1، ص8.

(7) الجمهرة، ج1، ص 8 والفكر الصوتي عند ابن دريد، ص177 .

(8) الدراسات الصوتية عند علماء العربية، ص34.

وعلى الرغم من ان اختلاف العلماء العرب في عدد مخارج الاصوات يبدو انه صحيح في عمومه فأن بعضا من دارسي الاصوات المحدثين من لم يقره[1].

وذهب بعض المحدثين الى توجيه ذلك الاختلاف في عدد المخارج عند القدماء، بأنه ليس هناك في الواقع حدود يمكن لها ان تفصل فصلا تاما بين بعض المخارج وبعضها الاخر فمن الجائز ان تنسب مجموعة من الاصوات الى مخرج معين، وينسبها باحث اخر الى مخرج قريب منه أو متصل به أو متداخل معه[2].

ومن ثم نرى المحدثين لم يستقروا على عدد المخارج، فهي عند بعضهم (احد عشر) مخرجا[3]. وعند بعضهم الاخر (تسعة) مخارج[4]. وهناك من ذهب الى انها (عشرة) مخارج[5]. وهي عند اغلبهم (عشرة) مخارج وهذا هو العدد السائد عند علماء الصوت المحدثين[6].

ولعل مرد هذا الاختلاف سواء اكان بين القدماء انفسهم ام المحدثين انفسهم أو بين القدماء والمحدثين الى منهج كل عالم في دراسته اصوات اللغة وتذوقها، فيمكن ان يعد العلماء المحدثون عددا من الاصوات من مخرج واحد، يقابلهم علماء العربية بعدها من مخرجين أو اكثر، مثل اصوات طرف اللسان . أو انهم لا يعدون بعض المخارج – اصلا – مثل مخرج النون الخفيفة[7].

فمسألة اختلاف عدد المخارج بين القدماء والمحدثين لم تكن مسألة كبيرة، أو تنقص من جهود الطرفين . لأن ذلك يتوقف على منهج كل عالم وتذوقه للأصوات اللغوية ونسبتها الى مخارجها .

---

(1) البحث الصوتي عند العرب، ص25.

(2) علم اللغة العام – الاصوات –، ص94–95.

(3) علم اللغة، ص199–200 . وعلم اللغة العام – الاصوات –، ص89–90.

(4) دروس في علم اصوات العربية، ص22.

(5) دراسة السمع والكلام، ص200–201.

(6) البحث الصوتي عند العرب، ص25 . المدخل الى علم اللغة، ص42–56. دراسة الصوت اللغوي، ص97.

(7) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص190–191.

اولا : مخارج الاصوات

عني العلماء العرب بدراسة مخارج الاصوات بما يتفق كثيرا مع دراسة المحدثين بالاستناد الى رهافة حسهم وخبرتهم الاصيلة المستمدة من طبيعة اللغة العربية، ومنهجها الاصيل، وعلى الرغم من اختلاف القدماء في عدد مخارج الاصوات فأن الاتجاه العام يفصح عن استيعاب تام لتلك المخارج ونسبة كل صوت إلى مخرجه الذي يختص به والقائم على القيمة التعبيرية للصوت وما يحمله من صفات ومميزات جعلت له مكانا خاصا به الى جانب الاصوات الاخرى التي يتألف منها النسيج اللفظي للكلمة العربية ولما كان الخليل يعد الاصوات (تسعة وعشرين) صوتا منها (خمسة وعشرون) صحاحٌ لها مخارج، و(اربعة) اصوات ليس لها مخارج وهي (الواو والياء والالف والهمزة) . فالاصوات التي لها مخارج عنده هي :-

1- العين والهاء والحاء والخاء و الغين . وهي حلقية، لأن مبدأها من الحلق .
2- القاف والكاف . لهويتان، لأن مبدأها من اللهاة .
3- الجيم والشين والضاد شجرية . لأن مبدأها من شجر الفم . أي مخرج الفم .
4- الصاد والسين والزاي . أسلية لأن مبدأها من أسلة اللسان .
5- الطاء والتاء والدال . نطعية، لأن مبدأها من نطع الغار الاعلى .
6- الظاء والذال والثاء . لثوية، لأن مبدأها من اللثة .
7- الراء واللام والنون . ذلقية، لأن مبداها من ذلق اللسان .
8- الفاء والباء والميم . شفوية أو شفهية، لأن مبدأها من الشفة .

اما الاصوات التي ليس لها مخرج فجعلها في نهاية ترتيبه المخرجي وجعلها في حيز واحد، وهي الياء والواو والالف والهمزة، وسماها هوائية[1].

وقد اعتل الخليل في ترتيبه لتلك الاصوات بأنه بدأ بالعين لأنها أقصى الأصوات وبعدها الحاء، ولولا بحّة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها للعين، ثم الهاء، التي لولا الهتة لأشبهت الحاء، وذلك للتقارب المخرجي بينهما لذلك جعل هذه الاصوات في مخرج واحد، وبعد ذلك اتبعها بالاصوات الاخرى، بحسب الترتيب المتقدم[2] .

ويبدو لي أن الخليل عندما اعطى للأصوات مخارج، ولم ينسب بعضها لمخارجها وتركها في آخر ترتيبه المخرجي انما يشير الى وجود فروق صوتية بين الاصوات، واتى بأهم خاصة من خواص الحركات . وهي حرية مرور الهواء حال النطق بها، ومعنى ذلك انه كان مدركا

---

[1] العين، ج1، ص58.

[2] المصدر نفسه، ج1، ص57-58.

لصنف من الاصوات يختلف عن بقية الاصوات التي حدد مخارجها، ونسبها الى احياز معينة مع التحفظ على وضعه الهمزة مع الاصوات الهوائية التي ليس لها مخرج.

ويمكن ان يؤخذ على منهج الخليل انه نسب الهمزة والهاء الى الاصوات الحلقية في حين أنهما في الدرس الصوتي الحديث صوتان حنجريان، لأن موضعهما النطقي من الحنجرة[1].

ويمكن ان يقبل رأي الخليل اذا كان يعد الحنجرة في ضمن منطقة الحلق ويسند ذلك ان الهمزة عنده في اقصى الحلق، بدلالة قول الخليل : (اما الهمزة فمخرجها من اقصى الحلق مهتوتة مضغوطة، فأذا رفه عنها لانت فصارت الياء والواو والالف من غير طرف الحروف الصحاح)[2].

وهذا ما ادى بسيبويه الى ان يضعها في موضعها الذي اشار اليه الخليل فجعلها في بداية ترتيبه الصوتي[3] .

كما ان الخليل عد (الواو والياء) صوتين صائتين، وهما يردان كما قال صوتين صائتين في احوال كما في (يقول، ويبيع) . وقد يردان صوتين شبيهين بالاصوات الصامتة، أو ما يسمى نصف صائت كما في (بيت – مورد)[4].

وقد تابع الخليل بعض العلماء العرب المتأخرين، لا سيما علماء التجويد في عد (الالف والواو والياء) هوائية[5] .

الا ان علماء التجويد ميزوا بين نوعين من الواو والياء وهما الواو والياء المدية من الجوف وغير المدية من مخارجها التي جاءت في كلام سيبويه[6].

كما ان الخليل عد (الفاء) صوتا شفويا من دون ان يشير الى اثر الاسنان في نطق هذا الصوت، إذ إن الفاء صوتٌ شفويٌ أسنانيٌ في الوصف الحديث[7].

غير أنذلك لا يمنع من ان للشفة اثرا في انتاج هذا الصوت، ولعل استدارة الشفة عند النطق بها، سوغ للخليل وصفها بالشفوية .

فضلاً علىان الخليل عندما وصف (الذال والثاء والظاء)، قال : انها لثوية ولم ينبه على انها تخرج مما بين الثنايا العليا[1].

---

(1) الاصوات اللغوية، ص89.

(2) العين، ج1، ص52.

(3) الكتاب، ج2، ص405.

(4) مناهج البحث في اللغة، ص113 . علم اللغة العام – الاصوات–، ص132.

(5) النشر، ج1، ص199. ارتشاف الضرب،ج 1 ، ص2.

(6) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص221.

(7) دراسة الصوت اللغوي، ص269.

وقد ذهب الخليل الى ان (الضاد) شجرية الى جانب (الشين والجيم) .

وقد اعتذر للخليل بأن الضاد فيها تفش، وكذلك (الشين) وجعل الاثنين من مخرج واحد[2] .

بمعنى آخر ان وصف (الضاد) عنده بالمفهوم الحديث اسنانية، في حين هي في الوصف الحديث اسنانية لثوية من مخرج (الطاء والتاء والدال)[3].

ويبدو لي أن (الضاد) القديمة التي وصفها العلماء العرب، قد أضمحلت من نطقنا الحالي، وان الضاد الحديثة تختلف عن الضاد القديمة فهو صوت لا نستطيع ان نتبين بشيء من الدقة كيفية نطقه القديم[4].

ومع ذلك فالضاد الحديثة تنطق بوضع طرف اللسان، بحيث يلتصق بالاسنان العليا، ومقدمه بحيث يتصل بأصول الثنايا التي تسمى اللثة ثم الصاق الطبق بالجدار الخلفي للحلق، ليسد المجرى الانفي، ويتم كل ذلك مع وجود ذبذبة في الاوتار الصوتية، فهو إذن : صوت لثوي مطبق مجهور[5].

ويحسب للخليل اطلاقه لبعض الالقاب على مخارج الاصوات مثل : الحلقية، واللهوية، والشجرية، فهو مبدأ من مبادئ تقسيم مخارج الاصوات بحسب تقسيم اعضاء النطق، وكل قسم يضم عددا من الاصوات وقد اخذ هذا التقسيم مجاله الواسع عند علماء اللغة والتجويد، وذلك من اجل تيسير فهم العلاقات الصوتية بين مجموعات الاصوات[6].

وقد انكر بعض الباحثين نسبة تلك الالقاب الى الخليل، بدعوى ان هذه الالقاب ظهرت في اوائل القرن الرابع الهجري، عندما ظهر كتاب العين فظهرت تلك الالقاب دفعة واحدة، ولم نجد لها صدى في كتاب سيبويه تلميذ الخليل ووارث علمه[7].

والذي يظهر لي ان هذا رأي يبخس حق الخليل في ابداعه، فأذا كان كتاب العين ليس للخليل، فلا يمكن لأي منكر ان ينكر ان فكرة الكتاب ومنهجه من بنات افكار الخليل . ولا سيما المباحث الصوتية، كما ليس بالضرورة ان يأخذ سيبويه كل علم الخليل، وليس معنى عدم وجود تلك المصطلحات في كتاب سيبويه، انها ليست من ابداع الخليل، ويكفي ذلك انها وردت عند ابن

---

(1) فقه اللغة العربية، ص491.

(2) علم اللغة العام – الاصوات–، ص107.

(3) المصدر نفسه، ص 89،105.

(4) دراسات في علم اللغة – القسم الثاني–، ص133.

(5) علم اللغة، ص169.

(6) الكشف، ج1، ص139. والدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص187.

(7) الاصوات اللغوية، ص77.

دريد وغيره من العلماء العرب، ثم ان هذه المصطلحات اليق بالخليل من غيره، والذي يرجع الى المباحث الصوتية في كتاب العين، سيجد ذلك واضحا، ولا يقبل الشك[1].

وكان سيبويه قد رتب مخارج الاصوات ترتيبا يكاد لا يختلف كثيرا عن ترتيب الخليل، وقد عد هذا الترتيب اساس الترتيب الصوتي لمخارج الاصوات عند العرب، وقد تابعه المتأخرون من علماء العربية، وساروا على نهجه في ترتيب الاصوات[2].

إذ جعل مخارج الاصوات (ستة عشر) مخرجا، ثلاثة منها للحلق وهي[3]:-

1- اولها من اسفله واقصاه مخرج الهمزة والالف والهاء.

2- ومن وسط الحلق مخرج العين والحاء.

3- ومما فوق ذلك اول الفم مخرج الغين والخاء.

4- ومما فوق ذلك من اقصى اللسان مخرج القاف.

5- ومن اسفل من ذلك وادنى الى مقدم الفم مخرج الكاف.

6- ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الاعلى مخرج الجيم والشين والياء.

7- ومن اول حافة اللسان وما يليها من الاضراس مخرج الضاد الا انك ان شئت تكلفتها من الجانب الايمن، وان شئت من الجانب الايسر .

8- ومن حافة اللسان ادناها الى منتهى طرف اللسان من بينها وبين ما يليها من الحنك الاعلى مما فوق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام.

9- من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج النون .

10- ومن مخرج النون غير انه ادخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه الى اللام مخرج الراء.

11- ومما بين طرف اللسان واصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء.

12- ومما بين الثنايا وطرف اللسان مخرج الصاد والزاي والسين.

13- ومما بين طرف اللسان واطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء .

14- ومن باطن الشفة السفلى واطراف الثنايا العليا مخرج الفاء .

15- ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو.

16- ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة.

---

[1] اصوات اللغة العربية، 134.

[2] سر الصناعة، ج1، ص52. شرح المفصل، ص124-125 . النشر، ج1، ص198-201. وسر الفصاحة، ج1، ص15. وجرس الالفاظ، ص153.

[3] الكتاب، ج2، ص405.

ويبدو لي من خلال النظر إلى ترتيب مخارج الاصوات عند سيبويه انه قد خالف استاذه الخليل في بعض الجوانب . وذهب الى ان (الهمزة) في اول هذه المخارج من اقصى الحلق فجعلها قبل (العين) في حين جعلها الخليل من اصوات المد واللين أو كما اطلق عليها الهوائية، لأنها ليس لها موضع أو مدرج تنسب اليه، كما انه لم يجعل (العين) بعد الهمزة مباشرة، بل جعل بعدها الالف والهاء، وهو بذلك قد خالف استاذه على الرغم من ان سيبويه قد تعرض الى انتقادات كثيرة بعده (الالف) من اصوات الحلق وهي عند المحدثين من الصوائت[1].

ويبدو أنما توصل اليه سيبويه على وفق المنهج الذي سار عليه في وصف مخارج الاصوات، يكاد يقرب من وصف المحدثين لمخارج الاصوات العربية الا ان هناك بعض المآخذ على منهج سيبويه، من ذلك انه اعطى للواو مخرجا في آخر ترتيبه الصوتي أو المخرجي، وعدها بذلك شفوية، في حين ان المنهج الصوتي الحديث يخرجها من اقصى الحلق من منطقة الكاف مع اتخاذ الشفتين وضعا معينا[2].

وذلك لا يعني ان العلماء العرب قد أخطؤوا في وصف (الواو) أو انها ليست شفوية . وانما للشفتين دخل في نطق هذا الصوت[3].

ولما كان العرب غالبا ما يشيرون الى الموضع الاظهر وهم يتحدثون عن مخارج الاصوات، وان للشفتين اثرا ظاهرا عند النطق بالواو، فوصف الواو بأنها شفوية متفق مع منهجهم في الحديث على مخارج الاصوات[4]، فلعل وضع الشفتين من حيث هو وصف ظاهري بارز عند النطق بالواو هو الذي سوغ لسيبويه وعلماء العربية عدها شفوية، لأن وضع الشفتين قد شغلهم عن تحسس موضع اللسان من الحنك الاعلى[5].

وفضلاً علمانه وضع القاف بعد صوتي الغين والخاء متابعا الخليل ثم تابعهم علماء العربية الذين جاءوا من بعدهما[6].

وقد صرح الخليل ان القاف لهوية، ويبدو أنالخليل لم يقصد باللهاة معناها المعروف حديثا، والا كان مخطئا من ناحية تقديره مواضع الغين والخاء والكاف فاذا كان قصده باللهاة معناها العلمي المعروف لدى المحدثين، كان لزاما عليه ان يعكس الترتيب، إذ تخرج الغين والخاء من منطقة تلي اللهاة ولا تسبقها، ثم انه وصف الكاف بانها لهوية – ايضا – وهي ليست كذلك .

---

(1) اصوات اللغة، ص113. وفقه اللغة العربية، ص414.

(2) علم اللغة العام – الاصوات –، ص95.

(3) المصدر نفسه، ص89.

(4) اصوات العربية بين التحول والثبات ص 22 .

(5) المصدر تفسه ، ص22.

(6) العين، ج1، ص65. والكتاب، ج2، ص405. وسر الصناعة، ج1، ص52.

فأما ان يكون الخليل مخطئا في تقديره موضع (الغين والخاء والكاف)، واصاب في تقدير الكاف فوصفها بأنها لهوية، أو انه اخطأ في تقدير موضع القاف، وهذا هو الظاهر من خلال وصفه للاصوات .

ويبدو أنالعرب كانوا يشيرون الى قاف تختلف عن التي ننطقها في وقتنا الحاضر، فيكون نطقها صوتا شبيها بالكاف الفارسية، ولا سيما ان مخرج القاف الفصيحة مختلف الآن، فضلاً علىاختلاف صفتها، فيمكن ان يكون صوتا من منطقة الغين والخاء، أو هو بعدهما، فيكون عمل علماء العرب بوضعه مع الكاف في منطقة عامة واحدة عمل سليم[1].

ولكن يؤخذ على عمل سيبويه وعلماء العربية في وصفهم للمخارج، ان مكان (الظاء) عندهم بعد الياء، وقبل اللام، أو هي من مخرجها عندهم، اما (الظاء) كما ننطقها اليوم فهي في الترتيب مع التاء والدال والطاء[2].

كما انهم يذهبون الى ان (الصاد والزاي والسين) تاليه (الطاء والدال والتاء) أما اليوم فهي خلاف ما ذهبوا اليه، إذ إنها سابقة على هذه الاصوات، وليست بعدها من حيث الترتيب المخرجي، فالصاد والسين والزاي، اصوات اسنانية – لثوية، فعند النطق بها يوضع طرف اللسان خلف الاسنان العليا مع التقاء مقدم اللسان باللثة التقاء خفيفا، فهي اسنانية إذا نظرنا الى طرف اللسان خلف الاسنان العليا، وهي لثوية إذا التقى مقدم اللسان باللثة . وينطبق عليها الوصفان معا، فتسمى (اسنانية – لثوية)[3].

ويظهر اشد الاختلاف في ذكر (الالف) مع الاصوات الصامتة، وهو في الدرس الصوتي الحديث حركة طويلة، على ذلك لا مكان له في ابجدية سيبويه وعلماء العربية المخرجية . لأن ابجديتهم اصوات صامتة، اما ذكر (الواو والياء) في ابجديته مع امكان ان تكون صوائت، فذلك لأنهما يأخذان جانبين كونهما حركتين، أو كونهما (اشباه حركات)، فضلاً علىان (الالف) ليس صوتا حنجريا، أو حلقيا كما ذهب الى ذلك علماء العربية، وانما هو حركة، لتحديد موضع نطقه بوضع اللسان وضعا، ينفتح الفم معه تجاه الحنك الاعلى ويستقر اللسان في قاع الفم[4] .

ويبدو أنعلماء العربية لم يعتنوا بوضعية اللسان ولم يهتموا بالحركات التي يؤديها تجاه الحنك الاعلى من ارتفاع وانخفاض، وانصب اهتمامهم على اقصى الحلق . أو مناطق الفم وتوزيع المخارج عليها، وقد حاول الكثير من العلماء المحدثين الاعتذار لعلماء العربية عن ذلك،

---

(1) علم اللغة العام – الاصوات –، ص110.

(2) المصدر نفسه، ص105.

(3) المصدر نفسه ، ص96.

(4) الاصوات اللغوية، ص115-116.

لأن (الالف) ليس له نقطة انتاج معينة على طول مجرى الهواء[1]. ولما كان (الالف) هواء، والهواء يصدر من الرئتين ويمر بالحلق نسبوه الى ابعد نقطة يخرج منها الهواء وهي اقصى الحلق، لذلك نظر العرب الى ان ولادته تكون في ابعد نقطة مخرجية من جهاز النطق حتى انهم وصفوا الالف بصوت الجوف[2].

ولكن ذلك لا يمنع من ان المحدثين قد اتفقوا علميا على ان العلماء العرب قد جانبهم الصواب في ذلك[3].

اما مخارج الاصوات الاخرى عند سيبويه وعلماء العربية، فهو ترتيب مقبول في الدرس الصوتي الحديث، إذ إن بعضها كما جاء في وصف سيبويه لها، مثل (التاء والباء والميم) كان دقيقا، بل انه يدل على ادراك سليم بأن الصوت اللغوي يتكون من التقاء اعضاء النطق التي تنسب اليها هذه الاصوات، بوصف تتجلى فيه قدرة التحديد السليم . من ذلك تحديدهم اتصال طرف اللسان بالثايا والحنك الاعلى، بنظام بلغ من الدقة مراتب عليا من ذلك وصفهم (اللام) بأنه من حافة اللسان من ادناها الى منتهى طرف اللسان من بينها وبين ما يليها من الحنك الاعلى، مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام، في حين اكتفى المحدثون بوصفها بأنها تكون بأتصال طرف اللسان بأصول الثنايا[4].

الا ان الوصف الحديث للأصوات يؤكد وصفها متكاملا، وذلك بأضافة صفة هذه الاصوات الى الوصف المخرجي، فأذا وصفنا (القاف) .

نقول في وصفه : انه ينطق برفع اقصى اللسان حتى يلتقي بأدنى الحلق . واللهاة، مع عدم السماح للهواء بالمرور من الانف، وبعد ضغط الهواء مدة من الزمن يطلق سراح مجرى الهواء، وذلك بأن ينخفض اقصى اللسان فجأة فيندفع الهواء محدثا صوتا انفجاريا، ولا يتذبذب الوتران الصوتيان عند النطق به، فهو إذن : صوت لهوي انفجاري مهموس[5].

اما وصفها عند سيبويه ومن تابعه من علماء العربية فقد اكتفوا بوصفها بأنها: (من اقصى اللسان وما فوقه من الحنك الاعلى).

غير أنذلك يحمل على ان علماء العربية، قد تحدثوا عن صفات هذه الاصوات في موضع خاص، اطلقوا عليه (صفات الاصوات)، اما الوصف المخرجي فاطلقوا عليه (مخارج الاصوات)، وتحدثوا في كل من هذين الموضوعين عن كل ما يتعلق بهما، فهو تفصيل املاه عليهم منهجهم

---

(1) دراسة الصوت اللغوي، ص297.

(2) العين، ج1، ص57.

(3) الاصوات اللغوية، ص115-116. الاصوات عند سيبويه، ص16. (بحث) .

(4) الاصوات اللغوية، ص87.

(5) علم اللغة العام – الاصوات –، ص109.

في الحديث عن مخارج الاصوات وصفاتها . ويمكن الجمع بين الموضوعين لأعطاء الوصف المتكامل لوصف الاصوات .

وعلى الرغم من ان ابن دريد قد وافق سيبويه في ترتيب مخارج الاصوات فإن الذي يتأمل ترتيبه سيجد اضطرابا في ذلك، إذ إنه لا يوردها إيراد سيبويه لها، فنلاحظه يذكر (النون الخفيفة) التي تعد في نهاية الترتيب الصوتي عند سيبويه بعد اصوات الشفتين، فضلاً علىالتقديم والتأخير في اصوات (الظاء والذال والثاء) والضاد[1].

ولا اظن ان ابن دريد اراد ان يخالف سيبويه، أو انه يرى ان ما قام به هو الصواب، وانما مردّ ذلك الى ان هناك اضطرابا في النسخ التي وصلت من كتاب (الجمهرة) وهذا ما اطمأن اليه الباحثون[2].

اما باقي الترتيب المخرجي للأصوات فقد وافق سيبويه في ذلك إلا أنه خالفه في بعض الجزئيات، إذ إن وصف الضاد عند سيبويه هو من (أول حافة اللسان وما يليه من الاضراس) اما عند ابن دريد فهو من (وسط اللسان مما يليه الى الحافة اليمنى)[3].

ومعنى ذلك ان الضاد عند سيبويه لثوية – حنكية، والضاد عند ابن دريد، تبدو في نقطة اكثر تقدما نحو سقف الحنك الصلب على الاضراس الامامية، وهي قريبة لوصف الضاد الضعيفة التي ذكرها سيبويه من انها من حافة اللسان . وقد يتكلف نطقها من الجانب الايمن أو الايسر حتى تخالط أصوات اللسان[4].

فضلاً علىذلك فقد خالف ابن دريد سيبويه عندما وضع النون قبل اللام[5]. وحديث ابن دريد حديث مختصر يعتمد الايجاز والاختصار خلاف سيبويه الذي يفصل في مخرج الصوت من ذلك مثلا انه حين يتحدث عن صوت اللام، يكتفي بالقول: (اللام قريبة من ذلك، وهو يريد مخرج النون)[6] .

ويعد ابن سينا من العلماء الذين بلوروا نتاج الخليل وسيبويه، وقدم وصفا يكاد يكون دقيقا وشاملا لمخارج الاصوات العربية، مع التفصيل في مخرج كل صوت ساعده في ذلك اشتغاله بالطب، ومعرفته بأعضاء النطق فزاد في وصف مخارج الاصوات، فرتب الاصوات ترتيبا يختلف

---

(1) الفكر الصوتي عند ابن دريد، ص177.

(2) المصدر نفسه ، ص177.

(3) الجمهرة، ج1، ص8.

(4) الكتاب، ج2، ص404.

(5) الكتاب، ج2، ص405. والجمهرة، ج1، ص8.

(6) الجمهرة، ج1، ص8 . الفكر الصوتي عند ابن دريد، ص179.

عن ترتيب سابقيه من حيث الاطار الخاص والتفصيلات الجزئية من تقديم وتأخير الا ان الاطار العام يكون مقاربا وهي عنده[1] :-

الهمزة، هـ، ع، ح، خ، ق، ع، ك، ج، ش، ض، ص، س، ز، ط، ت، د، ث، ظ، ذ، ل، ر، ف، ب، ن، واو صامتة، ياء صامتة، الف مصوته، ياء مصوته.

والملاحظ على ترتيبه المخرجي، انه خالف سابقيه في تقديم بعض الاصوات على بعض، الا ان ذلك لا يمنع من ان ابن سينا قد خطا خطوة متقدمة في مجال الوصف المخرجي للأصوات، إذ إنه اضاف تفصيلات وصفية لمخارج الاصوات لم يسبقه اليه احد، وذلك بحكم معرفته بالجهاز النطقي واعضائه، من ذلك وصفه لمخرج الهمزة، إذ يقول في ذلك الوصف : (اما الهمزة فإنها تحدث من حفز قوي من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير، ومن مقاومة الطرجهالي الحاصر زمانا قليلا لحفز الهواء ثم اندفاعه الى الانقلاع بالعضل الفاتحة وضغط الهواء معا)[2].

وقد اتبع منهجا تفصيليا في وصفه لباقي الاصوات الاخرى، فذكر اعضاء النطق التي يمر من خلالها الصوت عند نطقه من منطقة حدوثه الى منطقة انتهائه، إذ إنه يجمع في حديثه بين الوصف من حيث المخرج والوصف من حيث الصفة، وهو وصف تؤكده الدراسات الصوتية الحديثة، فمن ذلك حديثه عن (العين) إذ يقول : (واما العين فيفعلها حفز الهواء مع فتح الطرجهالي مطلقا، وفتح الذي لا اسم له متوسطا، وارسال الهواء الى فوق ليتردد في وسط رطوبة يتدحرج فيها من غير أنيكون قبل الحفز خاصا بجانب)[3].

ان ابن سينا بمنهجه هذا استطاع ان يضفي على منهج الدرس الصوتي عند العرب جوانب التفصيل الوصفي الذي يكاد يكون مجملا عند سابقيه مع الاحتفاظ بسمات مصطلحية تنسب اليه وحده من دون سواه، وذلك ما تظهره اسماء اعضاء النطق التي يطلقها ابن سينا عليها، وانه غلف حديثه بتلك التسميات التي يجد الباحث نوعا من الغموض في الوقوف على حقيقتها ولا تتكشف الا بعد دراسة اعضاء النطق عند ابن سينا دراسة واعية، ومعرفة الحدود الفاصلة بين كل عضو من اعضاء النطق بالاسماء التي وضعها لها، فعندما يطلع القارئ أو الباحث على وصف احد الاصوات عنده سيلاقي صعوبة في معرفة حقيقة ما يرمي اليه ولا ينكشف المقصود الا بعد جهد كبير من خلال الاطلاع على وصفه لباقي الاصوات[4].

---

(1) اسباب حدوث الحروف، ص113-126.

(2) المصدر نفسه، ص72.

(3) المصدر نفسه، ص73.

(4) الدرس الصوتي عند ابن سينا، ص116 وما بعدها .

وهذا بخلاف منهج سابقيه، ويكفي الاطلاع على وصف اي صوت يصفونه، فلا يجد القارئ صعوبة في معرفة ما يقصده سابقو ابن سينا وقد مر ذلك في كلام الخليل وسيبويه عن مخارج الاصوات.

وعلى الرغم من ان ابن سينا قد وصف الاصوات الصائتة (الالف والواو والياء) . وفرق بين (الواو والياء) الصائتة و(الواو والياء) الصامتة . وهي خطوة دقيقة وصحيحة في الدرس الصوتي عند العرب، وتوافق الدرس الصوتي الحديث فإنه اعترف صراحة بصعوبة الاصوات الصائتة عليه إذ قال : (ثم امر هذه الثلاثة على مشكل، ولكني اعلم يقينا ان الالف الممدودة المصوتة تقع في ضعف أو اضعاف زمان الفتحة، وان الفتحة تقع في اصغر الازمنة التي يصح فيها الانتقال من حرف الى حرف، وكذلك نسبة الواو المصوتة الى الضمة والياء المصوتة الى الكسرة)[1].

فاذا كان قصده النطق زماني بين هذه الاصوات من حيث الاطوال الزمنية في النطق، وان مخرجها قد وصفه قبل ذلك، فأنه لم يقطع بوصفها المخرجي، إذ إن عبارة (الظن) تدور معه عندما يصف هذه الاصوات الثلاثة، من ذلك قوله في وصف الواو المصوتة إذ يقول في ذلك : (واما الواو المصوتة وأختها الضمة فأظن ان مخرجها مع اطلاق الهواء مع ادنى تضييق للمخرج وميل به سلس الى فوق)[2].

وهذا دليل على انه لم يقطع بالوصف المخرجي لهذه الاصوات على الرغم من انه كان وصفا دقيقا يوافق ما ذهب اليه المحدثون .[3]

فأن ابن سينا يذهب مذهب الخليل في ذلك، وان كان قد زاد عليه في التفصيل، فهذه الاصوات قد جعلت الخليل يضعها في اخر مخارج الاصوات ويضعها في ترتيبه في حيز واحد وهو الجوف[4].

في حين كان سيبويه ومن تابعه من علماء العربية قد وضعوا (الالف) في اقصى الحلق، والياء وسط الحلق، والواو مما بين الشفتين[5].

فأذا كان الخليل قد جعل الياء والواو جوفية أو هوائية، فأنه لم يعطنا مخرج (الواو والياء) الصامتين، مما جعل ابن سينا يفرق بين النوعين تفريقا دقيقا كان سيبويه قد بين مخرج (الياء

---

(1) اسباب حدوث الحروف، ص85.

(2) المصدر نفسه، ص89.

(3) الاصوات اللغوية، ص147.

(4) العين، ج1، ص57.

(5) الكتاب، ج2، ص406.

والواو) بوصفهما صوامت، فأنه لم يبين مخرجهما بوصفهما صوائت . واذا كان الخليل وابن سينا ومن تابعهما قد اصابوا في مخرج الالف، فأن سيبويه قد جانبه الصواب في ذلك .

ومهما يكن من امر فقد زاد ابن سينا على سابقيه وصفا مخرجيا لبعض الاصوات التي لم توجد في لغة العرب وهي شبيهة بأصوات العربية، وهذه الاصوات هي:[1]

1- الكاف الخفيفة، وتستعمل بدلا من القاف .

2- اصوات تشبه الجيم وهي :

الجيم التي تنطق كما تنطق الجيم العربية الا انها مقدمة عليها بالمخرج، والجيم التي تشبه الزاي، والجيم التي تشبه السين، والجيم التي تشبه الصاد .

وهذه الاصوات الثلاثة الاخيرة لا توجد في لغة العرب . ولا في لغة الفرس ولا تبعد ان تكون يونانية، وذكرها ابن سينا بحكم معرفته بالثقافة اليونانية .[2]

3- السين الصادية : وذلك اذا زالت صفة الاطباق عن الصاد، واصبحت سينا، وقد اشار سيبويه الى ذلك، ومثل له بـ(السراط والصراط).[3]

4- السين الزائية : وهو ما ينطقه اهل خوارزم، وكذلك الزاي الشينية، وهو ما ينطقه أهل فارس، ويرمز له بالرمز (ر) كما في قولهم (ررق) .

5- الراء الغينية : والراء اللامية، والزاي الظائية، واللام المطبقة، والفاء التي تشبه الباء، والباء المشددة، والميم والنون .

وقد تحدث عن هذه الاصوات بشكل مفصل، وفرق بينها وبين الاصوات العربية ونسبها الى اهلها من غير العرب، مثال ذلك، حديثه عن الصوت الذي يكون بين السين والزاي، اي السين الزائية، إذ يقول : (من ذلك سين زائية تكثر في لغة اهل خوارزم، وتحدث بأن تهيأ الهيئة التي عن مثلها تحدث السين ثم يحدث في العضلة الباطحة للسان ارتعاد كما يحدث في الزاي يلزم ذلك الارتعاد مماسات خفية غير محسوسة يحتبس لها الهواء احتباسات غير محسوسة فتضرب السين لذلك الى مشابهة الزاي)[4].

ويظهر من ذلك انه تفصيل لا يوجد عند سابقيه، فقد اكتفى سيبويه بذكر امثال هذه الاصوات من دون تفصيل في كيفية نطق هذه الاصوات[5].

---

(1) اسباب حدوث ، ص127-132.

(2) الاصوات اللغوية، ص147.

(3) الكتاب، ج2، ص406 .

(4) اسباب حدوث الحروف، ص120.

(5) الكتاب، ج2، ص406.

وقد حاول علماء التجويد اضافة شيء الى ما قاله ابن سينا في امثال هذه الاصوات فتحدثوا عن تلك الاصوات الفرعية، وبينوا ان مخرج الصوت الفرعي يكون متوسطا بين مخرج الصوتين اللذين اشتركا فيه[1].

الا انهم لم يفصلوا في مخارجها كما فعل ابن سينا بل رددوا عبارات من تقدمهم من علماء العربية من ذلك حديثهم عن الصوت الذي يكون بين الجيم والكاف، فقد رددوا عبارة ابن دريد في ذلك فقالوا : (واما الكاف التي بين الجيم والكاف، فذكر ابو بكر بن دريد انها لغة في اليمن، يقولون في جمل – كمل، وهي كثيرة، وقد يسمع من العوام من يقول، (كمل وركل) في جمل ورجل، وهي عند اهل المعرفة معيبة مرذولة، والجيم التي كالكاف مثل هذه، وهما جميعا شيء واحد، الا ان اصل احدهما الجيم واصل الاخرى الكاف)[2].

وهكذا سائر علماء العربية، فعندما يتحدثون عن تلك الاصوات سواء اكانت المستحسنة ام غير المستحسنة، يكتفون بذكرها والتمثيل لها ونسبتها من دون التفصيل في مخارجها، وإن كان هناك ذكر لمخارج بعضها فأنه ليس ذا قيمة[3].

وكان لزاما عليهم ان يفصلوا في مخارج هذه الاصوات، لأنها قد دخلت في النطق العربي . ولو انهم فعلوا ذلك، لفتحوا بابا من شأنه ان يغني الوصف المخرجي عند العرب.

ويبدو لي أن الذي يحسب لعلماء التجويد انهم قد افادوا من علم السابقين وبعد ان زاد اختلاط العرب بغيرهم من الامم . فأخذ الصوت ينطق بعدة صور مما دعا علماء التجويد الى رصد تلك التنوعات الصوتية، وتنبيه الدارسين على ذلك، فزادوا على سيبويه عدد الاصوات الفرعية المستحسنة وهي اللام المفخمة، والراء المرققة، والواو التي ينحى بالضمة التي قبلها نحو الكسرة، والياء التي ينحى بالكسرة التي قبلها نحو الضمة، وجعلوا الهمزة المسهلة بين ثلاثة اصوات وكان سيبويه قد عدها صوتا واحدا.[4]

اما الاصوات الفرعية غير المستحسنة التي زادها علماء التجويد على سيبويه فهي : (السين التي كالزاي، والجيم التي كالزاي، والقاف التي بين القاف والكاف، والكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف).[5]

ونجد مثل هذه الاصوات في كلام المتأخرين من علماء اللغة – ايضا– [6].

---

[1] الرعاية، ص89.

[2] الرعاية، ص89.

[3] الصاحبي، ص36. شرح الشافية، ج3، ص257.

[4] الموضح، ص85.

[5] المصدر نفسه، ص85.

[6] ارتشاف الضرب ج 1 ، ص4.

ويمكن ان نستخلص من كل ذلك ان منهج العلماء العرب في دراسة مخارج الاصوات، منهج رصين، محكم، بغض النظر عن الاختلاف في بعض مخارج الاصوات إذ يمكن ان يحمل على التطور الصوتي الذي تخضع له الاصوات بتقادم الزمن، ولا يمكن وصف منهجهم بأنه مشوب بالخلط والاضطراب كما يذهب بعض المحدثين . بالاستناد الى اختلاف العلماء العرب في تحديد عدد المخارج، واتخاذه سببا لذلك الخلط، وانهم تارة يسمون النون ذلقية لأنها تخرج من ذلق اللسان، ومرة خيشومية، لأنها تخرج من الخيشوم، ومرة من طرف اللسان، وتارة اخرى يجمعونها مع الراء واللام في مخرج واحد، فضلاً علىالخلط والاضطراب في التقديم والتأخير في مخارج الاصوات، مثل تبادل المواقع بين القاف والكاف قديما وحديثا[1].

والذي اراه ان هذا الرأي غير سديد ولم يأخذ نظرية المخارج الصوتية عند علماء العربية من جوانبها المتعددة، فضلاً علىربط التفكير العلمي للعلماء العرب مع الظاهرة التي يحاولون دراستها، والقائمة على التفصيل الدقيق، ومحاولة ذكر كل ما ينعلق بها، فمكامن الخطأ الذي نعتوا بها علماء العربية، انما هو متأت عن طريق الاستقراء الواعي لمخرج الصوت والملاحظة الدقيقة لكيفية تكوينه، فوصف النون بالاوصاف السابقة انما يزيدها وضوحا وجلاء للناطقين والدارسين، وهذا نابع من امانة علماء العربية وحرصهم على ان ينقلوا ما يسمعونه باخلاص[2].

كما ان مسألة خطئهم في تحديد المخارج كمسألة نطق الاصوات المختلف فيها بين القديم والحديث إذ لم يصل الينا نطقها القديم كما وصفه علماء العربية[3].

ومما لا شك فيه ان اقوال العلماء العرب واختلاف عباراتهم في وصف مخارج الاصوات العربية، تسير في اتجاه واحد يصل الى فكرة عامة لديهم، يستنبطها القارئ ويتوصل اليها كل من يطلع على التراث الصوتي عند العرب .

ان هذه الفكرة تتلخص بأعطاء أصوات العربية مخارجها أو نسبتها الى مخارج صوتية، ينسب اليها كل صوت قد يشاركه فيه صوت آخر أو قد يختص به هو وحده من دون سواه.

ان مسألة التقديم والتأخير في الترتيب المخرجي لأصوات العربية بين العلماء العرب وان كانت تصور خلافا بينهم كما يبدو للدارس للوهلة الاولى . إلا أنه في الحقيقة بعيد عن الخلاف المنهجي الذي يؤدي الى تصدع البناء المنهجي العام لنظرية المخارج عند العرب، لأن ذلك مرده تذوق العلماء العرب لتلك الاصوات، واحساسهم بمواقع هذه المخارج، فضلاً علىانه خلاف طفيف كما يكون تقديم صوت أو صوتين أو تأخير بعضهما عن بعض، وهما داخلان في مخرج واحد،

---

[1] مناهج البحث في اللغة، ص85-86.

[2] دراسات في فقه اللغة، ص33.

[3] اصوات اللغة العربية، ص131.

مثل (الكاف والقاف) . أو (الجيم والشين والياء)، وذلك لأنه ليس هناك حدود فاصلة كبيرة بين هذه الاصوات، يستند ترتيبها الى معرفة الارفع فالارفع كما يفعل الخليل . اما اختلاف مخارج بعض الاصوات بين القدماء والمحدثين، فأنه لا يدل – كما رأينا – على اختلاف منهجي كبير، فلكل جيل ادواته الخاصة في دراسة الاصوات، ويمكن بعبارة يسيرة ان نقول ان التطور الصوتي هو الذي سبب ذلك الخلاف .

ان هناك حقائق مقررة لا يمكن للدارس ان ينكرها، ولا يعترف بوقوعها، إذ الاعتذار عنها يوقع في مشكلات دراسية . من ذلك، نسبة العرب (الالف) الى اقصى الحلق عند اغلب علماء العربية، وانها في الابجدية الصوتية تنتمي الى الصوامت، في حين هي عند المحدثين من الصوائت، الا ان التفاتة الخليل وابن سينا الى ذلك وعدها هوائية، أو كما يقول ابن سينا(صائتة) . يمكن ان تلغي تلك النظرة الخلافية، وذلك بأظهار ادق وصف لها عند علماء العربية.

والحال يصدق على ما ذهب اليه العلماء العرب، من وصف (الواو والياء) بأنهما من وسط اللسان، ونسبتهما الى الصوامت، في حين هي عند المحدثين تأخذ صفتين صوتيتين . فتكون بين الصوامت والصوائت. لذلك ميز المحدثون وفرقوا بين النوعين، وهذا ما فعله ابن سينا، عندما ميز بين النوعين بأسلوب دقيق – كما مر بنا– ومهما يكن من امر فقد قيل الكثير من الآراء في توجيه تلك الاختلافات بين القدماء والمحدثين واغلبها اتفقت على ان تلك الاختلافات طفيفة جدا، ولا تبخس جهد العلماء العرب الذين اتفقوا مع المحدثين في وصفهم لمخارج الاصوات، وهم لا يملكون سوى الحس المرهف، وتجربتهم الشخصية وامتلاك المحدثين لكل معطيات التطور العلمي ونتاجه في الآلة.

ثانيا : صفات الأصوات

كان موضوع صفات الأصوات من الموضوعات المهمة عند علماء العربية، فأعطوا لكل صوت صفته الخاصة به، التي ينماز بها من غيره من الاصوات، وذلك ان دراسة الاصوات بوصف عام تتطلب معرفة صفة الصوت، فضلاً علىمخرجه لما لصفات الاصوات من اثر بالغ في تعامليات الاصوات – كما هو الحال – في ظاهرة الادغام، لأن معرفة مخارج الاصوات غير كافية في اعطاء الخصائص الصوتية التي ينماز بها حتى يجعل جرسه متميزا في السمع من غيره، لا سيما ان كثيرا من الاصوات تشترك مع غيرها في المخرج ولولا صفات الاصوات لما انمازت تلك الاصوات المشتركة في مخرج واحد.

ان علماء العربية إذ كانوا قد اعطوا تعريفا لمخرج الصوت فإنهم لم يعطوا تعريفا واضحا لصفة الصوت، نستثني من ذلك علماء التجويد، إذ قال بعضهم : (وصفة الأصوات كيفية عارضة في الصوت عند حصوله في المخرج، وتتميز عن ذلك الأصوات الممتدة بعضها عن بعض[1]).

ويلاحظ على علماء التجويد أنهم قد اعطوا صفات عديدة للأصوات إلا انهم قد خلطوا بين صفات هذه الأصوات في حيز الافراد، وصفاتها في حيز التركيب. فضلاً علىوصل الالقاب بهذه الصفات[2].

فبعض هذه الصفات هي القاب مخرجية، مثل الحلقية، واللهوية، والشجرية، وغيرها من الالقاب المخرجية التي ذكرها الخليل، ومن تلك الالقاب ما يعبر عن معنى صرفي مثل (الأصوات الزوائد، والابدال، والعلة) . غير أنعلماء التجويد كان رأيهم قد استقر على ستة عشر صفة للصوت، وهي الصفات التي ذكرها سيبويه من قبل[3].

وكان لعلماء التجويد فضل اعمال فكرهم في الجانب الصوتي للأصوات لأنه يمثل الاساس الاول في قراءة القرآن الكريم، وكان نتيجة لذلك ان تعمقوا في دراسة الأصوات وصفاتها بشكل دقيق، فكانت نظرتهم الى صفات الأصوات نظرة تقديم أسس شاملة لتصنيف الأصوات، تنضوي تحتها التقسيمات الفرعية، فصنفوا صفات الأصوات الى صفات مميزة وصفات محسنة[4].

---

(1) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص272.

(2) الرعاية، ص92 وما بعدها.

(3) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص231.

(4) لمزيد من التفصيل : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص231.

فضلاً علىتقسيم صفات الأصوات الى قسمين ذاتي وعرضي، فالذاتية مثل الجهر والهمس، والعرضية مثل المد والقصر[1].

وهناك تقسيمات اخرى مثل تقسيم الصفات الى صفات قوية وضعيفة واخرى متوسطة، وتقسيم الأصوات بقدر ما فيها من صفات قوية وضعيفة ومتوسطة، بمعنى ان داخل التقسيم تقسيما اخر[2].

كانت دراسة صفات الأصوات عند علماء التجويد دراسة دقيقة ومعمقة، وفيها تفصيلات متشعبة، تتفاوت بين عالم واخر. الا انها تسير في اتجاه واحد وهي في الوقت نفسه تنطبق على الصفات التي ذكرها العلماء من قبل مثل (سيبويه والمبرد)[3] .

ان دراسة صفات الأصوات ومعرفة طريقة علماء العربية في دراستها، يمكن ان نقف عليها من خلال السير وراء اقوالهم في هذا الجانب واعطاء الحرية المطلقة لأقوالهم في تقديم هذه الصفات ودراستها، ومن خلال ذلك يمكن لنا ان نقف على تحديد هذه الصفات.

والملاحظ على علماء العربية انهم قسموا صفات الأصوات الى صفات متقابلة وصفات مفردة . لذلك سنسير على وفق هذا المنهج القائم على الثنائية والافرادية في تقسيم صفات الأصوات.

---

[1] لطائف الاشارات، ج1، ص196.

[2] الكشف، ج1، ص137.

[3] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص237.

1. المجهور والمهموس :

عرف علماء العربية بالصوت المجهور أنه : صوت اشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس ان يجري معه، حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت .

وعدد الأصوات التي تنضوي تحت هذا التعريف (تسعة عشر) صوتا هي:-

الهمزة والالف والعين والغين والقاف والجيم والباء والظاء واللام والزاي، والراء، والنون، والذال، والدال، والضاد، والميم، والواو،والطاء[1].

وعرفوا بالمهموس أنه: صوت اضعف الاعتماد في موضوعه حتى جرى معه الصوت، وعدد الأصوات المهموسة هي (عشرة اصوات)، وهي :-

الصاد، والحاء، والخاء، والكاف، والسين، والشين، والثاء، والصاد، والتاء، والفاء[2].

نلاحظ من ذلك ان علماء العربية قد وضعوا جري النفس من اسس تقسيم هذه الأصوات إلى مجهورة ومهموسة، فقالوا : (وانت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الصوت مع جري النفس، ولو اردت ذلك بالمجهور لم تقدر عليه)[3].

اما المحدثون فعندهم الأصوات المجهورة هي التي يصاحب نطقها تذبذب الوترين الصوتيين، إذ يتقاربان تقاربا جزئيا لا كليا بحيث يسمح للهواء المندفع من خلالهما ان يفتحهما أو يغلقهما بسرعة وانتظام فائقين، ومن ثم ينتج ما نعرف بذبذبة الاوتار الصوتية، وهي ذبذبة تحدث نغمة صوتية تختلف في الدرجة والشدة، وهذه النغمة اصطلح عليها علماء الأصوات بالجهر، وتسمى الأصوات التي تصحب هذه النغمة بالأصوات المجهورة، وعددها (ستة عشر) صوتا[4].

اما الأصوات المهموسة فهي التي لا يصاحب نطقها اهتزاز الوترين الصوتيين وذلك لأنه قد ينفرج الوتران الصوتيان إنفراجا ملحوظا بحيث يسمحان للنفس ان يمر من خلالهما من دون ان يقابله اعتراض يذكر، وفي هذه الحالة يحدث ما يسمى بالهمس في الاصطلاح الصوتي، وتسمى الأصوات التي تنطق بهذه الطريقة الأصوات المهموسة وعددها (اثنا عشر) صوتا[5].

يتبين من خلال ما تقدم من كلام القدماء والمحدثين :-

1- ان الاعتبار أو الاساس الذي وضعوه للجهر والهمس مختلف.

---

(1) الكتاب، ج2، ص405. المقتضب، ج1، ص194-195. ارتشاف الضرب، ج1، ص8.

(2) المصادر نفسها، والمواضع نفسها. ومفتاح العلوم، ص39.

(3) المصادر نفسها، والمواضع نفسها.

(4) الأصوات اللغوية، ص21. وعلم اللغة العام – الأصوات –، ص68.

(5) الأصوات اللغوية، ص21. وعلم اللغة العام – الأصوات –، ص68.

2- عدد الأصوات المنضوية تحت كل تعريف مختلف – ايضا -.

فالمجهورة عند القدماء (تسعة عشر) صوتا، اما عند المحدثين فهي (ستة عشر) صوتا، وكذلك المهموسة، فهي (عشرة) عند القدماء، و(اثنا عشر) عند المحدثين، وذلك بإضافة (الطاء والقاف)، و(ثلاثة عشر) صوتا بإضافة (الهمزة) . لمن يراها مهموسة.

اما ضابط القدماء، فكما هو واضح لا يقوم على اهتزاز الوترين الصوتيين في الحنجرة أو عدم اهتزازهما، وانما يقوم على جري النفس أو عدم جريه، ولعل ذلك مترتب على عدم معرفتهم للوترين الصوتيين مع التسليم بإدراكهم لأثرهما في انتاج الأصوات[1] .

لذلك نجدهم من خلال وصفهم للجهر والهمس قد قدموا تعريفات تعتمد أساسا يقوم على كيفية مرور الهواء في جهاز النطق وهي في حقيقتها تعاريف تتسم بالصعوبة والتعقيد الى حد يصعب معه التعرف على مقاصدهم بدقة[2].

ويبدو لي من خلال تعريف القدماء للجهر والهمس بالاستناد الى جري النفس وعدمه يمكن ان يؤخذ على انه اذا جرى النفس مع النطق بالصوت كان مهموسا واذا منع النفس من الجريان كان مجهورا، بمعنى ان جريان النفس يؤدي الى تباعد الوترين الصوتيين، ويبدو أنالمقصود بإشباع الاعتماد هو قوة تأثير الهواء المندفع من الرئتين على انتاج الصوت اثناء مروره في المجرى المؤدي الى الحنجرة حتى مخرج الصوت، اما الصوت المهموس فيصحبه هواء ضعيف الضغط، لا يؤثر تأثيرا قويا في مجراه منذ خروجه من الرئتين[3].

لذلك يمكن ان تكون عبارة (منع النفس ان يجري معه حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت) . بامكان الاوتار الصوتية حين يقترب بعضها من بعض ان تمنع الهواء منعا جزئيا من المرور، وهذا يجعل الهواء يؤثر فيهما بالاهتزاز المستمر حتى يصل الصوت الى مخرجه، اما في الصوت المهموس، فجري النفس معه معناه ان الهواء وجد الطريق متسعا. وهذا معناه ان نتيجة ابتعاد الوترين الصوتيين بعضهما عن بعض، يقل أو ينعدم تأثير الهواء فيهما، وفي اهتزازهما، ومن ثم تضعف قوة الصوت.

ومن ذلك يكون وصف القدماء للجهر والهمس صحيحا، لأنهم لم يكونوا يعلمون غيره، وعندما تعرف المحدثون على وتري الحنجرة اختلفوا مع القدماء في تعريف وصف بعض الأصوات، وما دام التعريف مختلفا، فلا غرابة – اذن – في اختلاف وصفهم للصوت الواحد[4].

---

(1) الأصوات عند سيبويه وعندنا، ص5. والتفكير الصوتي عند العرب، ص58.

(2) المدخل الى علم اللغة، ص40. وعلم اللغة العام – الأصوات -، ص88.

(3) الأصوات اللغوية، ص92. ومصطلحات سيبويه في اصوات العربية، ص182. (بحث).

(4) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ص313-314.

وذهب بعض الباحثين إلى ان تقسيم القدماء للأصوات يتصف بالتداخل والالتباس، بزعم ان جريان النفس وعدمه يختلط بما يسمى عندهم بـ (الشديد والرخو)، ولكن تقسيم القدماء الأصوات بعد ذلك إلى شديدة ورخوة أبطل هذا الزعم[1].

والحقيقة ان وصف علماء العربية للجهر والهمس قد اثار جدلا كبيرا بين المحدثين، اذ اضطربت اراؤهم في تفسيرها من دون بيان المقصود منها، واغلبها قائم على الافتراض والتخمين الذي لا يرقى الى اليقين، نظرا لغموض عبارة القدماء وانغلاقهما على المحدثين فذهبوا في تفسيرها مذاهب عديدة من دون الوقوف على حقيقتها[2]. مما يدعونا الى التسليم بقول القدماء وضابطهم لوصف الأصوات، ولا سيما انهم اتفقوا مع ما قرره المحدثون في وصف الأصوات المنضوية تحت المصطلحين الا في ثلاثة اصوات هي (الهمزة، والقاف، والطاء). التي عدها القدماء مجهورة، وهي عند المحدثين مهموسة، والهمزة عند بعضهم لا مهموسة ولا مجهورة.

واذا عرفنا ان هناك من المحدثين من ذهب الى ان الهمزة مجهورة[3]. وعدم اتفاق الاخرين على القطع بصفتها فهي عنده لا مجهورة ولا مهموسة[4]. فيكون الخلاف منحصرا في صوتين اثنين فقط، ومع ذلك سنتناولها بالبحث.

ان صوت الهمزة كثر حوله حديث المحدثين، فهناك من ذهب الى انه صوت مهموس بسبب عدم ذبذبة الوترين الصوتيين عند النطق به[5] . وهناك من ذهب الى ان الهمزة صوت لا مجهور ولا مهموس، لأنه نظرا لأنغلاق الفتحة الموجودة بين الوترين الصوتيين حال النطق بالهمزة . إذ ينطبقان انطباقا تاما، فلا يمر الهواء من خلال الحنجرة، ثم ينفرجان فجأة، فيحدث صوتا انفجاريا هو صوت الهمزة وهي حالة خاصة لا تكون مع المجهور ولا مع المهموس[6].

وكلا الرأيين نفيا صفة الجهر عن الهمزة، ولكن وصف الهمزة وهي حالة خاصة لا تكون مع المجهور ولا مع المهموس فيه نظر لأن حبس الهواء وراء المزمار ثم فتحه فجأة عند نطق الهمزة سيؤدي الى منع النفس وهي بذلك مجهورة ، لأن النفس لا يمكن ان يجري معها، مع التسليم بعدم امكانية تحريك الوترين الصوتيين عند النطق بها وهي مهموسة[7].

---

(1) المدخل الى علم اللغة، ص40.

(2) الأصوات اللغوية، ص21. اللغة العربية معناها ومبناها، ص60-62. والمصطلح الصوتي، ص51-70.

(3) البحث الصوتي عند ابن جني، ص46.

(4) علم اللغة العام – الاصوات –، ص112.

(5) دروس في علم اصوات العربية، ص123.

(6) علم اللغة العام – الأصوات –، ص112.

(7) اصوات اللغة، ص183.

ومهما يكن من امر فإن خلاف المحدثين في صفة الهمزة وعدم القطع بها، فضلاً علىان التسجيلات الطيفية الحديثة قد اظهرتها صوتا غير مستقر ولا يتخذ شكلا محددا[1].

يجعلنا نطمئن الى وصف القدماء للهمزة بأنها صوت مجهور في زمانهم، مع امكانية التغير الصوتي الذي اصابه حتى جعل المحدثين يختلفون في وصفه، بل ان هذا الخلاف بين المحدثين يقوي ما ذهب اليه القدماء في صفة الهمزة[2] لاتفاق القدماء مع من ذهب إلى انه صوت مجهور .

اما صوت القاف فهو عند القدماء مجهور وعند المحدثين مهموس، وبناءً على النطق المعاصر، فإما ان يكون العلماء العرب قد أخطؤوا في وصف هذا الصوت وهو احتمال وارد، وان كان بعيدا، واما ان يكون العرب قد وصفوا قافا كانت مجهورة في القديم ثم صارت مهموسة، أو لعل النطقين كانا موجودين معا، فاختاروا ما عدوه صحيحا وهو الصوت المجهور[3].

ان حديث العرب على القاف يكاد ينطبق تماما على ما يسمى بصوت (الجاف)، الذي هو صوت حنكي قصي، انفجاري مجهور، وهو النطق السائد في القاف في كثير من اللهجات العربية[4]. وهنا دخلت القاف الوصف اللهجي، ثم دخلت في احتمالات وصفية، فاحتمال نطقها غينا أو قريبا من صوت الغين، أو جيما قاهرية (مجهور الكاف) . أو قريبا من صوت هذه الجيم، فمن المحتمل ان يكون العرب قد وصفوا قافا لهجية قديمة، تنطق قافا قصية مجهورة[5]. أو ان تكون القاف اللهجية المحتمل وصفها عند القدماء تشبه القاف في اللهجة العراقية مثل الصوت الاول في كلمة (كلب) بمعنى (قلب) . فاذا كان كذلك فهو صوت مجهور، واذا كان خلافه وبناءً على تعريفهم للجهر والهمس فهو صوت مجهور، وما دام الضابط مختلفا بين القدماء والمحدثين، فلا غرابة ان يختلف وصف الصوت[6].

وذهب بعضهم الى ان نطق القاف العتيق ما يزال باقيا في بعض الجهات[7].

في حين احتمل بعضهم ان القاف كان مجهورا في بيئات من العربية فوصفه العرب[8].

---

(1) دراسة الصوت اللغوي، ص297.

(2) البحث الصوتي عند ابن السراج، ص52.

(3) دراسة الصوت اللغوي، ص295-297.

(4) المصدر نفسه، ص295. دراسات في علم اللغة – القسم الثاني –، ص133.

(5) علم اللغة العام – الأصوات –، ص111.

(6) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ص307.

(7) التطور النحوي، ص17.

(8) البحث الصوتي عند العرب، ص45.

وهذا غريب جدا فإين قاف البيئات الاخرى ؟ واذا كانت موجودة فلماذا لم يشر اليها العلماء العرب ؟ واين موقع هذا الاستعمال من العربية ؟ والعرب تقيس على الاكثر وليس على الاقل أو على قسم من الناطقين.

ونتيجة لكثرة الآراء في هذا الجانب اضطر بعض المحدثين وهو في عصر التقدم في المجالات العلمية، لا سيما علم الأصوات الى ان يقول : (ان وسائلنا الآن عاجزة عن تفسير هذا الصوت)[1].

ولا اظنها الا وسائل الباحث نفسه، لأن الوسائل العلمية الحديثة اظهرت القاف مهموسة، واحتمال القول بأن القاف كانت مجهورة قائم ايضا ونتيجة للتطور الذي اصابه تحول من صوت مجهور الى صوت مهموس فهو احتمال قائم. بسبب التغيير الصوتي الذي يصيب الأصوات اللغوية على مستوى الافراد والتركيب[2].

اما صوت (الطاء) فصفته الجهر عند علماء العربية على وفق منهجهم في وصف الأصوات، والهمس عند المحدثين، ونظيره عند القدماء في المخرج وفي كل صفاته ما عدا الاطباق هو صوت الدال، اما عند المحدثين فنظير الطاء هو التاء.

ورجح المحدثون ثلاثة احتمالات لتفسير نطقها مجهورة عند القدماء هي[3]:

1- ان يكون العرب اخطؤوا التقدير فوصفوا الطاء بالجهر .

2- حدث تغير في نطق الصوت، فلعلهم كانوا ينطقونه كالضاد الحالية وهي مجهورة . فلا فرق في النطق اليوم في الصوتين سوى الهمس في الطاء والجهر في الضاد.

فاذا نطقنا الطاء مجهورة كانت ضادا، واذا نطقنا الضاد مهموسة كانت طاءً.

3- لعلهم وصفوا صوتا يشبه الطاء الذي يسمع في لهجات الصعيد في مصر، وبعض البوادي، وهو كالطاء المشربة بالتهميز، وهو ما ذهب اليه الدكتور تمام حسان[4].

وعلى الرغم من امكانية التسليم بمثل تلك الاحتمالات، الا ان وصف العلماء العرب لصوت الطاء، بأنه صوت مجهور وصف صحيح . وهو يمثل الطاء القديمة التي لم تحافظ على خصائصها القديمة، فجاءت مثل الضاد عند اهل مصر، اما النطق الصحيح للطاء فهي مهموسة، غير أنذلك لا يعني ان القدماء قد اخطؤوا في وصفها، لأن الطاء كانت مجهورة وبفعل

---

(1) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص256.

(2) علم اللغة : وافي، ص260-285.

(3) البحث الصوتي عند ابن السراج، ص65.

(4) مناهج البحث في اللغة، ص94.

تقادم الزمن تحولت من الجهر الى الهمس، وهو وصف صادق للطاء، والوصف الحديث وصف صادق –ايضا–[1] .

وبذلك تكون الأصوات الثلاثة (الهمزة والقاف والطاء) مجهورة بعرف القدماء، بناءً على النطق المتعارف في زمنهم كما جاء في وصفهم لهذه الأصوات، وبناءً على ضابطهم للجهر والهمس وهي في الوقت نفسه مهموسة في عرف المحدثين بناءً على النطق المتعارف عليه الآن وبناءً على ضابطهم في اهتزاز الوترين الصوتيين .

2– الأصوات الانفجارية والاحتكاكية والمتوسطة

عرف العلماء العرب بالأصوات الشديدة أنها الأصوات التي تمنع الصوت ان يجري فيها، وهي (ثمانية) اصوات هي : (الهمزة، والقاف، والكاف، والجيم، والطاء، والدال، والتاء، والباء) . فهذه الأصوات، اذا اردت مد الصوت فيها لم يجر معها، مثال ذلك (الحجّ) فلم يجر مد الصوت حال النطق بالجيم[2].

اما الأصوات الرخوة : فهي الأصوات التي يجري فيها الصوت وهي (ثلاثة عشر) صوتا هي : (الهاء، والحاء، والغين، والخاء، والشين، والصاد، والضاد، والزاي، والسين، والظاء، والثاء، والذال، والفاء). فهذه الأصوات اذا اردت مد الصوت معها فأنه يجري مثال ذلك : اذا قلت (الطس)، و(انقض). اجريت الصوت معها ان شئت[3].

اما الأصوات المتوسطة : أو ما تسمى (بين الشديدة والرخوة) فهي التي تجمع بين الشدة والرخاوة وهي : (اللام، والنون، والعين، والميم، والراء) وقد عدها ابن جني (ثمانية) بأضافة (الالف والواو والياء)[4].

ويبدو انه لو اخذنا المفهوم القديم لهذه الصفات الثلاثة، لوجدنا ان (الشديد) هو ما منع الصوت ان يجري فيه، اما (الرخو) فهو خلاف ذلك فهو الذي يسمح للصوت ان يجري فيه، في حين (المتوسط) مرحلة وسطى بين جريان الصوت وعدمه، فهو نوع ثالث مستقل اشبه بالحركات وليس حركات، وهذا امر يتوقف على ما احسه العلماء العرب عند النطق بالاصوات التي تحمل هذه الصفات بالاستناد الى التجربة الذاتية.

---

[1] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص247.

[2] الكتاب، ج2، ص402. المقتضب، ج1، ص194–195. سر الصناعة، ج1، ص68.

[3] المصادر نفسها والمواضع نفسها . ومفتاح العلوم، ص39.

[4] سر الصناعة، ج1، ص69. والكتاب، ج2، ص406.

اما المفهوم الحديث لهذه الصفات، فالشديد يسمى (الانفجاري)، ويكون بحبس مجرى الهواء الخارج من الرئتين حبسا تاما في موضع من المواضع، مما يؤدي الى ضغط الهواء، واطلاقه فجأة فيندفع الهواء محدثا صوتا انفجاريا[1].

اما الرخو فيسمى (الاحتكاكي) ويضيق معه مجرى الهواء الخارج من الرئتين في موضع من المواضع، بحيث يحدث الهواء في خروجه احتكاكا مسموعا[2].

اما الأصوات المتوسطة فهي المائعة بالمفهوم الحديث، فقد يسمح للهواء بالمرور عند التقاء عضوين من اعضاء النطق من دون احداث أي صفير أو احتكاك بسبب اتساع مجرى الهواء[3].

وبذلك تكون هذه الصفات وهي (الشديدة، والرخوة، والمتوسطة) تقابل عند المحدثين (الانفجاري، والاحتكاكي، والمائع) . فيكون المفهوم القديم والحديث لهذه الصفات متقاربا، اذا أخذنا بأعتبارنا، منع الصوت وحبس الهواء، وجريان الصوت وتضييق الهواء . فالموافقة بين المفهومين تكاد تكون كاملة[4].

غير أنهناك اختلافا في عدد الأصوات التي تندرج في هذه المجموعات ونوع هذه الأصوات، إذ إنهم اتفقوا ان الأصوات الاتية وهي : (الهمزة، والباء، والتاء، والدال، والطاء، والقاف، والكاف) شديدة أو انفجارية، والاصوات الاتية وهي : (الثاء، والحاء، والخاء، والذال، والزاي، والسين، والشين، والصاد، والظاء، والغين، والفاء، والهاء)، اصوات رخوة أو احتكاكية، والاصوات الاتية وهي : (الراء، والميم، واللام، والنون) اصوات متوسطة أو مائعة .

اما موضع الخلاف فحاصل في (الجيم، والضاد، والعين) . (فالجيم) بالمفهوم القديم شديدة، وفي المفهوم الحديث مركبة، (والضاد) قديما رخو في حين هي عند المحدثين انفجاري (والعين) عند القدماء متوسط في حين هي عند المحدثين احتكاكي، أو لم يقطع الى الان بصفتها، لأنها تظهر في اشكال عدة[5].

وعلى الرغم من ان الأصوات الانفجارية عددها عند الطرفين (ثمانية) اصوات، الا ان المحدثين اسقطوا (الجيم)، وأضافوا (الضاد)، لأن (الجيم) صوت مركب يبدأ انفجاريا وينتهي احتكاكيا[6].

---

(1) علم اللغة، ص166.

(2) علم اللغة، ص189.

(3) الأصوات اللغوية، ص24.

(4) الدراسات الصوتية عند علماء العربية، ص73. ودروس في علم اصوات العربية، ص35.

(5) مناهج البحث في اللغة، ص102. والاصوات اللغوية، ص22–26.

(6) المدخل الى علم اللغة، ص34.

و(الضاد) صوت انفجاري كما ينطق اليوم[1]، فاذا كان المحدثون قد اتفقوا مع القدماء في عدد الأصوات الرخوة أو الاحتكاكية بأنها (ثلاثة عشر) صوتا، فأنهم اخرجوا (الضاد) منها، وادخلوا بدلا عنها (العين) التي وصفها القدماء بالمتوسطة وعند المحدثين من الأصوات الاحتكاكية، فاذا اتفق القدماء مع المحدثين في مفهوم الشدة والرخاوة والتوسط، فأن ذلك يتطلب تفسيرا لتلك الأصوات التي جاءت خلافا لما وصفه القدماء.

فقد وصف العرب (الجيم) بأنه صوت شديد، في حين هو ليس كذلك في الوصف الحديث الذي يرى ان (الجيم) صوت مركب يتطلب نطقه مرحلتين الاولى انفجارية، ويكون بانحباس الهواء عند بداية النطق به، والثانية وهي الاحتكاكية يكون الانتقال من الانحباس الى الانفجار البطيء الذي يحدث احتكاكا[2].

لأن هذا الصوت ذو طبيعة مركبة أو مزدوجة، فإذا كان كذلك، فلعل العلماء العرب لم يعرفوا تلك الازدواجية في نطق بعض الأصوات العربية، أو لم يكن ذلك التصور واضحا لديهم[3].

ولكن يمكن ان نجد وصف (الجيم) الانفجارية في نطق العامية العراقية في كلمة (جكارة). وكلمة (جمل) الفصيحة[4].

ثم ان وصف الجيم بأنه انفجاري مجهور . يخرج من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الاعلى، كما هو في الوصف القديم يمكن ان نجده في نطق مجيدي قراءة القرآن الكريم ممن حافظ على النطق المتوارث[5].

ولقد قيل الكثير في توجيه صوت الجيم، حتى دخلت الى الوصف اللهجي والعامي، مما يطول شرحه واستقصاؤه[6].

والذي اراه ان (الجيم) الفصيح انفجاري احتفظ بشدته كما قرره بعض الباحثين[7]. وما الجيم القاهرية أو الشامية أو العدنية أو غيرها من اللهجات العربية ما هو الا تطور لهجي

---

(1) المصدر نفسه، ص62.

(2) علم اللغة العام – الأصوات –، ص126.

(3) المدخل الى علم اللغة، ص78.

(4) محاضرات في اللغة – القسم الاول–، ص100.

(5) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص281.

(6) البحث الصوتي عند ابن السراج، ص75.

(7) محاضرات في اللغة، ص100. اصوات العربية بين التحول والثبات، ص62.

للفصيح[1]لأن صوت (الجيم) الفصيح الذي ينطبق عليه وصف القدماء هو ما نسمعه من مجيدي قراءة القرآن، وهي الصوت الانفجاري المجهور الذي يخرج من مخرج الشين والياء[2].

ولقد وصف القدماء (الضاد) بأنه صوت رخو، في حين هو في الوصف الحديث صوت انفجاري، اما ان يكون القدماء قد اخطؤوا في وصف (الضاد) او انهم وصفوا (الضاد) المولدة، وليس (الضاد) العربية الاصلية، الفصيحة، وكلا الرأيين بعيد عن الصحة، واحتمال بعيد[3]. بل يحتمل ان تكون الضاد، ظاء جانبية، بمعنى انه كان يجمع في النطق الظاء واللام، في ظاهرة واحدة، فأختفى هذا الصوت، فلم نعد نسمعه الان، واصبح اما صوتا انفجاريا وهو النظير المطبق للدال، واما صوتا اسنانيا وهو (الظاء)[4].

ويبدو لي أن صوت الضاد، صوت غريب غير موجود في لغات العالم الا العربية، لذلك سموا الناطقين بالضاد، اما اليوم فلا يوجد من العرب من ينطقه كما وصفه القدماء تماما[5]. واذا حاول ذلك فقد يتكلفه، لأن هذا الصوت قد اصابه التطور حتى صار بعدة اشكال مما اثار جدلا عند المحدثين في صفته[6]. فهي عند العراقيين وبعض البلدان العربية (ظاء) وعند المصريين وبعض البلدان الاخرى (دال) مفخمة، تخرج مخرج الدال، مجهورة مطبقة وهي التي اصطلح عليها لنطق الضاد الحالية، بعد ان فقد الناطق العربي نطق الضاد الفصيحة كما وصفها القدماء، تنطق الضاد اليوم دالا مفخمة حتى لا يختلط نطقها بـ(الظاء) واقرب ما يكون ذلك بنطقها ضادا مصرية، فالضاد المصرية ضاد تمييزية[7] .

فلا بد من الاقرار ان صوت الضاد قد فقد نطقه القديم يوم وصفه القدماء، والابقاء على وصفه القديم، ومحاولة الوصول الى نطقه كما وصفه القدماء متكلفة، مع التسليم بالتغير الصوتي الذي اصاب هذا الصوت حتى اظهر نطقه بصور عديدة.

اما صوت (العين) الذي وصفه القدماء بالتوسط بين الشدة والرخاء، وهو بالوصف الحديث لا يوصف بهذه الصفة، وانما هو صوت احتكاكي [8].

---

[1] مناهج البحث في اللغة، ص132.

[2] اصوات العربية بين التحول والثبات، ص70.

[3] علم اللغة العام – الأصوات –، ص105. العربية، ص102–103.

[4] العربية الفصحى، ص37.

[5] التطور النحوي، ص18–19.

[6] المدخل الى علم اللغة، ص62–74.

[7] اصوات العربية بين التحول والثبات، ص38.

[8] مناهج البحث في اللغة، ص102.

فذهب بعض المحدثين الى ان (العين) يمكن ان يوصف بالتوسط، وذلك بسبب ما يسمع لها من حفيف أو احتكاك ضعيف[1]. فضلاً علىان صوت العين ما يزال يمثل غموضا لم يتضح الى الان، على الرغم من ان صور الاشعة لنطق هذا الصوت قد اظهرت تضييقا كبيرا للحلق عند النطق بصوت العين، مما دعى المحدثين الى وصف العين بالرخاوة[2].

وبما ان للعين احتكاكا ضعيفا، وان البحوث الحديثة لم تقطع بصفة العين، فلا بد من التسليم بوصف القدماء لها[3].

واما الأصوات المتوسطة الاخرى وهي (اللام والميم والنون والراء) فقد كانت محل اتفاق عند القدماء والمحدثين بأنها اصوات تحمل صفة التوسط، ولكن عند المحدثين تكون صفة التوسط بين الصوامت والصوائت، لا بين الشدة والرخاوة. لأن هذه الأصوات تجمعها صفة مشتركة، وهي الوضوح السمعي وحرية مرور الهواء، واطلقوا عليها (اشباه حركات) بأضافة (الواو والياء) اليها[4].

ولكن بشرط ان تكون (الواو والياء) غير المديتين، فإذا كانت المديتين، فذلك غير مقبول[5]. ولكن وصف العلماء العرب – كما سيأتي – للواو والياء بأنهما صوتان ليّنان، دليل على ان لهما وضعا خاصا من بين سائر الاصوات[6]. ويبدو لي أن عمل علماء العرب بأطلاق هذه الصفات على مجموعة من الأصوات وتقسيمها إلى شديدة ورخوة ومتوسطة – بشرط ان يكون المقصود بالتوسط بين الصوامت والصوائت– يعد عملا منهجيا سليما، ينم عن عقلية ثاقبة، وبعد نظر في علم الصوتيات، وما الخلاف الحاصل في بعض الأصوات التي اخرجت من مجموعة ودخلت في مجموعة اخرى، يمكن ان يحمل على التطور الصوتي الذي تخضع له الأصوات اللغوية على مر الزمن.

---

(1) الأصوات اللغوية، ص89.

(2) المدخل الى علم اللغة، ص82. والتشكيل الصوتي، ص98.

(3) التشكيل الصوتي، ص98. علم اللغة اللعام – الأصوات –، ص121.

(4) علم اللغة العام – الأصوات – ،ص132. مناهج البحث في اللغة، ص113.

(5) علم اللغة العام – الأصوات –، ص132.

(6) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص260.

3- الأصوات المطبقة والاصوات المنفتحة :-

تتكون الأصوات المفخمة كما نظر اليها القدماء بأن يوضع اللسان في مواضع النطق لهذه الأصوات، ثم ينطبق اللسان من مواضعهن الى ما حاذى الحنك الاعلى من اللسان، ترفعه الى الحنك، فاذا وضع اللسان فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك الى موضع الصوت أو الحرف، وعدد الأصوات التي يصدق عليها ذلك الوصف هو (اربعة اصوات) هي[1] :-

(الصاد، والضاد، والطاء، والظاء) .

اما الأصوات المنفتحة فهي كل ما سوى المفخمة، لأن الناطق بها لا يطبق لسانه عند النطق بها، ويرفعه الى الحنك، وهي كل الأصوات الباقية[2].

وبذلك تستند هاتان العمليتان النطقيتان على وفق منهجهم الى رفع اللسان وانطباقه الى الحنك الاعلى، مما يؤدي الى حصر الصوت بين اللسان والحنك. فعند ذلك يحصل الاطباق في الأصوات الاربعة، اما الأصوات الاخرى فلا يرتفع اللسان ولا ينطبق الى الحنك عند النطق بها، لذلك وصفت بالاصوات المنفتحة[3].

وكان تقسم القدماء تقسيما منهجيا صائبا اتبعه المحدثون فقسموا الأصوات إلى قسمين، وذلك بالإستناد الى مؤخرة اللسان وانخفاضها عند النطق بالاصوات، فعندما ترتفع مؤخرة اللسان تجاه الطبق وهو الجزء الرخو من سقف الحنك، يسمى الصوت مطبقا أو مفخما، وعندما تنخفض مؤخرة اللسان يسمى الصوت مرققا أو غير مطبق[4].

غير أناهتمام المحدثين بالنظر الى ارتفاع مؤخرة اللسان نحو الطبق، ادى بهم الى جعل الاطباق داخلا في الاستعلاء، فوصفوا اصوات الاستعلاء بأنها اصوات مطبقة، فأضافوا لأصوات الاطباق المتقدمة (الخاء والغين والقاف)[5].

وعلى الرغم من ان الاطباق عملية عضوية يقوم بها اللسان في شكله المقعر المطبق على سقف الحنك، فأن التفخيم هو الاثر السمعي الناشيء عن هذه العملية[6]. فان بعض المحدثين وصف كلام القدماء بأنه بعيد عن الوضوح[7].

---

(1) الكتاب، ج2، ص406. والمقتضب، ج1، ص194.

(2) المصادر نفسها والمواضع نفسها.

(3) البحث الصوتي عند ابن السراج، ص70.

(4) المدخل الى علم اللغة، ص37.

(5) مناهج البحث في اللغة، ص115.

(6) علم الأصوات، ص170.

(7) دروس في علم اصوات العربية، ص36.

ويبدو لي أن كلام القدماء يكون واضحا ودقيقا، اذا نظرنا الى ان مسألة تقعر اللسان التي لم يذكرها القدماء يمكن تفسيرها بالحصر الحاصل من اتخاذ اللسان ذلك الشكل المقعر وما يصحبه من حبس الهواء القادم من الرئتين[1].

ومهما يكن من امر فأن وصف القدماء لتلك الأصوات وكيفية حدوثها جعل بعضا من المحدثين يصفون عملهم بالدقة والوضوح . وانه يستغني عن أي تفسير[2].

اما عدد الأصوات المطبقة والمنفتحة، فلا يشكل عائقا في طريق الفريقين فالقدماء يجعلونها (اربعة) وهي كذلك عند المحدثين، وان اطلقوا عليها اصواتا مفخمة[3]. واضاف بعض المحدثين اليها (الراء واللام) . المفخمتين، لأن اللسان يتخذ معها شكلا مقعرا[4].

وبذلك يكون عدد الأصوات المطبقة عند المحدثين (تسعة اصوات) وهي :

(الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، واللام المفخمة) . وتوصف بأنها اصوات كاملة الاطباق، و(الخاء، والغين، والقاف) . وتوصف بأنها اصوات جزئية الاطباق أو التفخيم، و(الراء). فهو يرقق في مواضع، ويفخم في مواضع اخرى[5].

ولعل تخصيص العلماء العرب (الصاد، والضاد، والطاء، والظاء) . بأنها اصوات مطبقة، يقوم على انهم نظروا اليها على انها اصوات كاملة الاطباق أو التفخيم واتفاقهم مع المحدثين في ذلك الوصف، بأضافة (اللام المفخمة) اليها ولم يذهب المحدثون بعيدا عما ذهب اليه العلماء العرب في وصف الأصوات المطبقة والمنفتحة[6].

4- الأصوات المستعلية والاصوات المستفلة :

ذهب علماء العربية في وصف الأصوات المستعلية بأن يتصعد اللسان الى الحنك الاعلى، واصواته سبعة هي: (الصاد، والضاد، والظاء، والطاء، والغين، والقاف، والخاء)[7].

اما الأصوات المستفلة فهي ما عدا الأصوات المذكورة وعملية النطق تكون خلاف الاولى، وذلك بنزول مؤخر اللسان الى قاع الفم[8].

---

(1) البحث الصوتي عند العرب، ص55.

(2) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا، ص14.

(3) المدخل الى علم اللغة، ص38.

(4) الأصوات اللغوية، ص67.

(5) دراسة الصوت اللغوي، ص278-279.

(6) البحث الصوتي عند ابن السراج، ص71.

(7) الكتاب، ج2، ص264. المقتضب، ج1، ص225. والبحث الصوتي عند ابن جني، ص54.

(8) المقتضب، ج1، ص225. والاصول في النحو، ج3، ص167.

وبذلك يكون مفهوم المصطلحين عند القدماء ان الاستعلاء هو صعود مؤخر اللسان إلى الحنك الاعلى، اما الاستفال فهو نزول مؤخر اللسان الى قاع الفم.

وهذا لا يبعد عن نظرة المحدثين لهذين المفهومين، فالاستعلاء هو تصعد اللسان الى الحنك الاعلى من دون ان يطبق عليه، والاستفال هو نزول اللسان الى قاع الفم[1].

ويبدو لي انه لما كان الاطباق نوعا من الاستعلاء الذي هو رفع اقصى اللسان نحو ما يليه من الحنك، فليس من الغريب ان يضع العلماء اصوات الاطباق الاربعة (الصاد، والضاد، والطاء، والظاد) مع الأصوات الثلاثة المستعلية وهي (الغين، والقاف، والخاء)، وهي ليست مطبقة في مجموعة واحدة وذلك لاشتراكها جميعا حال النطق بها بعلو مؤخرة اللسان نحو الطبق سواء اتصل به ام لم يتصل . وذلك ان اتصال اقصى اللسان بأدنى الحلق أو (اللهاة) سوّغ لهم وصف (الخاء والغين والقاف) بالاستعلاء في حين كان ارتفاع اقصى الحنك وعدم اتصاله بجزء منه سوّغ لهم وصف اصوات الاطباق بالاستعلاء[2].

ويظهر ان مفهومي الاستعلاء والاستفال لم يحدثا اختلافا بين النظرة القديمة والنظرة الحديثة واذا كان هناك اختلاف فهو لا يتجاوز التعليل والتسمية، وغير ذلك فلم يجاوز كلام المحدثين كلام القدماء[3].

5- الأصوات المذلقة والاصوات المصمتة :-

لقد اخضع علماء العربية اصوات اللغة لقسمة اخرى تقوم على اساس ذوقي فقسموها إلى قسمين[4]:-

1- الأصوات المذلقة : وعددها ستة اصوات، ثلاثة منها من ذلق اللسان - أي طرفه - وهي : (اللام والراء والنون) . وثلاثة من الشفتين وهي : (الفاء والباء والميم).

وسبب تسميتها بالمذلقة، لأن عملها من طرف اللسان، وطرف كل شيء ذلقه، كما انها اخف الأصوات واحسنها امتزاجا بغيرها[5].

ولعل سبب تسميتها بالمذلقة مع ان فيها اصواتا شفوية، انهم ارادوا التغليب، فلعلهم وجدوا (اللام والراء والنون) من طرف اللسان، فجعلوا الاسم لها وضموا اليها الأصوات الاخرى[6].

---

(1) دروس في علم اصوات العربية، ص237.

(2) الدراسات الصوتية واللهجية عند ابن جني، ص319.

(3) البحث الصوتي عند ابن السراج، ص175.

(4) العين، ج1، ص51. سر الصناعة، ج1، ص74-75.

(5) العين، ج1، ص51.

(6) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ص323. والبحث الصوتي عند العرب، ص53.

او بسبب سهولة نطقها، وان الذلاقة هي سهولة النطق، فهي تسمية مستمدة من خفتها على اللسان وكثرة دورانها في الكلمات العربية[1].

2- الأصوات المصمتة: وهي الأصوات الباقية، وسبب تسميتها بذلك انه صمت ان يتكلم بها، وتبنى الكلمة منها، اذا كثرت، فلا تجد بناءً رباعياً مصمت الأصوات لا مزاج له من اصوات الذلاقة[2].

فهو ضابط لمعرفة الدخيل في كلام العرب[3]. بدلالة قول الخليل: (لست واجدا من يسمع من كلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية الا وفيها من حروف الذلق والشفوية)[4].

وعلى الرغم من شيوع هذا المصطلح عند علماء العربية المتقدمين إلا أنه يندر استعماله عند المحدثين ما خلا كتب التجويد قديما وحديثا[5].

6- المنحرف :-

اطلق العلماء العرب صفة الانحراف على صوت (اللام)، اذ وصفوه بأنه (حرف شديد جرى فيه الصوت لأنحراف اللسان مع الصوت، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الشديد، وهو اللام، وان شئت مددت فيه الصوت وليس كالرخوة، لأن طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه، وليس يخرج الصوت من موضع اللام، ولكن من ناحيني مستدق اللسان فويق ذلك)[6].

هم بذلك قد خالفوا ضابطهم في وصف الصوت الشديد وهو حبس النفس . ويبدو لي أن في صفة الانحراف التي ذكرها علماء العربية، ان هناك اعتراضا في نطق صوت اللام غير أنهذا الاعتراض لا يصل الى درجة الحبس التام، وانما يسمح بمرور الهواء عن طريق احد جانبي هذا الاعتراض، لأن اللسان في هذه الحالة يبقى في موضعه لا يتحرك[7].

لذلك لا يبعد وصف المحدثين عن وصف القدماء لهذا الصوت بالانحراف وطريقة نطقه، إذ إن الأصوات المنحرفة تتكون بوضع عقبة في وسط المجرى الهوائي مع ترك منفذ للهواء، وذلك من احد جانبي العقبة ومن ذلك سميت اللام (جانبية) أو الصوت الجانبي[8].

لذلك اصاب العرب في تسمية صوت اللام بالمنحرف[1].

---

(1) الاصوات اللغوية، ص110-111.

(2) العين، ج1، ص52.

(3) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ص323.

(4) العين، ج1، ص52. الجمهرة، ج1، ص7.

(5) المصطلح الصوتي، ص131-132.

(6) الكتاب، ج2، ص406. المقتضب، ج1، ص193. والاصول، ج3، ص403.

(7) البحث الصوتي عند ابن السراج، ص74.

(8) علم اللغة، ص185.

7- المكرر :

وصف العلماء العرب صوت (الراء) بالمكرر، إذ قالوا في الراء انه : (حرف شديد جرى فيه الصوت لتكريره وانحرافه الى اللام، فتجافى للصوت كالرخوة، ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه وهو الراء)[2].

وهو – أيضا- يخالف تعريفهم للصوت الشديد بأنه يمنع جريان النفس .

ويبدو من خلال كلام علماء العربية، انه لولا صفة التكرير، لما جرى الصوت مع (الراء)، ثم ان هذه الصفة وهي التكرير منعت صوت الراء من ان يكون صوتا شديدا يمتنع جريان الصوت معه، ولم تجعله من الأصوات الرخوة، على الرغم من جريان الصوت معه.

وهذا الوصف القديم للراء، لا يختلف عن وصف المحدثين له، إذ إن المحدثين يصفون الراء بانه من (الصوامت المكررة نتيجة لطرقات سريعة متتابعة من عضو مرن، مثل طرق اللسان على ظهر اللثة العليا)[3].

وبذلك جاء الوصف الحديث مطابقا تماما للوصف القديم، فلم يضف المحدثون على وصف القدماء سوى تغاير العبارات.

إذ ذهب ابن جني إلى بيان صفة التكرير بأن الراء إذا نطقت يكون طرف اللسان متعثرا لما فيه من تكرير، ولهذا السبب احتسبت في الامالة بصوتين[4] .

غير أنذلك لا يمنع من آن وصفهم للراء بانها شديدة أو انفجارية يخالف ما هو عليه الوصف الحديث بأنها من الأصوات المائعة أو اشباه الحركات .

---

(1) علم اللغة العام – الأصوات –، ص129.

(2) الكتاب، ج2، ص406. المقتضب، ج1، ص196.

(3) علم اللغة، ص187.

(4) سر الصناعة، ج1، ص63.

8- اصوات الغنة :-

وصف علماء العربية صوتي (النون والميم) بأنهما صوتا غنة : (لأن ذلك الصوت غنة من الانف، فانما تخرجه من انفك واللسان لازم لموضع الحرف ، لأنك لو امسكت بأنفك لم يجر معه صوت وهو النون والميم)[1].

ويمكن ان نفسر قول العلماء العرب بأن هناك حبسا تاما للهواء حال النطق بهذين الصوتين، فلا يمر الهواء من الفم، وهذا معنى قولهم (انما تخرجه من انفك واللسان لازم لموضع الحرف)، اما قولهم (يخرج معه الصوت) فمعناه. ان هناك منفذا يجري منه الصوت، ويكون هذا المنفذ من الانف وليس من الفم، وهذا ما يدل عليه قولهم : (لو امسكت بأنفك لم يجر معه الصوت) . فيكون موضع النطق في نقطة، وتسريح الهواء من الانف[2].

فهذا التعبير الوصفي لصوتي النون والميم . كان موضع اتفاق مع وصف المحدثين لهما، حتى سميت (الصوامت الغناء). لأن الهواء لا يمر بسبب الحبس في موضع الفم، ويتمكن الهواء من النفاذ عن طريق الانف بعد ان يخفض الحنك اللين[3].

9- الأصوات اللينة :

وهي صفة اختصت بها (الواو والياء والالف) . الا ان الالف اختص بوصف الهادي . وسيجيء الحديث عنه في محله من البحث – ان شاء الله –

ووصف صوتا (الواو والياء) بأنهما صوتا لين، لأن مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما[4].

ويبدو أنهذه السعة في المخرج، وحرية مرور الهواء اعطت الصوتين صفة الليونة في النطق . لذلك اطلق علماء التجويد عليهما وعلى الالف (الأصوات الذائبة)[5].

والوصف الحديث لا يبتعد عن الوصف القديم، فأكد المحدثون ان هذين الصوتين يحملان درجة انفتاح واسعة عند النطق بهما ومثلهما الالف، ومن شدة ذلك الاتساع كاد هذان الصوتان ان يكونا طليقين، لذلك سميها بالصوت شبه الطليق[6]لأنهما يمتلكان ابرز خواص الحركات، وهي حرية مرور الهواء حال النطق بهما فضلاً علىقوة الوضوح السمعي[7].

---

(1) الكتاب، ج2، ص406. المقتضب، ج1، ص194.

(2) دراسة الصوت اللغوي، ص276.

(3) علم اللغة، ص184.

(4) الكتاب، ج2، ص406. والمقتضب، ج1 ، ص210.

(5) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص62.

(6) المحيط في اصوات العربية وصرفها ونحوها، ج1، ص17.

(7) علم اللغة العام – الأصوات–، ص78.

لذلك ليس من الغريب آن يطلق الرضي الاسترآباذي على (الالف، والواو، والياء) هوائية لأنها لا يتعلق بها من الهواء شيء[1] ، ويجدر بنا التفريق بين (الواو والياء) المديتين كما في (يدعو – ويرمي)، فهما حركتان خالصتان، وبين (الواو والياء) غير المديتين كما في (ولد، يترك) فهما اشباه حركات. فأن هذين الصوتين، يختلفان عن الأصوات الاخرى بأتساع مخرجهما، وحرية مرور الهواء حتى وصفت باللينة عند القدماء، وتابعهم في ذلك الوصف المحدثون[2].

10- الهاوي :

لقد وصف علماء العربية صوت (الالف) بأنه صوت هاوٍ لأنه صوت (اتسع لهواء الصوت مخرجه، اشد من اتساع مخرج الياء والواو، لأنك تضم شفتيك في الواو وترفع لسانك في الياء قبل الحنك . وهي الالف)[3].

والذي يبدو أناتساع جريان الصوت مع الالف، وامتداده في الفم فلا يسنده من اللسان في هذه الحالة أي شيء، ولا يحتك الهواء معه بشيء ادى بالعلماء العرب التوصل الى ان هذا الصوت كأنه يهوي في فضاء الفم[4].

وجعله المحدثون مع الصوائت، واطلقوا عليه (حركة طويلة)، واتفقوا مع القدماء في خواص الالف . واختلفوا في تعيين المخرج[5].

ويبدو أنعدم اعتراض مجرى الهواء عند النطق بالالف، جعل العلماء العرب ينظرون إليه انه هواء، لذلك منحوه صفة (الهاوي) مع انه يشترك مع (الواو، والياء) اللينتين في مزية اتساع مخرجهما لهواء الصوت، وربما الجانب العضوي في نطق هذه الأصوات كان له دخل كبير في ذلك الفصل، لأن في (الواو) يضم الناطق شفتيه، وفي (الياء) يرفع اللسان قبل الحنك، في حين ان (الالف) لا يسنده اللسان، ولا يتحرك معه شيء من اعضاء النطق فيمر حرا طليقا في مجرى الهواء .

11- اصوات الصفير :

اطلق علماء العربية صفة الصفير على اصوات ثلاثة وهي : (الصاد والزاي والسين)[6].

والصفير هو الحدة في الصوت، كالصوت الخارج عن ضغط ثقب[1] .

---

[1] شرح الشافية ، ج3 ، ص254.

[2] البحث الصوتي عند ابن السراج، ص66.

[3] الكتاب، ج2، ص406.

[4] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص304.

[5] دراسة الصوت اللغوي، ص297.

[6] الكتاب، ج2، ص420. سر الصناعة، ج1، ص71.

والغريب ان يذهب بعض المحدثين الى ان سيبويه لم يذكر اصوات الصفير، وان اقدم من ذكر هذه الصفة هو المبرد [2].

والذي يبدو لي من خلال البحث آن الامر خلاف ذلك الا ان يحمل على ان المبرد كان اكثر دقة من سابقيه في بيان صفة الصفير، إذ قال : (ومن طرف اللسان وملتقى حروف الثنايا . حروف الصفير، وهي حروف تنسل انسلالا، وهي السين والصاد والزاي)[3].

في حين كان سيبويه ذكرها استطرادا وهو يتحدث عن تعاملیات هذه الاصوات في ظاهرة الادغام[4].

وبذلك يكون المبرد اكثر دقة، وليس اقدم وصفا من سابقيه فصفة الصفير تحدث بسبب الاحتكاك الشديد اثناء نطق هذه الأصوات، نتيجة لتقارب اعضاء النطق تقاربا شديدا، بحيث تترك منفذا ضيقا يمكن ان يمر من خلاله الهواء محدثا احتكاكا بأعضاء النطق، فينتج من هذا الاحتكاك صوت ضعيف يشبه صوت الحفيف، فإذا كان منفذ الهواء ضيقا جدا يتحول الصوت الى ما يشبه الصفير الحاد وتتميز (السين والزاي والصاد) بتلك الصفة الصفيرية، لأن الانفتاح معها يكون في اضيق حالاته[5].

وكان وصف المحدثين متفقا تماما مع وصف القدماء، وبينوا ان وصف هذه الأصوات بالصفير صادق لأصوات (السين والزاي والصاد).

على الرغم من انهم اضافوا اصواتا اخرى، لهذه الصفة، وهي (الثاء والذال، والشين والظاء، والفاء) . فإنهم اكدوا ان اعلى هذه الأصوات صفيرا هي (السين والصاد والزاي)[6].

12- الاستطالة :-

صفة اطلقها علماء العربية على (الضاد والشين) . وهي استطالة في المخرج حتى تتصل بمخرج صوت اخر، يظهر ذلك من خلال قولهم في وصف الضاد : (لأن الضاد استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج الطاء)[7]. وكذلك (الشين استطالت حتى اتصلت بمخرج غيرها)[8]

---

[1] مخارج الحروف وصفاتها ، ص94.

[2] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص304.

[3] المقتضب، ج1، ص193.

[4] الكتاب، ج2، ص420.

[5] الوجيز في فقه اللغة، ص162-165.

[6] علم الأصوات، ص120. الأصوات اللغوية، ص75. دراسة الصوت اللغوي، ص298.

[7] الكتاب، ج2، ص416.

[8] المصدر نفسه، ص416.

اما الدرس الصوتي الحديث فيخص الاستطالة بصوت (الضاد) القديمة التي مخرجها (مما بين اللسان، وبين ما يليه من الاضراس) سواء اكانت يمين اللسان أو شماله، فهذا الوصف لمخرج الضاد، سوغ للضاد ان تستطيل حتى تتصل بمخرج اللام الجانبية، حتى وصفت بالاستطالة قديما[1].

اما حديثا فقد فُقدت الاستطالة بسبب فقدان النطق الاصلي للضاد القديمة[2].

اما صوت (الشين) فلم يطلق عليه المحدثون صفة الاستطالة، وأعتُذر للقدماء بوصف (الشين) بالاستطالة، بأن الأصوات التي تحدث داخل تجويف الفم تكون مخارجها متقاربة ومتزاحمة لكثرتها مما يؤدي الى تخالط بعضها ببعض، فتستطيل على بعضها، فلا نستطيع قصر صفة الاستطالة على صوت أو صوتين[3].

ويبدو لي أن هذا الاعتذار ضعيف فبدلا من ان يحصر نطاق الوصف، جعله واسعا، حتى اصبحت الاستطالة تخص اكثر من صوتين، ولعل غموض معنى الاستطالة هو الذي جعله يتوسع هذه السعة لأن المحدثين لم يحددوا مفهوم الاستطالة بدقة، فذهب بعضهم الى ان المقصود بها هو جانبية الصوت وهو (الضاد) . وهذا سيتدعي وصف (اللام) بالاستطالة – أيضا– لأنها جانبية، وهذا ما لم يذهب اليه احد من القدماء.

ويرى بعضهم انها امتداد الصوت من اول حافة اللسان الى اخره، أو هي الانحرافية الزائدة في الضاد[4].

ويبدو لي أن اضمحلال النطق بالضاد كما وصفه القدماء جعل كل ما قيل في معنى الاستطالة لا يرقى الى الرأي القاطع، وانما هي تفسيرات اجتهادية مما يستدعي ان نسلم بأن الاستطالة قد فقدت معناها بعد فقدان الصوت الذي اتصف بها، اما صوت (الشين)، فلعل التفشي الذي يصاحب نطقه سوغ لعلماء العربية وصفه بالاستطالة على اعتبار ان التفشي نوع من الاستطالة، حتى ان المبرد وصف (الضاد) بالتفشي[5].

---

[1] علم الأصوات، ص120.

[2] المصدر نفسه، ص120.

[3] الدراسات الصوتية عند علماء العربية، ص86.

[4] البحث الصوتي عند ابن السراج، ص76.

[5] المقتضب، ج1، ص214،211.

13- اصوات القلقلة :

اصوات القلقلة عند علماء العربية هي (القاف، والجيم، والطاء، والدال، والباء) . وسميت بذلك : (لأنها يصحبها ضغط اللسان في مخرجها في الوقف مع شدة الصوت المتصعد من الصدر، وهذا الضغط التام، يمنع خروج ذلك الصوت، فإذا اردت بيانها للمخاطب احتجت الى قلقلة اللسان وتحريكه عن موضعه حتى يخرج صوتها فتسمع)[1].

وسبب قلقلة هذه الأصوات في العربية، وذلك بأضافة صويت صغير، حرصهم على اظهار كل ما في هذه الأصوات من الجهر، بحيث يمنعها من الهمس[2].

وقد وصف سيبويه اصوات القلقلة (بالاصوات المشربة)، فقال : (واعلم ان من الحروف حروفا مشربة، ضغطت من مواضعها، فإذا وقفت خرج معها من الفم صويت، ونبا اللسان عن موضعه، وهي حروف القلقلة)[3].

ويبدو لي أن هذه الأصوات لشدتها وجهرها، عندما يوقف عليها في آخر الكلام، تضعف الدفعة الهوائية، فخشوا على ضياع الجهر أو الشدة، وهما ابرز صفات هذه الأصوات، والوقف يقلل الشدة والجهر، فمن اجل الابقاء على هاتين الصفتين معا اتبع المجهور الشديد حال الوقف بصويت، وكأنه بمثابة الحركة ليبقى مجهورا شديدا .

وتقسم القلقلة عند علماء التجويد إلى قسمين[4] :-

أ- قلقلة كبرى : وتحصل في نهاية الكلمات المنتهية بأحد تلك الأصوات.

ب- قلقلة صغرى : وتحصل عند وجود احدها في وسطها.

والمحدثون يقرون هذه الصفة في الأصوات غير انهم يطلقون عليها (الأصوات الانفجارية)، كما انهم لا يتفقون مع القدماء، بأن اصوات القلقلة كلها شديدة، لأن الجيم صوت مركب، فضلاً علىان القاف والطاء صوتان مهموسان في نطقنا المعاصر[5].

ثم انهم لم يدرجوا الهمزة معها على الرغم من انها عندهم صوت مجهور شديد غير انهم يعللون ذلك بسبب ما يدخلها من التخفيف حال السكون، لذلك فارقت اخواتها بسبب ما يصيبها من الاعلال[6].

---

(1) شرح الشافية، ج3، ص263.

(2) البحث الصوتي عند العرب، ص59.

(3) الكتاب، ج2، ص174.

(4) النشر، ج1، ص203.

(5) علم اللغة العام – الأصوات –، ص116-117.

(6) النشر، ج1، ص203.

14- الصوت المهتوت :-

اطلق علماء العربية على صوت (الهاء) الصوت المهتوت لأنه من الأصوات الخفية التي تخفى في اللفظ، اذا تدرج بعد صوت قبله ولخفاء الهاء، قوي بالصلة[1].

وذهب بعضهم الى وصف صوت (التاء) بالمهتوت[2].

واقدم من وصف (الهاء) بهذا الوصف هو الخليل فوصفها بعدة اوصاف منها: اللينة، والهشاشة، والهتة، وهي عامة نفس لا اعتياص فيها[3].

غير أنالخليل اطلق هذا الوصف على صوت الهمزة، إذ إنه وصفها بأنها مهتوتة مضغوطة، اذا رفه عنها لانت[4].

ويبدو لي انه يمكن اطلاق الوصف على الصوتين، لأن كلا منهما صوت ضعيف اذا رفه عنه أو ضغط عليه . اصبح لينا ويأتي ذلك من الضغط، والتخفيف، لأن الهت هو عصر الصوت، وبعضهم يقول . الصوت المهتوت والهت هو الصوت بقوة[5].

وقد ذهب أبو حيان (ت745هـ) إلى آن صفة المهتوت تختص بالهمزة، وذلك لخروجها من الصدر كالتهوع، فتحتاج إلى ظهور صوت قوي شديد وذلك هو معنى (الهت)[6]

في حين ذهب ابن الحاجب (ت646هـ) إلى اطلاق هذه الصفة على صوت (الياء) وذلك لضعفه وخفائه[7] .

ويبدو أنصفة الضعف والخفاء هي السبب في ادراج تلك الأصوات الثلاثة في صفة الهت وهي (الهاء، والهمزة، والياء)، على الرغم من اختلاف دلالته بين القدماء بين الشدة والضعف، والشدة يتصف بها صوت (الهمزة)، في حين انه على رأي الخليل إذا رفه عن الهمزة لانت فاصبحت نفسا، ويحول إلى مخرج الهاء لذلك استخفت العرب ادخال الهاء على الهمزة عند الابدال فيقولون : (هراق في اراق)[8].

---

(1) النشر، ج1، ص204.

(2) شرح المفصل، ج1، ص137.

(3) العين، ج1، ص54، 57.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص52.

(5) ارتشاف الضرب، ج1، ص12.

(6) النكت الحسان، ص283.

(7) الايضاج في شرح المفصل، ج2، ص490.

(8) لسان العرب، ج2، ص102-103.

15- التفشي :-

هي صفة خاصة بصوت (الشين)، وهذا الوصف اختص بالشين : (لتفشي الشين، وقربها من عكدة اللسان، بل هي مجاوزة للعكدة الى الفم)[1].

فالتفشي هو انتشار اللسان على الحنك، فيتكون في وسطه شيء كالقناة يتسرب النفس منها، ويتوزع تسربه في جنبات الفم، ولا يقتصر على المخرج فقط[2].

ويبدو من كلام ابن الطحان (ت560هـ) عن صفة التفشي آن (الهاء) يمكن آن تتصف بهذه الصفة وذلك من خلال قوله في تعريف التفشي وهو : (انتشار خروج الريح وانبساطه، حتى يخيل آن الشين انفرشت، حتى لحقت بمنشأ الظاء، وهي اخص بهذه الصفة من الهاء)[3].

والتفشي قريب من معنى الاستطالة لأن انتشار هواء الصوت هو امتداده في مساحة اكبر، إذ يشغل اللسان اثناء النطق بالصوت المساحة بين الغار واللثة .

لذلك ليس من الغريب آن يضاف إلى صوت (الشين) اصواتا أخرى وصفها علماءالعربية بالتفشي من نحو : (الضاد، والراء، والصاد، والسين، والياء، والتاء، والميم)[4] .

وهذا فيه دلالة على آن التفشي هو انتشار في هواء الصوت والمخرج حتى يتصل بالمخارج الأخرى، واشتهر اطلاق هذا الوصف على (الشين) لأن انتشار هواء الصوت فيها اوضح قياسا إلى الأصوات الأخرى .

ولم يضف المحدثون إلى وصف القدماء شيئا ذا قيمة سوى معنى التفشي بأنه اشغال الصوت مساحة اعرض في اللسان مما يؤدي إلى هذا الانتشار في الصوت[5] .

---

(1) العين، ج1، ص54.

(2) البحث الصوتي عند العرب، ص56.

(3) مخارج الأصوات وصفاتها، ص94.

(4) النشر، ج1، ص205.

(5) علم الأصوات، ص12.

الفصل الثالث

علم الأصوات الوظيفي

المبحث الأول (تعاملیات الصوامت)

* الإدغام
* الإبدال

المبحث الثاني

(تعاملیات الصوائت وأنصاف الصوائت)

* الابتداء
* الوقف
* الإمالة
* الإعلال

الفصـل الثالـث

علم الأصوات الوظيفي

مدخل :

يتنـاول علـم الأصـوات الـوظيفي دراسـة الأصـوات مـن حيـث هـي وحـدات تركيبيـة داخـل السلسلة المنطوقة وما يترتب على ذلك من ظواهر صوتية مختلفة للسلسلة المنطوقة وفي مستوى الكلام المتصل[1] .

فالعلاقة بين النظام اللغوي في أية لغة من لغات العالم ونظامها الصوتي علاقة وثيقة لان الكثير من مظاهر اللغة إنما تبنى على قوانين صوتية مردها إلى تأثير متبادل بين أصواتها عندما تتآلف او تتصل بعضها ببعض ومعنى ذلك ان التغيرات التي تطرأ على النظام الصوتي تؤثر في النظام اللغوي فتغير في بعض صور مظاهره وان كانت لا تؤثر في طبيعة النظام اللغوي العام الذي يخضع إلى القياس وتعد دراسة الأصوات من خلال جوانبها الوظيفية من ابرز الدراسات الصوتية لأنها تبرز حقيقة الصوت وما يؤديه من وظيفة لان لكل صوت وظيفة يؤديها في السلسلة الكلامية من حيث هو فونيم في حين إذا لم يغير في معنى السلسلة المنطوقة فهو تنويعات صوتية للفونيم والمظاهر الصوتية التي جاءت عند العرب إنما هي تغيرات صوتية لم تمس المعنى الوظيفي للصوت وأنما أثره في التغيرات الصوتية التي تطرأ على بنية الكلمة . بسبب وجود صوت ما . يؤثر في هذه التغيرات .

وقد تناول علماء العربية الكثير من الظواهر الصوتية ودرسوا الأصوات في حيّز التركيب بعد أن تناولوها من حيث هي وحدات صوتية من حيث المخارج وصفات وأتموا عملهم بدراستها في حيّز التركيب وما تؤثره في النظام اللغوي وخصوصاً في الجانب الصرفي . الذي يدخل فيه الجانب الصوتي بل يتوقف تفسير التغيرات الصرفية التي تطرأ على بنية الكلمة على القوانين الصوتية . ويكفي ان الباعث لدراسة الأصوات عند النحويين هو تفسير ظاهرة الإدغام ..

وهي ظاهرة تقوم على علاقات صوتية بين أصوات أبنية الكلم التي تتعرض للإدغام.

فدراسة الأصوات في حيّز التركيب، أو ما يسمى (علم الأصوات الوظيفي) هو غاية الدراسة الصوتية وأهمها لأنه يرتبط بفروع علم اللغة من صرف ومعجم ودلالة . فالصوت يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالبنية الصرفية لأنها تخضع لقوانين صوتية محكمة فتقوم القوانين الصوتية في

---

[1] دراسة الصوت اللغوي، ص47.

تفسير التغيرات الصوتية التي تطرأ على بنية الكلمة كما يحدث ذلك في الإبدال والإعلال والإمالة والإدغام.

ويسهم في الجوانب النحوية وتفسيرها كالإغراء والتحذير، والاستغاثة وذلك عن طريق النبر والتنغيم فجميع التغيرات الصوتية التي تطرأ على السلسلة المنطوقة عندما تتصل هذه الأصوات بعضها ببعض مشروطة بتجمع صوتي[1] .

وقد درس علماء العربية هذه الظواهر الصوتية التي يؤدي فيها الصوت أثراً مهماً وتخضع للتفسير الصوتي، وبينوا منهجهم في دراستها على وفق تصوراتهم وإدراكهم لها وأبرزها هي: (الإدغام، والإبدال، والابتداء، والوقف، والإمالة، والإعلال) وهي مدار الفصل .

[1] في التطور اللغوي، ص22.

المبحث الأول

(تعامليات الصوامت)

أولا : الإدغام

الإدغام ظاهرة صوتية من ظواهر اللغة العربية، شغلت حيزاً كبيراً من تفكير علماء العربية إذ إن الإدغام يشير إلى عملية التأثر الصوتي بين الأصوات، وقد قسّم علماء العربية هذه الظاهرة إلى أقسام عدّة، فضلاً علىربطها بتعريفات محددة، وأشبعوها بالامثلة التطبيقية .

فكان باب الإدغام يغطي أغلب موضوعات الدراسة الصوتية إذ إن(باب الإدغام). هو آخر باب من ابواب أهم كتاب وصل الينا في اللغة العربية وهو كتاب سيبويه، فوضع سيبويه تحت هذا العنوان عنوانات فرعية تشكل بمجموعها مادة (باب الإدغام) بادئٍ بباب عدد أصوات العربية، ومخارجها وصفاتها، ومنتهياً بباب ما كان شاذاً، مما خففوا على السنتهم وليس بمطرد وهو آخر ما في كتابه، فجمع بذلك أطراف المادة الصوتية العربية .

إن الإدغام من حيث هو ظاهرة صوتية كبيرة في اللغة العربية ومحددة، أصبح علماً لمبحث الدراسة الصوتية عند العرب، فكان مصطلحاً أختلف العلماء العرب في لفظه وليس في معناه، وهو عند البصريين (الإدغام) بالتشديد، في حين أنه عند الكوفيين (الإدغام) بالتخفيف[1]. ونطقه مخففاً هو الأشيع عند علماء العربية.

ومهما يكن من أمر فان الإدغام كما عرفه العلماء العرب هو : وصل صوت ساكن بصوت مثله متحرك من غير أنيفصل بينهما بحركة أو وقف فيصيران لشدة اتصالهما كصوت واحد، يرتفع اللسان عنهما رفعة واحدة شديدة[2].

وبذلك اشترط علماء العربية لحصول حالة الإدغام ان يكون أول الصوتين ساكناً، فإذا كان متحركاً، فلا بد من إزالة الحركة حتى لا تحجز بينهما[3] . لأن إزالة الحركة في هذه الحالة سيؤدي إلى التسكين الذي يؤدي إلى التلاصق بين الصوتين أي كما يعبرّ عنه القدماء (إدخال حرف في حرف)[4].

---

[1] شرح المفصل : ج10،ص 121، حاشية الصبان : ج4،ص366 .

[2] الاصول في النحو : ج3،ص405، شرح المفصل : ج10،ص121.

[3] الكتاب : ج2،ص158.

[4] شرح الشافية : ج3،ص235، شرح المفصل : ج10،ص121 .

فالإدغام – اذن –هو ان يلتقي صوتان من جنس واحد، فتسكن الاول منهما وتدغمه في الثاني، أي تدخله فيه، فيصير صوتاً واحداً مشدداً، ينبو عنه اللسان نبوة واحدة، او يلتقي صوتان متقاربان في المخرج . فيبدل الاول صوتا من جنس الاخر، ويدغم فيه فيصير واحداً[1].

غير أنتعريفهم للإدغام لا يخلو من الغموض، لان الصوت لا يدخل في صوت أخر، بل أنه يماثله، ومن هذه المماثلة يصبح الصوتان صوتاً واحداً طويلاً . لذلك كان ابن جني مدركاً لهذه الظاهرة وابعادها الصوتية، فاستعمل مصطلح التقريب الصوتي للدلالة على معنى الإدغام بانه : تقريب صوت من صوت[2].

ولا يختلف مفهوم الإدغام عند علماء التجويد، فالإدغام عندهم هو النطق بالصوتين صوتاً كالثاني مشدداً، ومن ذلك يلفظ الصوتان دفعة واحدة[3].

غير اننا نجد بعض النحويين قد نظروا إلى الإدغام من زاوية واحدة، وهي إدغام المثلين (كالدال في الدال)، (والراء في الراء) فذهب ابو علي الفارسي (ت 377هـ) إلى ان الإدغام هو (ان تصل حرفا ساكناً بمثله من غير أنتفصل بينهما بحركة او وقف، يرتفع اللسان عنهما ارتفاعه واحدة)[4] . في حين عرّفه الانباري (ت 577 هـ) بقوله : (أن تصل حرفاً بحرف مثله من غير أنتفصل بينهما بحركة او وقف فينبو اللسان عنها نبوة واحدة)[5].

وهو عند ابن الحاجب (ت 646 هـ) لا يختلف عنهما بشيء فهو (النطق بحرفين من مخرج واحدة من غير فصل بينهما لضرب من الخفة)[6].

ان تعريف الفارسي والانباري يشير إلى عملية الإدغام وهي عملية الوصل بين الصوتين . في حين يشير تعريف ابن الحاجب إلى عملية النطق بالصوتين في حالة الإدغام وعلى ان يكونا من مخرج واحد، وكأنه شمل في تعريفه إدغام المثلين والمتقاربين . وبيّن العلة في الإدغام وهي : التماس الخفة في النطق .

---

(1) الكتاب : ج2،ص405، المقتضب : ج1،ص197، الجمل في النحو، ص413–414 .

(2) الخصائص : ج2،ص 141.

(3) اتحاف فضلاء البشر ،ص21، شرح الشاطبية ،ص35.

(4) التكملة : ج1،ص608 .

(5) اسرار العربية، ص418.

(6) الايضاح :ج2، ص491 .

وقد جعل ابن عصفور (ت 669 هـ) الإدغام في حيز عضوي بارز وهو (رفعك اللسان بالحرفين رفعة واحدة، ووضعك إياه بهما موضعاً واحداً)[1]

وعلى الرغم من الاختلاف الطفيف في عبارات العلماء العرب في تعريف الإدغام، فانهم قد انفقوا في المفهوم العام له، وطريقة إدغام الصوتين مع بعض . فضلاً علىاتفاقهم في سبب الإدغام وعلته . لان الذين يدغمون (يثقل عليهم ان يستعملوا السنتهم من موضع واحد، ثم يعودوا له، فلما صار ذلك تعبا عليهم أن يداركوا في موضع واحد، ولا تكون مهلة، كرهوه وادغموا، لتكون دفعة واحدة، وكان أخف على السنتهم)[2].

وقد استخدم الخليل مصطلح التشديد دلالة على الإدغام في الصوتين المثلين اللذين ادخل احدهما في الآخر إذ قال (فان صيرت الثنائي مثل : قد، وهل، ولو اسما" ادخلت عليه التشديد فقلت : هذه لوّ مكتوبة وهذه قدٌّ حسنة الكتبة، زدت واوا" على واو، ودالا" على دال، ثم ادغمت وشددت، فالتشديد علامة الإدغام)[3].

وقد تابعه العلماء العرب في اطلاق التشديد مصطلحا" على الدلالة على وجود صوتين من موضع واحد[4].

غير أنمصطلح التشديد الذي يعنى عندهم ان صوتين ينطقان صوتا" واحدا" لايقبل في الدرس الصوتي الحديث لان الصوت المضعف انما هو صوت واحد طويل يتطلب مدة زمنية اطول من تلك التي يستغرقها نطق الصوت غير المشدد او المضعف[5].

فضلا" عن ان تعريفات النحويين للإدغام تكاد تشير إلى (الإدغام الصغير) . كما تشمل إدغام المتماثلين سواء في كلمة واحدة او في كلمتين واستبعدت إدغام المتقاربين وعمليتي الحذف والإبدال اللتين تدخل في الإدغام الكبير وهذا مادفع بعض المحدثين متوهما" إلى القول ان تعريف القدماء للإدغام كان قاصرا" لانه مجرد النطق بالمثلين (ساكن + متحرك) . وانه لم يكن شاملا" بحيث يشمل إبدال الصوت إلى نظيرة وإدغامه فيه[6] .

ويبدو لي أن منهج النحويين الذي ساروا عليه في دراسة الإدغام هو الذي دعاهم إلى الحديث عن الإدغام بهذه الطريقة إذ انهم قد بينوا العملية الصوتية العامة للإدغام وهي (ساكن

---

(1) الممتع : ج2 ص 631 .

(2) الكتاب : ج2،ص 398 .

(3) العين : ج 1، ص 55 .

(4) الكتاب : ج 2، ص529، المقتضب : ج1، ص377، الخصائص : ج2، ص496 .

(5) دروس في علم أصوات العربية، ص39 .

(6) اثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، ص239.

+ متحرك) وهذه الفكرة يدخل فيها حذف الحركة وإبدال الصوت إلى نظيره وإدغامه فيه لان حذف الحركة تقود حتما إلى جعل الصوت ساكنا وإبدال الصوت معناه جعله مماثلا للصوت السابق او اللاحق له وبعد ذلك تحدثوا عن إدغام المتماثلين وإدغام المتقاربين الذي يدخل فيه الإبدال[1] .

وعلى الرغم من ان الإدغام عندهم يستند إلى طريقتين هما (إدغام المتماثلين وإدغام المتقاربين) فأن النحويين لم يصرحوا بـ(إدغام المتجانسين) الذي هو عند علماء التجويد النوع الثالث من انواع الإدغام الذي يعني ما اتفقا مخرجا واختلفا صفة كالدال والطاء والتاء والذاء[2] .

ويبدو أن عدم تصريحهم بذلك أنه عندهم داخل في (إدغام المتقاربين) فكان إدغاما" يؤدي الطريقتين او النوعين معا" . وهذا يدحض قول من يذهب إلى ان الإدغام عند علماء العربية ذو مفهوم ضيّق لأنه يقوم على التضعيف أي إدغام المثلين ولايشمل التقريب في الأصوات[3].

وفاته أن ادغام المتقاربين في جوهره إنما هو تقريب صوت من صوت آخر . وهو مذهب ابن جني في تعريفه للإدغام سواء كان بين المثلين او المتقاربين[4] .

مهما يكن من امر فان منهج علماء العربية في تقسيم الإدغام الذي بدأ عند النحويين وأكتمل ونضج عند علماء التجويد . يدل على ادراك العلماء العرب لخصائص الأصوات العربية، وعلاقتها بعملية التماثل الصوتي في عملية النطق العربي الذي يمثل الإدغام أعلى مراحل التماثل الصوتي عندما يفنى أحد الصوتين في الآخر .

فان اشهر انواع الإدغام التي ذكرها علماء العربية تتمثل في الانواع الآتية :

اولاً – إدغام المتماثلين :

ويقصد بالمتماثلين الصوتان اللذان إتفقا مخرجاً وصفة، كالباء والباء، والتاء والتاء . وعند إلتقاء هذين الصوتين تحذف حركة أحد المثلين ويدغم احدهما في الآخر ومن ثم يتخذ اللسان عند النطق بهما موضعاً واحداً لا يزول عنه [5].

---

(1) الكتاب ج2، ص407 . 430، الاصول : ج3، ص405 . 428 .

(2) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد،ص 396 . 397 .

(3) النظريات الصوتية في كتاب سيبويه،ص 152 (بحث).

(4) الخصائص : ج2،ص141، شرح المفصل : ج10،ص123.

(5) الكتاب : ج2،ص410، النشر ج1،ص274–275.

وهذا الإدغام عندهم يقع في كلمة واحدة، وفي كلمتين، فمن وقوعه في كلمة واحدة، عندما يقع الفعل الثلاثي المجرد نحو (فرّرّ – فرّ) والفعل الثلاثي المزيد من نحو (إحمارّ – وأحمرّ) [1].

ويبدو لي أن هذا النوع من الإدغام محكم بقواعد واضحة، ومفهومة غير أنهذه القواعد لا تخلو من أشكال ففي كلمة (إقتتلوا) وقع إختلاف علماء العرب . فبعضهم يجريه مجرى المنفصلين، لأنه نظر إلى أن (التاء) الاولى، دخلت لمعنى، وزوالها يؤدي إلى زوال المعنى، فضلاً علىان (التاء) لا تلزم كما تلزم (راء) أحمررت، في حين أن الذي يرى الإدغام فيها . يجريه على القياس لان الصوتين في كلمة واحدة وهي غير ملحقة، فالإدغام يقع فيها[2] .

فضلاً علىان النطق لم يتم عن طريق إدخال صوت في صوت . وانما كان النطق بصوت طويل يكون زمنه النطقي أطول من زمان نطق الصوت الواحد .

وأشار علماء العربية إلى ان الإدغام في هذه الحالة يقع في الكلمتين المنفصلتين في الصوتين المتماثلين المتحركين، فتحذف حركة أحداهما ويدغم في الاخر، من نحو (جَعَلَ لَك).والعلة في ذلك، لان العرب تكره توالي المتحركات في كلامها[3] .

غير أنعلماء العربية ذكروا ان شرط هذا الإدغام أن لا يكون قبل الاول صوت ساكن إلا إذا كان الساكن صوت مد، فيجوز فيه الإدغام من نحو (المالُ لك)إمّا إذا لم يكن الساكن صوت مد فلا يجوز الإدغام من نحو (ابن نوح)[4].

ويبدولي ان اشتراط عدم اسكان الصوت وقبله صوت ساكن، لانه سيؤدي إلى إلتقاء ساكنين، وهذا متعذر في النظام المقطعي في اللغة العربية، أمّا في حالة كون الساكن صوت مد، لأنهم نظروا إلى صوت المد إلى انه بمنزلة المتحرك . فانهم منعوا الإدغام في كل صوت مشدد، وبما ان التشديد يُذهب المدّ ويلحقه بالصحيح فأستبعدوا إدغام (وليّ يزيد) لأن التشديد في نظرهم عبارة عن صوتين.

واذا اضيف لهما ثالث يصبح النطق بثلاثة أصوات من موضع واحد . وهذا يتطلب جهداً عضلياً اكبر مما يتنافي مع مفهوم الإدغام في التقليل من الجهد العضلي في نطق الأصوات[1].

---

(1) الكتاب :ج2،ص409، والاصول : ج3،ص 405–406، النشر : ج1،ص274–275.

(2) الكتاب :ج2،ص409، والاصول : ج3،ص 405–406، النشر : ج1،ص274–275.

(3) الكتاب : ج2،ص407.

(4) المصدر نفسه ،ج2، ص408.

غير أن(الواو والياء)، إذا سبقتا بحركه من جنسهما . يمتنع الإدغام فيهما نحو : (ظلموا واقداًَ، وأظلمي ياسراً) لأنهم تركوا المدّ على حاله وعاملوه معاملة الصوت الذي لا يلزم البناء[2].

في حين انهم عاملوا صوت المدّ معاملة الصوت المتحرك، وأدغموا في (المالُ لك)، بمعنى أنه يلزم في البناء بدلالة أنها لازمة في البناء في قولنا : (مغزوّ).

ومن مواقع الإدغام في هذه الحالة ما ذكروه من انه لا يجوز الإدغام في الهمزتين من نحو : (قرأ أبوك)[3] .

ويبدو أن امتناع الإدغام في هذه الحاله مرده ان النطق بالهمزة وهي محققة يعد من العمليات الصوتية الشاقة، فما بالك إذا تبعتها همزه اخرى فالمشقة ستكون اكبر. وان اللسان سوف يرتفع رفعة واحدة فيهما .

والملاحظ على منهج علماء العربية في إدغام المتماثلين أنهم عدّوا الإدغام في الكلمة الواحدة لا بد منه إذا جاء صوتان متماثلين، في حين أنهما إذا وردا في كلمتين منفصلتين فالإدغام ليس واجباً، فيجوز فيه الإدغام والاظهار[4]. فضلاً علىانهم يرون أن الإدغام سيؤدي إلى ذهاب المد إذا صدف الإدغام في أصوات المد . في حين أن الإدغام لايذهب بالمد . لانهم خلطوا بين المدى وغير المدى لان الإدغام في (عدّو وليد) لم يكن من قبيل إدغام المد، لان (الواو) في (عدو) غير مدية كما ان قولهم (ظلموا واقدا ويغزو واقد) يختلط فيهما المد وغير المد . في حين ان علماء العربية يجعلونها في الإدغام حالة واحدة . مع انهما مختلفان من الناحية الصوتية، لأن (الواو والياء) المديتين يختلفان عن (الواو والياء) غير المديتين، وهذا ما لم يفرق بينهما علماء العربية، فنظروا اليهما نظرة واحدة، لذلك إمتنع إدغامها في غير المد [5].

ومهما يكن من امر فان نظرة القدماء لإدغام المثلين في كلمة واحدة أو كلمتين انما هي نظرة ذوقية ذات قيمة لبيان نسق بنية المفردة في السياق او في الافراد وكراهة توالي المثلين ومحاوله دمجهماونطقهما صوتا واحداً، اقتصاداً في الجهد العضلي للمتكلم .

ثانيا – إدغام المتقاربين :

---

(1) اثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ،ص132 .

(2) الكتاب : ج2،ص410.

(3) المصدر نفسه:ج2،ص410.

(4) المصدر نفسه : ص409 –410.

(5) المصدر نفسه :ج2،ص409.

ذهب علماء العربية إلى تسمية إدغام صوت باخر عن طريق القرابة في المخرج او الصفة (إدغام المتقاربين) وبينوا ان الأصوات تدغم مع بعضها إذا حصل فيها التقارب وأحسن مظاهر هذا الإدغام ما يقع في أصوات الفم، وابعدها ما يقع في أصوات الحلق . وكلما قرب الصوت من الفم كان الإدغام أحسن في حين البيان في أصوات الحلق أحسن من الإدغام . وعلى ذلك تتم عملية الإدغام بين الأصوات بطرائق ثلاث :-

1-إبدال الاول بلفظ الثاني، ثم الإدغام .

2-إبدال الثاني بلفظ الاول، ثم الإدغام .

3-إبدال احد الصوتين بما يقاربهما، ثم الإدغام [1] .

فمن الإدغام الواقع في أصوات الحلق . إدغام (الهاء مع الحاء) نحو (اجبه حملاً)، وإدغام (العين مع الهاء) نحو، (إقطع هلالا) و(العين مع الحاء) نحو (اقطع حملاً)، و(الغين مع الخاء) نحو(ادمغ خلفاً) و(الخاء مع الغين) نحو (اسلخ غنمك)، و(القاف مع الكاف) نحو (الحق كلدة)، و(الكاف مع القاف) نحو (إنهك قطناً).و(الجيم مع الشين) نحو (ابعج شبثاً) و(اللام مع الراء) نحو (اشغل رجبه)[2].

إن الإدغام في أصوات الحلق التي هي عند علماء العربية (الهمزة، والهاء، والعين والحاء، والغين، والخاء)، قد شمل المناطق التالية لها وهي (القاف، والكاف، والجيم، والشين، واللام، والراء) .

فليس الإدغام – إذن – في أصوات الحلق وانما يشمل المناطق القريبة منه وهو منهجهم في هذا الإدغام وهو إدغام الأصوات المتقاربة في المخارج سواء كانت هذه الأصوات من مخرج واحد او من مخارج قريبة مع بعضها .

ويبدو أن اشتراط الإدغام في هذه الاحوال لم يكن ملزماً، وانما هو اشتراط ذوقي يراعي النظر إلى الحالة الفضل في نطق هذه الالفاظ لأن الإدغام والاظهار جائز في هذه الحالة مع أفضلية للاظهار . فضلاً علىذلك فانهم ذهبوا إلى ان (العين مع الهاء) يدغمان معاً والبيان افضل، ولا يجوز العكس أي إدغام (الهاء مع العين)، غير أنبني تميم أدغمت هذه الكلمة لقرب المخرجين، وهو شرطهم لحصول حالة الإدغام فتحول (الهاء) إلى (حاء)، و(العين) إلى (حاء)

---

[1] الكتاب :ج2،ص411، شرح المفصل : ج10،ص135.

[2] الكتاب :ج2 ،ص411 – 412، شرح المفصل ج10، ص136.

فتدغم (الحاء في الحاء) فيقولون (محّم) في (معهم)، و(محّاؤلاء) في (مع هؤلاء) لان إدغام (الحائين) أخف عندهم من إدغام (العينين)[1] .

ومهما يكن من امر فان الإدغام الواقع في الأصوات المتقاربة انما هو مطلب من مطالب الذوق الاستعمالي للغة، يقوم به الناطق كلّما اراد السهولة في النطق . وهذ ما جعل العلماء العرب يذهبون إلى ان الإدغام في أصوات الحلق وما يقاربها من أصوات اللسان يجوز فيه الإدغام والاظهار .

ومن الإدغام الواقع في أصوات طرف اللسان والثنايا . إدغام (الطاء مع الدال) نحو (اضبط، دلاما – أضبطّ لاما) وإدغام (الدال مع الطاء) نحو (افقد طالبا . افقطالباً) و(التاء مع الطاء) نحو (انقط تؤاماً . انقتوا ما) و(التاء مع الدال) نحو (انعت دلاما– انعّد لاما) . وكذلك إدغام (الصاد والزاي والسين) بعضها مع بعض من نحو إدغام (الصاد والسين) نحو (اخمص سالماً – اخمسالماً) والعكس من نحو (احبس صابراً – احبصاراً) .

ومنه – ايضاً – إدغام (الظاء والذال والثاء) بعضها مع بعض من نحو إدغام (الظاء مع الذال) نحو (إحفظ ذلك . احفذلك)، والعكس من نحو (خذظا لما– خظا لما)[2].

ويلاحظ ان الإدغام يحصل في هذه الأصوات بصورة متبادلة أي مقبلة ومدبرة بابدال احدهما ليكون مماثلاً للاخر . وهذا الإدغام حأصل في الأصوات التي هي من مخرج واحد اما تلك التي تكون مخارجها متقاربة فقد قسمها العلماء العرب إلى مجاميع متناظرة فيدغم مخرج في مخرج آخر أي إدغام مخرج مع أصواته في المخرج المقارب له مع أصواته من نحو : إدغام (الطاء والدال والتاء) في (الصاد والزاي والسين) من نحو : (ذهبت سلمى . ذهبسلمى) . وإدغام (الظاء والذال والثاء) في (الصاد والزاي والسين) نحو (ابعث سلمه . ابعسلمه)[3].

غير انهم ذكروا ان (الصاد والسين والزاي) لاتدغم في أصوات (الطاء والدال والتاء، والظاء والذال والثاء) إدغاماً رجعياً أي ان الأصوات الستة تدغم في (الصاد والسين والزاي) في حين ان هذه أصوات الثلاثة لا تفنى في تلك الأصوات الستة لأنها أصوات الصفير وهن اندى في السمع[4].

---

(1) الكتاب : ج2، ص412، الاصول : ج3،ص414، والممتع : ج2،ص680.

(2) الكتاب ج2 ،ص418،شرح الشافية : ج3 ،ص274، شرح المفصل : ج10،ص145.

(3) الكتاب :ج 2، ص418 ومابعدها، المقتضب : ج1 ،ص 208 .

(4) الكتاب :ج 2 ،ص 419 شرح المفصل : ج 10، ص 138.

كمـا ان (الطـاء والـدال والتـاء) تـدغم فـي (الضـاد) مـن نحـو : (اضـبط ضـرمة اضبضرمة) وفي (الشين) من نحو : (اضبط شبثاً، اضبشبثاً) . والعلة في ذلك مخالطة (الضاد والشين) لأصوات طرف اللسان . اما (الظاء والثاء والذال) فتدغم في (الضاد والشين) بجعل (الشين) بمنزلة (الضاد) في الاستطالة من مخرجها . غير أنهذه الاستطالة في (الشين والضاد) قد منعت إدغامهما في (الصاد والسين والزاي)[1].

ولعل عدم إدغام (الضاد والشين) في هذه الأصوات يمكن ان نجد تفسيره في قانون الاقوى ولأن (الضاد والشين) اقوى موقعاً وامتداداً في النطق من باقي الأصوات الاخرى مما جعلهما يؤثران في الأصوات الاخرى ولم يتأثرا فيها . ويظهر فيها – ايضا– من هذا الإدغام في هذه الأصوات بعضها مع بعض ان هذه الأصوات قد انتقلت إلى مايقاربها من أصوات . فادغمت فيها . إقتصاداً في الجهد العضلي حتى يرتفع اللسان معها رفعة واحدة . غير أنالقرب في المخرج لم يكن هو المسوغ الاساس الذي يمكن الاستناد اليه لجعل كلّ صوت يقارب آخر أن يدغم فيه إذ إنهناك من الأصوات المتقاربة يمتنع معها الإدغام، وقد قسمها علماء العربية إلى قسمين [2] :

الاوّل :– ما يدغم في مقاربه ولا يدغم مقاربه فيه وهي (الهمزة، والف، والواو، والياء) . والعلة في ذلك في نظرهم . لأن (الهمزة) لا تدغم في مثلها أو ما هو قريب منها . لأن فيها استثقالاً، فضلاً عمًا يلحقها من تغيير وحذف، في حين (الالف) لا تدغم فيمن قاربها لأن الالف لاتدغم في الالف فاذا امتنع ذلك، كان من باب اوّلى ان يمتنع إدغامها فيما قاربها امّا (الياء والواو) فلا يدغمان مع مقاربهما ،لأن فيهما لينا ومدّا فيخرجان ما فيه لين ومد إلى ما ليس فيه مد ولين لذلك لا تدغم (الياء) في (الجيم)، لأنها سوف تدخل اللين في غير ما يكون فيه اللين ولا تدغم (الجيم) في (الياء) لأنها سوف تدخل ما لا يكون فيه اللين على ما يكون فيه اللين [3].

الثاني :– ما لا يدغم في مقاربه . ويدغم مقاربه فيه وهي (الميم والراء والفاء والشين)[4] .

(والمـيم) لا تـدغم فـي (البـاء) وتـدغم (البـاء فـي المـيم) نحو(أصـحب مطـرأ اصحمطراً)، و (الفاء) لا تدغم في (الباء) في حين (الباء) تدغم في (الفاء) نحو (أذهب في

---

[1] الكتاب : ج 2، ص 419.

[2] الكتاب : ج2،ص411، الاصول :ج3 ،ص428 .

[3] الكتاب : ج2،ص411، شرح المفصل : ج 10، ص137، وشرح الشافية : ج3، ص276.

[4] المقتضب : ج1، ص 210، الاصول : ج3، ص428 .

ذلك، اذهفي ذلك)، أمّا (الراء) فلا تدغم في (اللام والنون)، وانما يدغمان هما فيها نحو : (هل رأيت، هرّأيت)، أمّا (الشين) فلا تدغم في (الجيم) وأنما[1] (الجيم) تدغم في (الشين) نحو (أخرج شبثاً، أخرشبثاً) .

ويبدو أن ما ذهب اليه القدماء في هذه الحالات فيه بعض الملاحظات التي يمكن ان تسجل على عملهم هذا وهي انهم ذهبوا إلى ان (الفاء) لاتدغم في (الباء) ولاندري على أي اساس استندوا في ذلك لأننا نجد الكسائي (ت 189 هـ) قد ادغم (الفاء في الباء)[2]. وهو من القراء السبعة ومعاصر لسبيويه فأذا لم تدغم القبائل العربية المحيطة بالبصرة هذه الحالة مما يعنى عدم سماع النحاة له من افواه العرب فلا اظن انهم لم يسمعوا بقراءة الكسائي لاسيما ان هذا الإدغام لايحمل في طياته مايمنع حصوله فضلا" عن ذلك منع النحاة الإدغام الحاصل في (الراء) مع (اللام والنون) مع ان ابا عمرو بن العلاء (ت 154 هـ) قد قرأ بالإدغام فيها وهو من ائمة البصريين في النحو والقراءة واللغة وهذا يدل على ان الاستقراء في هذه الحالات الإدغامية لم يكن شاملاً وعاماً ولابأس بأن يكون الرصد غير تام في عمل علماء العربية ولاداعي للاعتذار بان منع النحويين لهذا الإدغام انما هو بسبب صفة التكرير التي حملها (الراء) فمن دون التكرير الذي يذهب في الإدغام سيؤدي إلى عدم فصاحة النطق كما يذهب بعضهم[3]. لأن القراءة سبعية متواترة نطقياً ويقرأ بها جزء كبير من الامة الاسلامية والقارئ بها من ائمة النحو واللغة فضلاً علىوجود مسوغ صوتي للإدغام لأنهما من الأصوات اللثوية والمتوسطة وامام هذه الادلة اضطرب (ابن جني) ودفع هذه القراءة لأن اصحابه البصريين لم يعرفوا بها وانما الراوة حملوا ذلك على القراءة[4] .

وفات ابن جني ان اللغة اكبر واوسع من ان يجمع كل مظاهرها البصريون والكوفيون فضلاً علىان القراءة القرأنية ليس شرطاً ان تأتي على وفق قواعد وشروط اصحابه البصريين لاسيما ان إدغام (الراء في اللام) وجعلها (لاماً) اخف على النطق من (راء) تحمل صفة التكرار تتبعها (لام) مقاربة لها فكأنها تصبح في النطق بثلاثة أصوات من مخرج واحد[5].

---

(1) الكتاب : ج2، ص412 .

(2) النشر : ج2، ص12 .

(3) جهود الكوفيين في علم الأصوات، ص74 .

(4) سر الصناعة ج1، ص206 .

(5) الأصوات اللغوية، ص199.

لقد عامل علماء العربية (النون) معاملة خاصة في الإدغام وذلك لما لها من حالات متعددة ومظاهره متنوعة عندما يجاورها أصوات يمكن ان تتعرض فيها إلى الادغام او الفناء واهم حالات النون التي ذكروها تتمثل في المظاهر الاتية [1] :

1- الإدغام :

وذلك عندما تتحول النون إلى صوت مماثل للصوت الذي بعدها وهذه الأصوات هي (الراء واللام والميم والواو والياء) غير أنالنحاة يذهبون إلى ان إدغام النون مع هذه الأصوات يكون بلا غنة (تاماً) وبغنة (ناقصاً) [2]. في حين يذهب علماء التجويد إلى ان إدغام النون بغنة يكون مع (الواو والياء) فقط وفي هذه الحالة يكون الإدغام (ناقصاً) اما مع (الراء واللام والميم) فالإدغام بلا غنة وفي هذه الحالة يكون الإدغام (تاماً) . من نحو : (من وال، ومن راشد)[3].

2- الاظهار :

وذلك عندما تحتفظ النون بخصائصها الصوتية كافة ولاتتأثر بما جاورها من أصوات وذلك في حالة مجاورتها لأصوات الحلق التي هي عند القدماء (الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء) والعلة في ذلك لبعد مخرج النون عن مخرج الحلق[4].

3- الاخفاء :

وذلك بسبب الغنة التي تصاحب النون في حالة إدغامها في الصوت المجاور لها وهذه الأصوات هي (القاف والكاف والجيم والشين والسين والصاد والزاي والضاد والدال والتاء والطاء والذال والظاء والثاء) من نحو : (من جاء، ومن شاء) فيحصل الاخفاء عند محاولة الناطق الابقاء على النون عندما يميل مخرج النون من الفم وينتقل إلى مخرج الصوت المجاور له[5] .

4-القلب او الاقلاب .

تبدل النون إلى صوت (الميم) عند مجاورتها للباء مباشرة من نحو (من بك، ممبك) فعند الإدغام ينتقل صوت النون إلى صوت شبيه بالباء من ناحية المخرج وليس هناك في الحقيقة أقرب إلى صوت (الميم) من صوت (الباء) في الشدة وإلزام الشفتين[6] .

---

[1] الكتاب : ج2، ص414، المقتضب : ج1، ص217.221، شرح الشافية: ج3، ص273.

[2] الكتاب : ج2، ص414، شرح المفصل : ج10، ص132 .

[3] الرعاية :، ص414، الكشف : ج1، ص162.

[4] الكتاب : ج2 ،ص414، شرح الشافية: ج3، 273.

[5] الرعاية : ص237، والكشف : ج1، ص 163- 164.

[6] الكتاب : ج2،ص414، الممتع :ج2،ص698 .

ويبدو لي أن مظاهر النون في الإدغام لم يكن فيه فناء النون فناء تاماً، او إدغاماً خالصاً في ثلاث حالات هي (الاخفاء والاظهار والاقلاب)، مع الاخذ بالاعتبار ان (الاظهار) ليس إدغاماً، فضلاً علىان حالة الإدغام في النون لم تكن إدغاماً تاماً، لأن الغنة تصاحب نطق النون ،لا سيما مع (الواو والياء) .. مما يدل على أن ظاهرة الإدغام بوصفها العام ظاهرة ذوقية نطقية، لا تراعي شروط وقوانين علماء اللغة، لانها ظاهرة صوتية دقيقة . وما يتفرع عنها من حالات تكون من الدقة في رصدها ما يجعل الدارس يتوقف كثيراً عن اصدار احكاماً عامة. وهذ ما نلاحظه في إدغام النون وإدغام اللام أو (لام المعرفة)، في الأصوات المجاورة لها فتدغم فيها إدغاماً تاماً وهذه الأصوات هي : (النون، والتاء، والدال، والراء، والصاد، والطاء، والزاي، والسين، والظاء، والثاء، والذال، والضاد، والشين) وذلك بحسب قول القدماء، لكثرة دورانها في الكلام . وقرب مخرجها من مخارج هذه الأصوات، لأن (اللام) من طرف اللسان، والأصوات المجاورة لها، بعضها من طرف اللسان وبعضها يخالط طرف اللسان وهما (الشين والضاد)[1] .

فتعليلهم صوتي عندما يتخذ من قرب المخارج سبباً للإدغام.غير أنكثرة الاستعمال او دورانها في الكلام ليس من الاسباب الصوتية . وانما هو من استعمالات النحويين الاصطلاحية لتأسيس قاعدة معينة للقياس عليها . فضلاً علىذلك ان (اللام) غير المعّرفة . تدغم في بعض الأصوات التي تدغم فيها (لام التعريف) مثل (لام) (هل، وبل)، بمعنى آخر ان الإدغام في (لام التعريف) مع الأصوات التي ذكرناها سابقاً واجب، أمّا مع غير (لام التعريف) وهي (اللام) غير المعرفة فالإدغام جائز[2] .

فالعملية الصوتية في حيّز الإدغام تخضع للجانب الذوقي في النطق . وليس على كثرة الاستعمال .

ان ظاهرة الإدغام عند علماء العربية الاوائل قد جاءت على شكل مادة مشبعة بالامثلة والتعليل، ولم يقم هؤلاء العلماء باطلاق تسميات محددة لأقسام هذه الظاهرة التي توزعت عندهم إلى قسمين هما (إدغام المتماثلين والمتقاربين)، وقد شمل هذا التقسيم مادة الإدغام جميعها، وقد تكفل علماء التجويد باطلاق تلك التسميات المتعارف عليها في الدراسات الصوتية لظاهرة الإدغام، من نحو الإدغام الكبير، والإدغام الصغير، وإدغام المتجانسين .

اذ عرّفوا بالإدغام الكبير انه التقاء صوتين متحركين في كلمتين فيسكن احدهما ويدغم في الثاني، سواء كانا مثلين أم متقاربين وفي المثلين لا يحتاج إلى اكثر من اسكان الاول أمّا في

---

[1] الكتاب : ج2،ص416، شرح المفصل :ج10 ،ص133 .

[2] الكتاب :ج2،ص416، الاصول :ج3،ص420.

المتقاربين فلا بدّ من قلب الاول إلى جنس الثاني وسمي كبيراّ، بسبب جعل الصوت المتحرك ساكناّ، فضلاّ عمّا فيه من صعوبة[1] . ويقابله الإدغام الصغير الذي هو التقاء صوتين مثلين أحدهما ساكن والاخر متحرك، فيدغمان مباشرة [2] .

وعلى ذلك فالإدغام الصغير إدغام الصوتين مباشرة في حين الإدغام الكبير، إدغام الصوتين بصورة غير مباشرة، وذلك بأسكان المتحرك منهما أو بقلب أحدهما إلى مثيل الآخر وإدغامه فيه أمّا الإدغام الناقص . فهو عندما يدغم الصوت الاول في الثاني ذاتاً لا صفة بأن كانا متقاربين فانقلب ذات الصوت الاول إلى ذات الثاني، ولم تنقلب صفته إلى صفته، فتبقى الصفة باقية في الصوت، إما غنة، و إما إطباقاً و إما إستعلاء .

ونظيره الإدغام التام، الذي هو : إدغام الصوت الاول في الثاني ذاتاً وصفة بان كانا مثلين أو متقاربين لكن انقلب ذات الاول إلى ذات الثاني وصفته إلى صفته من نحو : (مَّد)[3].

أمّا إدغام المتجانسين والمتقاربين والمتماثلين فهو موضع تشابه وتطابق بين علماء العربية في التسمية والتعريف غير أنالذي يحسب لعلماء التجويد أنهم كانوا أكثر دقة وتقسيماً لهذه الظاهرة[4] .

في حين ان علماء النحو والصرف لا سيّما (سيبويه) كانوا اكثر تفصيلاً وحديثاً عن هذه الظاهرة التي اطلق عليها المحدثون (المماثلة) التي ينطبق تعريفها على ظاهرة الإدغام في العربية، إذ أنها عملية تغيّر صوت ما في السلسلة الكلامية بحيث يماثل صوتاً آخر مجاوراً له[5] .

فعملية المماثلة تحدث بين الأصوات لجعل احدهما يماثل الآخر في صفاته سواء كانت كلها او بعضها . وفي بعض الحالات يفنى احد الصوتين في الآخر ثم ينتج عن ذلك صوت واحد، وعلى ذلك قسّمت المماثلة عند المحدثين تقسيمات مشابهة لتقسيمات الإدغام في العربية من نحو (المماثلة الجزئية) تقابل (الإدغام الناقص) (المماثلة الكلية) تقابل (الإدغام التام) أما (الإدغام الكبير) فيشمل انواع المماثلة الثلاثة وهي :

---

(1) النشر : ج1،ص274.

(2) المصدر نفسه: ج1،ص275 .

(3) الرعاية : ص231 .

(4) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ،ص393 .

(5) علم الأصوات العام : ص180، والألسنية العربية :ج1،ص53.

المماثلة المدبرة : عندما يؤثر الصوت الثاني في الاول . والمماثلة المقبلة : عندما يؤثر الصوت الاول في الثاني [1].

وقد دارت دراسات المحدثين لظاهرة الإدغام حول ما كتبه القدماء واتفقوا مع القدماء في اسباب الإدغام من حيث السهولة في النطق والاقتصاد في الجهد العضلي للمتكلم، فضلاً علىالنظر إلى الإدغام من حيث هو حركة عضوية لجهاز النطق القصد منها التخفيف عندما يرتفع اللسان رفعة واحدة بدلا من رفعتين .

غير أنالمحدثين لم يتوسعوا في ظاهرة الإدغام مثلما توسّع فيها علماء العربية القدامى، بل ان مظاهر الإدغام التي جاء بها علماء العربية تنطبق انطباقاً تاماً على ما جاء به المحدثون في ظاهرة المماثلة حتى ذهب بعض الباحثين إلى القول متحمساً : أن العلماء العرب قد سبقوا اللغويين المحدثين إلى ابتكار نظرية المماثلة[2]. لأن اختصاص المحدثين باطلاق تسمية (المماثلة) على مظاهر الإدغام لا يقلل من جهود القدماء في هذا الجانب .

---

[1] الأصوات اللغوية، ص126، لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، ص205 .

[2] علماء الأصوات العرب سبقوا اللغويين المحدثين إلى ابتكار نظرية المماثلة، ص52 (بحث) .

ثانيا : الإبدال

تعد ظاهرة الإبدال من الظواهر البارزة في اللغة العربية، إذ تناولها العلماء العرب بالدرس والتعليل عندما اخذوا بجمع اللغة ومفرداتها . وجدوا هذه الظاهرة واعتنوا بها، فجمعوا ما تمكنوا من جمعه من ألفاظ هذه الظاهرة وأطلقوا عليها الإبدال .

ومن الذين اعتنوا بهذه الظاهرة اعتناءً خاصاً الاصمعي (ت 216 هـ) فألف كتاباً سمّاه (القلب والإبدال) ، واتبعه ابن السكيت (ت 244هـ) وسمي كتابه (القلب والإبدال)، أما الزجاجي (ت340هـ) فقد ألف كتاباً سماه (الإبدال والمعاقبة والنظائر) .

ومن بعدهم أبو الطيب اللغوي (ت 351هـ) الف كتاباً سماه (الإبدال)، واتبعه الكثير من العلماء الذين أفردوا أبواباً واسعة لدراسة هذه الظاهرة [1].

ولقد اجمع العلماء العرب في تعريف الإبدال بأنه : إقامة صوت مقام صوت، اما ضرورة، واما صنعة واما استحسانا، او ان تجعل صوتاً مكان صوت آخر مطلقاً [2].

هذا فيما يخص اللغويين الذين عرفوا الإبدال، أما النحويون فعلى الرغم من انهم اتفقوا مع اللغويين في تعريف الإبدال . فأنهم قد خلطوا بين مفهوم الإبدال اللغوي او السماعي والإبدال الصرفي او القياسي، فشمل الإبدال جوانب صرفية من بينها (الإعلال) فاستعملوا مصطلح (الإبدال) للدلالة على الظاهرتين معاً [3].

في حين ان اللغويين اقتصروا في هذه الظاهرة على اللفظة التي تروى بصورتين مستقلتين جائزتين في الاستعمال ولغير علة صرفية او علة إدغامية .

وعلى ذلك يجب التمييز بين أنواع الإبدال التي تنقسم إلى قسمين مهمين هما:-

1- الإبدال المطرد:

ويسمى الإبدال الصرفي أو القياسي وهو الإبدال الذي يخضع لقواعد صرفية محكمة لاسيما في صيغتي (افتعل والافتعال)، فتبدل تاء الافتعال (طاء) إذا كان قبلها أحد اصوات الاطباق : (الطاء، والظاء، والصاد، والضاد) . نحو (اضطجع) التي تكون على القياس

---

[1] الخصائص ، ج1 ، ص538. المخصص ، ج 13، 267. والدراسات اللغوية عند العرب ، ص .

[2] الصاحبي، ص333 . شرح المفصل، ج7 ،ص7 ، شرح الملوكي في التصريف، ص214.

[3] الكتاب ، ج2 ، ص426. الاصول ،ج 3، ص244

(أضتجع)، وكذلك إذا كان قبل (التاء) احد الأصوات المجهورة (الزاي، والذال، والدال)، فتبدل (التاء) من صوت مجهور من نحو : (إزدرع)، وقياسها : (إزترع) [1].

وقد وضع الصرفيون رقماً لتلك الأصوات التي تبدل قياسياً، غير انهم اختلفوا في هذا الرقم العددي . إذ عدها بعضهم (أحد عشر) صوتاً هي : (الهمزة، والالف، والياء، والواو، والتاء، والدال، والطاء، والميم، والجيم، والهاء، والنون) [2].

وهي عند بعضهم الآخر (اثنا عشر) صوتاً، يجمعها في قوله (طال يوم انجدته) [3].وعند غيرهم (ثلاثة عشر) صوتاً، وهناك من يعدها (اربعة عشر) صوتاً [4]. وهناك من يعدها (تسعة) أصوات جمعها في قوله (هدأت موطياً) [5].

وعلى ذلك فالإبدال الصرفي إبدال قياسي يخضع لقواعد افترضها الصرفيون، ويلاحظ انهم قد خلطوا بين الإعلال الذي هو إبدال – أيضا– ولكنه خاص بأصوات العلة التي قررها العلماء العرب في عرفهم وهي (الهمزة، والألف، والواو، والياء) على الرغم من تحفظاتنا الشديدة في عدّ (الهمزة، الألف) أصوات علة، مع تجويز ان تكون (الواو، والياء) أصوات علة إذا كان القصد منهما انهما خارجان من وصف اللين .

ومهما يكن من أمر فالإبدال الصوتي الحاصل في الأصوات المذكورة أعلاه يسمى (الإعلال)، اما الإبدال في صيغة (أفتعل) وما يتفرع عنها، فهو إبدال لغرض الإدغام او فيه علة الإدغام، او علة صرفية تفترض الأصل الأول القياسي، وما حصل له بعد إبداله في حين ان الإبدال اللغوي يشير إلى صورة جديدة من دون افتراض لأصلها وكأن الناطق ينطق بصورتها الأولى على انها الأصل .

وقد حاول اللغويون ربط مظاهر الإبدال اللغوي بقواعد صرفية، وكان الأجدر بهم ان يتركوها إلى الاستعمال ويعدونها من السماع . من ذلك إبدال السين زايا من نحو (التزدير– التسدير، يزدل ثوبه – يسدل ثوبه) فاشترطوا ان تكون السين ساكنة وبعدها الدال ومثله إبدال الصاد زاياً من نحو(التزدير، التصدير، ازدرت ،أصدرتُ) وهو مطّرد في كل صاد ساكنة بعدها دال [6].

---

[1] الكتاب ج1 ، ص422. الاصول : ، ج3 ، ص270 – 271 .

[2] الكتاب، ج2 ،ص 313، الاصول ، ج3 ،ص244

[3] الامالي ، ج2 ، ص 182

[4] شرح المفصل ، ج10 ، ص8.

[5] شرح أبن عقيل ، ج2 ، ص428

[6] الكتاب : ج2، 428، الاصول : ج3، 430

والغريب ان المثال واحد في كلتا القاعدتين وهو (التزدير) . وعلى الرغم من ان هناك ما يسوغ هذا الإبدال وهو الاتفاق المخرجي لان (السين، والصاد، والزاي) من مخرج واحد، فان تعقيد هذه الظاهرة بتلك القاعدة غير سليم .

والذي يبدو لي أن العلماء العرب سمعوا أمثال هذه الالفاظ التي توافق نطقها بأن تأتي قبل الدال مثل هذه الأصوات وتكون ساكنة، فوضعوا هذه القواعد، ولو انهم نسبوا نطق (الزاي، والصاد) إلى القبائل البدوية، لأنها يكثر فيها نطق الأصوات المجهورة ونطق (السين) الى القبائل الحضرية، لأنه من خصائص نطقهم لاراحوا الذهن من أمثال هذه القواعد التي تكاد تخدش جمالية الظاهرة [1].

ومثله إبدال السين صاداً، وذلك إذا جاءت قبل (القاف، والغين والخاء) في كلمة واحدة، بغض النظر عن الحواجز بينها، وهو مطرد في لغة بني العنبر وهي من قبائل تميم من نحو : (صقت، وصالخ، وصاطع) في (سقت، وسالخ، وساطع) [2].

وقد نسب العلماء هذا الإبدال إلى بني تميم وهو نطق لهجي، ونستشف من ذلك ان غيرهم ينطقها بالصاد . بدليل ذهابهم إلى ان النطق بالسين هو الأصل ثم أبدلت صاداً لتوافق أصوات الإطباق [3].

وعلى الرغم من اننا لا نريد ان ندخل في مسألة أيهما الأصل النطق بالصاد، أم النطق بالسين ؟ فأن النطق بـ (الصاد) من حيث هو أصل للنطق هو الاقوى صوتياً، لان الصاد توافق أصوات الاطباق ولما كانت الصاد مستعلية، كره الناطق ان يخرج من مستعل الى مستفل لثقله على لسانه وهي من خصائص اللهجات البدوية التي كانت تلجأ الى تفخيم الأصوات لملائمة طباع حياتهم ، ولا أظن النحاة سوف ينكرون ان قواعدهم وضعت من كلام أهل البادية .

ولقد ذهب سيبويه إلى آن (النون) تبدل من (الهمزة) في صيغة (فعلان ، فعلى) [4]. مع ان هذا ليس من الإبدال في شيء بل كل صيغة مستقلة عن الأخرى . وذهابه ايضاً إلى إبدال (الهاء) من (التاء) في الوقف من نحو (طلحة، طلحه) [5]. وهذا ليس من الإبدال في شيء وان تغير النطق، فنطقت (التاء) هاءً، لانه حذف، فضلاً علىان تاء التأنيث تبدل في الوقف هاءً،

---

[1] في اللهجات العربية، ص125 – 128

[2] الكتاب : ج2، ص428 – 429، الاصول : ج3، ص431

[3] الكتاب : ج2، ص428–429

[4] المصدر نفسه : ج2، ص314

[5] المصدر نفسه : ج2،ص313

والوقف ظاهرة من ظواهر العربية، لها اصولها وقواعدها وادخالها في ظاهرة الإبدال من هذا الجانب فيه الكثير من الخلط والتعسف .

ان الإبدال الصرفي والقياسي يخضع لمفاهيم صرفية استخلص منها العلماء تلك التغيرات التي تطرأ على بنية الكلمة، فالإبدال الحاصل في صيغة (أفتعل) قد اجهد العلماء فكرهم في هذا الجانب فالإبدال الصرفي يقتضي تحويل (تاء الافتعال) الى صوت يقارب (التاء) في المخرج، وله صفة الاطباق التي تقربه من الصوت السابق عليه، لكي ينسجم معه، وعلى ذلك قرر النحاة ان (التاء) قد ابدلت (طاءً) وذلك عندما تكون فاء الكلمة احد أصوات الاطباق: (الصاد، الضاد، الطاء، الظاء) من نحو : (أصطرع) فتكون مع الأصوات الثلاثة إبدالاً، إلا مع (الطاء) فتكون إدغاماً أو إبدالاً لغرض الإدغام، لان (الطاء) الأولى وهي فاء الكلمة، و(الطاء) التي حلت محل (تاء الافتعال) قد اصبحتا من جنس واحد والأولى ساكنة والثانية متحركة فيدغمان [1].

2- الإبدال اللغوي :

ويسمى السماعي او غير المطرد . وهو إبدال اللغويين الذين جمعوه من الالفاظ المتقاربة في أصواتها، والتي لها معنى واحد وقد بذلوا جهداً كبيراً في تفسير هذا الإبدال، وقد شغلهم اساس هذا الإبدال ومنطلقه وهو هل ان هذا الإبدال هو بسبب التقارب في المخرج او بسبب التباعد في المخرج ؟.

فذهب بعضهم الى ان الإبدال لايقع الا في الأصوات التي يكون مخارجها متقاربة وتكون من مخرج واحد فقد ذكر ابن جني وهو في معرض توجيهه الإبدال الواقع في (حثحثوا) وهو إبدال التاء الوسطى حاء . ما قاله ابو علي الفارسي (ت 377هـ) مبيناً فساد هذا الإبدال : (والعلة في فساده، ان أصل القلب في الحروف انما هو فيما تقارب منها وذلك الدال، والطاء، والتاء، والذال، والظاء، والهاء، والهمزة، والميم والنون، وغير ذلك مما تدانت مخارجه . فأما الحاء فبعيدة من التاء وبينها تفاوت يمنع من قلب احدهما الى اختها، قال وانما حثحث أصل رباعي، وحثث من مضاعفة الثلاثة فلما تضارعا بالتضعيف الذي فيهما اشتبه على بعض الناس أمرهما، وهذا هو حقيقة مذهبنا)[2] .

وعلى ذلك فأبو علي وابن جني يشترطان التقارب المخرجي في الإبدال اللغوي وليس الإبدال من اجل الإدغام .

---

[1] الخصائص : 2، 230

[2] سر صناعة الاعراب 1، 197 .

وتابعهم ابن سيده الذي يؤكد شرط التقارب في المخرج او اتحاد المخرج لحصول الإبدال ومن ذلك : إبدال (العين من الهمزة)، (والهمزة من العين)، (والهاء من الحاء)، (والحاء من الهاء)، (والقاف من الكاف)، (والكاف من القاف)، (والفاء من الثاء)، (والثاء من الفاء)، (والباء من الميم)، (والميم من الباء)، أما إذا لم يتقارب الصوتان في المخرج فلا يسمى عنده إبدال من ذلك إبدال صوت من أصوات الفم من صوت من أصوات الحلق [1].

ومع ذلك فأن ابن سيده يشترط أن يكون البدل في قبيلة واحدة ومع وجود العلة الصوتية أما إذا وجد في قبيله أخرى فهو ليس من البدل في شيء .

إلا أنهيشكل عليه ما رواه الفارسي من ان (دهدهت الحجر ودهديته) لغتان الهاء في تميم والياء في أهل العالية [2] .

وهما إبدال وفي لهجتين مختلفتين ويحسب لابن سيده انهما غير متقاربين في المخرج .

والى ذلك ذهب ابن السكيت في ان أبناء القبيلة الواحدة يتكلمون بصوتين متبادلين ولهجتين مختلفتين، من ذلك قول بني كلاب في (انفحة، منفحة) . على الرغم من ان (الميم والهمزة) متباعدتان في المخرج [3].

ويعد ابا الطيب اللغوي من اللغويين الذين ادركوا مرامي ظاهرة الإبدال، فحاول تفسيرها تفسيراً يبرز حقيقة الإبدال . إذ انه يرى ان الإبدال يقع في لغتين فلا تتكلم القبيلة الواحدة باللفظتين معاً [4].

وهذا الرأي استند الى ان قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طوراً مهموزة وطوراً غير مهوزة، ولابالصاد مرة وبالسين اخرى انما يقول هذا قوم وذاك اخرون [5].

ومع ذلك ان الالفاظ التي حدث فيها إبدال هي لغات لقبائل مختلفة فضلت كل قبيلة النطق باللفظ الذي ينسجم وطبائعها في النطق، وبعد ان تلفقت هذه الالفاظ بعد ان اصابها التطور الصوتي في احد أصواتها وبقيت محتفظة بمعانيها.

---

[1] المخصص ج13،ص273.

[2] المصدر نفسه : 13، 287.

[3] إصلاح المنطق، ص175 .

[4] مقدمة الإبدال، ص 9.

[5] المزهر ج1 ، ص460.

ويروي اللغويون رواية طريفة لمثل هذا الإبدال إذ انهم يحكون : انه اختلف رجلان في (الصقر) فقال احدهما : بالسين، وقال الآخر : بالصاد، فتحاكما الى اعرابي ثالث فقال : أما انا فأقول (الزقر) بالزاي [1].

وهذا يدل على انها لغات قبائل كل قبيلة تنطق مما يلائم طباعها .

غير أنالإبدال اللغوي سواء كان في قبيلة واحدة او في قبيلتين يؤدي الى غاية واحدة وهي حدوث الإبدال الذي نحن بصدده .

ولكن تعليل الإبدال فيه شيء من الاضطراب في اقوالهم فذهاب بعض العلماء العرب الى ان الإبدال يتعلق بالتقارب المخرجي، قول غير ملزم مع سلامة المنهج التفسيري للظاهرة وتوافقه مع التعليل الصوتي الحديث الذي يشترط التقارب في المخرج والصفة ليحصل الإبدال . فأن هناك ألفاظاً حدث فيها إبدال وهي متباعد المخارج من نحو . (النخاعة، النخامة، وأشبه، قشبه) [2].

مع ان العين حلقية والميم شفوية، والهمزة حنجرية والقاف لهوية والتباعد المخرجي واضح بينهما ومثله (بعج، بعط، بعق بطنه إذا شقها [3]. والتباعد المخرجي في هذه الالفاظ اوضح من الاشارة اليه .

والذي أراه من كل ذلك ان منهج التعليل في الظاهرة معالمه الاساس واسسه صحيحة فقد وفق العلماء العرب في ايجاد هذه الاسس بغض النظر عن اختلافهم في الاراء وهذه الاسس هي ان حصول الإبدال قائم على اساس الاختلاف اللهجي وعلى الاساس الصوتي المتمثل بتقارب المخارج او تباعدها، وهي الأسس التي يذهب اليها الدرس الصوتي الحديث وهذا ينم عن ادراك سليم لمجمل الظاهرة وابعادها والغريب ان يذهب بعض المحدثين الى ان اللغويين لم يكونوا دقيقين في منهجهم وهم يعالجون ظاهرة الإبدال لانهم لم يحرصوا على وضع قوانين ومقاييس كالتي يضعها النحويون وانما اكتفوا برصد الظاهرة [4] .

وهذا يبخس حق اللغويين في معالجة الظاهرة فمنهجهم كان دقيقاً جداً لانهم يدرسون الإبدال اللغوي او السماعي الذي يستند الى السماع فجمعوا الالفاظ وحاولوا ان يضعوا تفسيرات صوتية لها، ولم يضعوا قواعد وقوانين تقيّد هذه الظاهرة لإيمانهم بانها ظواهر لهجية، واللهجات

---

[1] المزهر ج1، ص475.

[2] الخصائص ج4،1، 2، ص560 .

[3] الإبدال ج1، ص234، 245 .

[4] الأصوات عند سيبويه، ص411 رسالة دكتوراه.

فـي تطـور مسـتمر لا يمكـن ضـبطها بقاعـدة وذلـك لسـرعتها فـي الاسـتجابة لمظـاهر التطـور الصـوتي، والمـنهج السـليم لعـالم اللغـة ان يفسـر مثـل هـذه الظـواهر ويحـاول ان يجـد التعلـيلات المقنعة لحدوثها وهذا ما عمله اللغويون .

وانما القوانين والقواعد يخضع لها ما هو قياس في اللغة وهو الإبدال الصرفي الذي وضع لـه النحويون قواعد تضبطه . ومن الصعب ربط الإبدال السماعي بقوانين يمكن لها ان تصيب الظاهرة بالتكلف والتعسف .

والـذي اراه ان الـذي يمكـن ان يؤخـذ علـى مـنهج اللغـويين العـرب فـي دراسـة الإبـدال هـو الاكثار من الالفاظ المبدلة ولم يتنبهوا على حدوث عملية التصحيف في ايراد بعض هذه الالفاظ التـي يمكـن للتصـحيف وخطـأ النسـاخ ان يقـع فيهـا .. ومـن ذلـك ايـرادهم الفـاظ قـد يقـع فيهـا التصـحيف مـن ذلـك . قـولهم : (رجـل كنـتح وكنـثح) إذا كـان مصـاباً بـالحمق . وقـولهم (يجـوس ويحـوس) و(اسـلخ وأصـلخ) وهـو الاصـم. و(جـدف وجـذف) و(زحـاليف وزحـاليق) وغيرهـا مـن الالفاظ التي يمكن ان يكون وقوع التصحيف فيها وارد لتشابه صور هذه الالفاظ بدرجة كبيرة [1] . فلو تنبه العلماء العرب على مثل هذه الالفاظ وحاولوا تقصي أصلها والاشارة إلى الناطقين بها من قبائل العرب، ونسبة كل لفظة إلى قبيلتها لامكن لهم حصر الفاظ هذه الظاهرة واسقاط البعض منها وهذا القول يتعلق بمن دون عمل العلماء العرب الذين سمعوا هذه الالفاظ من الاعراب وبمرور الزمن وانتشار نسخ الكتب لعل ذلك قاد إلى وقوع مثل هذا التصحيف ولا يبعد ان يكون للصراع اللغوي بين البصريين والكوفيين دخلاً في ايراد الكثير من الالفاظ على هذه الشاكلة، فضلاً علىالتوهم في السمع من علماء العرب الذين سمعوا بعض هذه الالفاظ وظنوا ان الإبدال واقع فيها، فكل ذلك ادى إلى ان يصاب عمل اللغويين بالتعسف .

يضاف إلى ذلك ان دراسة الإبدال عند اللغويين العرب كانت في بعض الحالات غيردقيقة من ناحية التحليل والتفسير وليس من ناحية المنهج في الرصد، فالاطار العام لمنهج اللغويين ينماز بالدقة لانه مبني على اسس صوتية ثابتة، غير أنتحليل الالفاظ المبدلة بنسبتها إلى قبائل معينة، فيه نوع من عدم الاحاطة والشمول، فهناك إبدال وقع في حالات وصفوها بالظاهرة، وارسوا على هذه الظاهرة منطلقات عامة واعطوا أمثلة تؤيد مثل هذا الإبدال (الظاهرة) . وأطلقوا عليها القاباً اصطلاحية تنسب إلى قبائل يرى اللغويون انها ميزة نطقية فيهم، ولم يقتصر هذا المنهج على اللغويين، وانما شاركهم النحويون في ذلك فوضعوا قواعد لبعض مظاهر هذا الإبدال الذي ينسب إلى قبيلة معينة واتخذ صفة الظاهرة الصوتية، واعملوا فكرهم في ايراد الامثلة التي

---

[1] الإبدال ج1،ص89، 95، 147، 153، 213 .

تسند هذا الإبدال الواقع من حيث هو ظاهرة صوتية عامة فضلاً علىايجاد تفسيرات وتعليلات صوتية تؤكد عملهم هذا غير أنالقصور الذي اوقعوا انفسهم فيه يتمثل في قلة الامثلة في هذا الإبدال، وعدم اقناع المطلعين عليه بحقيقة الإبدال، على الرغم من وقوع هذا الإبدال (الظاهرة) في بعض القراءات القرآنية، والاحاديث النبوية الشريفة ومهما يكن من أمر الالفاظ التي يقع فيها الإبدال فلقد كان لعلماء العربية في ايراد بعض مظاهر الإبدال اللغوي منهج يستند إلى التعليلات غير الدقيقة في بعض الاحيان، وليس لها سند قوي، من ذلك انهم ذكروا ان الإبدال يقع في قلب (الياء) جيما، ونسبوا ذلك إلى بني تميم فيقولون (تميمج، وعلج) في (تميمي، وعلي)، وشرط هذا الإبدال عندهم انه يتم في الوقف وحده، فتبدل الياء سواء كانت مشددة او مخففة (جيما) والعلة في ذلك لان الياء خفية، ولقرب مخرج الياء من الجيم وأنشدوا قول الراجز [1].

خالي عويف وأبو علجّ المطعمان اللحم بالعشجَّ
وبالغداة فلق البرنجَّ يقطع بالودَّ وبالصيصجً

يريد الراجز ان يقول (علي، والعشي، والبرني، والصيصي) فأبدل من الياء المشددة جيماً اما ابدال الياء المخففة جيما فقد انشدوا [2] :-

ياربَّ ان كنتَ قبلتَ حجَّتج فلا يزالٍ شاجج ياتيك بج

ويبدو أن اشتراط ذلك بالوقف ليس بالرأي السديد، لان الجيم ابدلت ياء في غير الوقف من نحو قولهم [3] :-

حتى إذا ما أمسجت وأمسجا

يريد (أمسيت وأمسيا) .

فضلاً علىخلطهم بين هذه الظاهرة، وظاهرة (العجعجة) وهي قلب الياء جيماً، وذلك باشتراط وجود العين قبلها، ونسبوا ذلك إلى قضاعة فيقولون، (هذا راعج، وخرج معج) في (هذا راعي، وخرج معي)[4] .

فاذا كانوا قد استشهدوا بشواهد من الشعر عن قلب الياء جيماً في الوصل والوقف فانهم لم يعطوا لنا شواهد عن ظاهرة العجعجة مما يعني ان وجود العين ليس بالضرورة التي يتوقف عليها

---

[1] الكتاب : ج 2،ص 288، الإبدال (ابو الطيب) : ج 1، ص 258، سر الصناعة : ج1،ص192.
[2] شرح المفصل : ج9،ص1390.
[3] سر الصناعة :ج1،ص194، شرح المفصل : ج9،ص1390.
[4] الكتاب : ج2،ص288، التهذيب : ج1،ص68.

هذا الإبدال . وليس من الغريب ان تبدل الياء جيماً، لان هناك ما يسوغ هذا الإبدال صوتياً، لأن الجيم شديدة على رأي القدماء، ولولا شدتها لكانت ياءَ، واذا شددت الياء صارت جيماً كما يقول القدماء[1] .

وعلى الرغم من تحفظنا على ان الجيم شديدة لان وصفها الحديث يؤكد صفتها التي تجمع بين الانفجارية والاحتكاكية فان هذا الإبدال تقره القوانين الصوتية بسبب الاتحاد في المخرج ومن ذلك – ايضاً – مذهبهم في (العنعنة) . وهي إبدال العين من الهمزة، ونسب هذا الإبدال إلى لغة قريش وما جاورها من تميم وقيس وأسد ومن جاورهم، فيبدلون مكان الهمزة عيناً في (أن) المفتوحة فيقولون : في (أن – عن) ويقولون (اشهد عنك رسول الله)، فاذا كسروا (أن) رجعوا إلى الهمزة [2].

فالعنعنة – اذن – هي إبدال الهمزة عيناً، ويتم ذلك في (أن) المفتوحة بحسب ما قرره العلماء العرب.

والذي أراه أن اشتراط العنعنة بإبدال همزة (أن) عيناً ليس بالمذهب الدقيق، وذلك لان إبدال الهمزة عيناً، يكون في مواطن أخرى من نحو قولهم (الخبع، الخبء)، فيجعلون بدل الهمزة عيناً . وقولهم (أسلم – عسلم) و(اذن – عذن) [3].

وقد جمع ابن دريد إبدال الهمزة عيناً في (أن) المفتوحة وغيرها بقوله : (خبع الرجل في المكان إذا دخل فيه، وأحسب أن هذه العين همزة، لان بني تميم يحققون الهمزة، فيجعلونها عيناً فيقولون : هذا خباعنا، يريدون خباؤنا، ويقولون: فعلت كذا وكذا عن فعلت كذا وكذا يريدون ان فعلت)[4] .

ان إبدال الهمزة عينا في الامثلة المتقدمة وارد وله مايسوغه صوتياً لأنهما من اقصى الحلق عند القدماء واتحادهما في صفة (الجهر) على الرغم من ان الهمزة في الوصف الحديث حنجرية فضلاً علىصفتها التي لم يقطع بها المحدثون بدليل ان العين تقلب همزة . ايضاً . من نحو قولهم (لعلني . لأنني) و(دعني . دأني) و(السعف . الساف)[5] ولكن اشتراطها بأن المفتوحة ليس مقبولاً" لسعة الظاهرة ولعل تسميتها بـ "(العنعنة) مأخوذ من طرافة وغرابة إبدال همزة (ان) عينا من نحو (انك . عنك) فضلا" عن بروزها وعلوقها في الذهن وكأن الإبدال الذي يقع في

---

[1] شرح المفصل : ج9،ص1390 .

[2] التهذيب: ج1،ص111، سر الصناعة: ج1، ص237، شرح المفصل :ج8،ص1200 .

[3] العين : ج1،ص141، المزهر :ج1،ص221.

[4] الجمهرة ج1، ص237.

[5] القلب والإبدال، ابن السكيت ، ص23. 24 .

الاسماء والافعال يعد من الامور المسلمة غير أنوقوع هذا الإبدال في الادوات فهو ظاهرة ليست واسعة وغريبة نوعا" ما .

اما نسبتها إلى بني تميم وخصهم وحدهم في هذا الإبدال ففيه نظر لأن قبائل اخرى يقع فيها هذا الإبدال من نحو قيس واسد وقريش كما صرح بذلك علماء العربية فهي ظاهرة واسعة لازالت مظاهرها موجودة في يومنا هذا في كثير من اللهجات البدوية المعاصرة إذ يقولون في (سأل . سعل) و(سؤال . سعال)[1] .

ومن ذلك الإبدال الواقع في قلب (الحاء) عينا او ما يسمى (الفحفحة) وينسب إلى قبيلة هذيل ومنه قراءة قوله تعالى (حتى حين)[2] يقولون : (عتى حين) ومن ذلك قولهم : (ضبعت الابل وضبحت)، و(بعثروا متاعهم وبحثروا)[3] .

وعلى الرغم من ان هذا الإبدال تقره القوانين الصوتية لأن الصوتين من أصوات الحلق وهما من مخرج واحد فان الإبدال الواقع في الاية الكريمة فيه نظر لأن حاء (حين) لم تبدل عينا" وكأن ذلك خاص في (حتى) وحدها . غير أنماذكروه من امثلة في غير هذه الاية يكاد ينأى بالظاهرة عن التمحل .

ولعل من موارد اضطرابهم في ظاهرة الإبدال السماعي ما اوردوه من الإبدال الواقع في (لام التعريف) عند إبدالها ميما" ونسبوه إلى قبائل واسعة من طيء والازد والى قبائل حمير في جنوب الجزيرة العربية واطلقوا عليه (الطمطمانية)[4] وأوردوا حديثا" نبويا" شريفا" في ذلك إذ سمع رسول الله (ص) يقول لرجل من حمير بلسانه : (ليس من امبر امصيام في امسفر). يريد ان يقول له : (ليس من البر الصيام في السفر) فأبدل (لام التعريف) ميما [5] .

وقد عقب ابن جني على هذا الحديث بأنه شاذ لا يقاس عليه[6]. ولاندري مامعنى قوله لا يقاس عليه ؟ هل يقصد لا يقاس عليه في نطق هذه القبائل الواسعة التي ذكرها ؟ او لا يقاس عليه في كل نطق تدخل فيه لام التعريف ؟ وهذا بين لا يحتاج إلى التنبيه عليه .

غير إنهم لم يذكروا لنا شواهد على هذا الإبدال سوى ما ذكروه من حديث نبوي شريف واحد على الرغم من كثرة القبائل التي تمطر بهذا الإبدال .

---

[1] المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء ، ص172

[2] سورة يوسف ،35 .

[3] الإبدال (ابو الطيب) : ج1، ص232 الإبدال ابن السكيت ،ص66 .

[4] الإبدال (ابو الطيب) : ج1، ص292 .

[5] سر الصناعة : ج1، ص423 شرح المفصل : ج1، ص34.

[6] سر الصناعة : ج1 ، ص423 .

وعلى الرغم من قلة الشواهد على هذه الظاهرة فأن هذا النطق لا يزال باقيا في بعض مناطق اليمن ومثله باللهجة المصرية فيقولون : (امبارح في البارح) أي يوم امس ، وهذا يدل على انه نطق لهجي قديم .

ومثله ظاهرة (الاستنطاء) التي هي إبدال العين الساكنة قبل الطاء في (أعطى) نوناً وينسب هذا النطق إلى هذيل وسعد بن بكر والازد والانصار[1] .

وقد قرأ ابن مسعود (ت ه)، (إنا أنطيناك الكوثر) بدلاً من (إنا أعطيناك الكوثر)[2].

فالإبدال الواقع هنا لم تقره القوانين الصوتية . فليس هناك قرابة صوتية بين العين والنون من ناحية المخرج . مع انهما متحدان بصفة الجهر، فضلاً علىاشتراط ان تكون العين ساكنة، وقبل الطاء، مما يدل على انه خاص في هذه الكلمة فقط، ولا تخضع له كلمات أخرى يرد فيها هذا الشرط من نحو (أعطَر، وأعطَس، وأغطس) بل حتى صيغة المضارعة من الفعل المبني للمعلوم والمجهول لم يرد فيها هذا الإبدال من نحو (يُعْطي، يُعْطى) مما يدل على انه خاص بالفعل (أعطى) وحده ، هذا في مستوى الكلام الفصيح غير إنه يمكن أن يكون النطق في العامية العراقية في للفعل (ينطي ، تنطي ، أنطاك) في (يعطي ، تعطي ، أعطاك) إنما هو من بقايا النطق القديم .

ومثله ما يسمى (الوتم) وهو إبدال السين تاء، وينسب إلى نطق بعض اهل اليمن، فيقولون في (الناس – النات) وفي (أكياس – أكيات) وانشدوا قول الراجز[3] .

يا قبّح الله بني السعلات عمرو بن يربوع شرار النات

ليسوا أعفاء ولا أكيات

وعلى الرغم من ان هذا الإبدال له ما يسوغه صوتياً لتقارب مخرج الصوتين، فهما من الأصوات الاسنانية اللثوية، فضلاً علىاتفاقهما بصفة الهمس، فان هذا الإبدال يكاد يكون خاصة في الوقف، لان (السين) الاخيرة ابدلت (تاء) في (الناس، اكياس)، في حين بقيت في (السعلات، وليسوا)، فضلاً علىعدم إبدال (التاء) في (السعلات) سيناً مما يدل على ان (السين) هي التي تبدل تاء، ولا يجوز العكس.

---

[1] المزهر ج1،ص122 .

[2] سورة الكوثر ،1.

[3] الآمالي : ج2 ، ص71 ، الممتع : ج2 ، ص389.

ويبدو أنه لا يبعد ان يكون عيبا نطقيا قد اصاب الناطق بهذا الإبدال وهو ما نجده عند بعض الاطفال الذين لم تكتمل اسنانهم او في لغة الاهتم الذي ليس له اسنان [1].

ان حقيقة الإبدال عند النحويين واللغويين واحدة . وهي اقامة صوت مكان آخر مع الابقاء على سائر أصوات الكلمة . فضلاً علىشروط الإبدال فهي واحدة أيضاً . وهي القرابة الصوتية والبيئة التي تنطق الالفاظ التي وقع فيها الإبدال .

غير أنمنهج النحويين في الإبدال قائم على تحديد الأصوات التي يقع فيها الإبدال، في حين منهج اللغويين لا يحدد تلك الأصوات وانما يستند الى الاستقراء اللغوي لهذه الظاهرة ورصد الالفاظ التي يقع فيها الإبدال فدراسة الطرفين تكاد تختلف منهجياً الا ان الغاية التي يرومان الوصول اليها واحدة وهي معرفة جوهر العملية الإبدالية ومحاولة وضع التفسيرات الصوتية لها .

كما يلاحظ في تعريف العلماء العرب للإبدال كما لوا انهم يشيرون الى التعمد والقصد في الإبدال وهذا ما استشفه بعض المحدثين من خلال تعريف الإبدال عند القدماء [2].

ويبدو أن الذين ذهبوا الى هذه الملاحظة لم يدركوا تعريف العلماء العرب لهذه الظاهرة لان تعريفهم هو عملية استقراء لهذه الظاهرة ومن ثم استنباط هذا التعريف من هذه الظاهرة لانهم ارادوا ان يضعوا لها تعريفاً ولم تكن درايتهم معدومة في ان هذه الظاهرة عفوية وخاضعة للتطور الصوتي العفوي . ويسند ذلك قول ابي الطيب اللغوي : (ليس المراد بالإبدال ان العرب تتعمّد تعويض حرف من حرف، وانما هي لغات مختلفة لمعان متفقة)[3] .

ومن هذا القول اشارة الى عفوية الظاهرة وما هي الا اختلاف لهجي فضلاً علىالاشارة الى الجانب الدلالي في الإبدال وهو ان المعنى يبقى ثابتاً مع حصول الإبدال في الالفاظ وهذا هو الغرض الذي تشير اليه الدراسات الصوتية الحديثة التي ترى في الإبدال عاملاً من عوامل التطور الصوتي الذي يؤدي إلى احداث تغير في اصوات اللغة فتتعرض إلى الإبدال بعضها من بعض دون ان يؤدي ذلك إلى المساس بالجانب الدلالي للألفاظ فإذا حدث آن تعرض الجانب الدلالي إلى التغير فلا يمكن عد ذلك من الإبدال اللغوي لأن الإبدال يستند إلى هذا التغيير الصوتي مع الابقاء على المعنى من دون تغير.

---

[1] المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء ،ص178..

[2] القلب والإبدال في اللغة، ص99 ورسالة دكتوراه .

[3] الإبدال، ص69.

غير أنذلك لا يعني ان الإبدال سوف يلتقي مع الترادف مع ناحية الاحتفاظ بالجانب الدلالي مع تغير أصوات الكلمة كما ذهب إلى ذلك بعض المحدثين [1].

أن ادخال الترادف مع الإبدال لاتقره القوانين الصوتية لان في الإبدال تبقى سائر أصوات الكلمة على حالها والتغيير انما يحدث في صوت واحد من أصواتها .في حين الترادف تكون الالفاظ مختلفة بعضها عن بعض والجانب الدلالي هو الرابط بينهما من نحو (شديد وقوي)، فأين الجانب الصوتي في مثل هذه الالفاظ؟ فالترادف مسألة دلالية حتى لو كان الجانب الصوتي سبباً من اسبابها في حين الإبدال مسالة صوتية خالصة، فضلاً علىان من شروط الإبدال ان يكون احد اللفظين نتيجة تطور صوتي للفظ آخر .

ومهما يكن من الامر فأن القدماء لم يبتعدوا عن المحدثين في دراسة ظاهرة الإبدال. وبقيت دراسات المحدثين تدور حول دراسات القدماء[2] .

---

[1] الإبدال اللغوي في ضوء علم اللغة الحديث، ص52-53 (بحث).

[2] من اسرار اللغة، ص75، والتطور اللغوي التاريخي، ص109 .

المبحث الثاني

(تعامليات الصوائت وأنصاف الصوائت)

أولا : الابتداء

أن ابتداء الكلام خصيصة من خصائص النطق الإنساني، فلا بد من ابتداء الكلام في حالة التكلم مثلما لا بد من انتهائه ، وهذه المسألة – واعني بها ابتداء الكلام – لم تترك غفلا من الدرس لدى علماء العربية، بل وضعوا لها شروطا" وقواعد عن الطريق الاستقراء الواسع لكلام العرب، وبالنظر إلى أول الكلمة المنطوقة، وما تبدأ به عند نطقها من المتكلم قالوا : (كل كلمة يبتدأ بها من اسم وفعل وحرف، فأول حرف تبتدأ به وهو متحرك ثابت في اللفظ)[1] .

وثبت لهم أن العربية لا تقر الابتداء بالساكن، فلا تبتدأ إلا بمتحرك، وإنما الساكن يأتي عندما يوقف على الكلمة، فإذا صدف أن ورد في أول الكلمة ساكن وأريد الابتداء به اجتلبت إلى الكلمة همزة متحركة، أطلقوا عليها (همزة الوصل)، وظيفتها المساعدة في نطق الساكن في الابتداء.

لذلك سنتناول حقيقة هذه الهمزة، واهم خصائصها عند علماء العربية القدماء وعند المحدثين، ومن ثم نبرز الرأي الذي نأمل أن يكون صاحب الحظ الأوفر في بيان خصائصها .

لقد أوضح علماء العربية حقيقة هذه الهمزة فقالوا ((همزة زائدة يوصل بها إلى الساكن في الفعل والاسم والحرف، إذ كان لا يكون أن يبتدأ بساكن وبابها أن تكون في الأفعال غير المضارعة ثم المصادر الجارية على تلك الأفعال، وقد جاءت في أسماء قليلة غير مصادر ودخلت على حرف من الحروف جاءت لمعنى))[2] وعلى ذلك فان أهم السياقات التي ترد فيها همزة الوصل كما صرح بذلك علماء العربية هي [3] :

1- الأفعال غير المضارعة وهي :

أ- ماضي الخماسي والسداسي : نحو : اقتدر، وانطلق، واستخرج، واحمرر، واقعنسست، واشهابيت، واجلوذت، واغدودنت، واحرنجمت، واقشعررت .

ب- أمر الثلاثي : نحو : اقتل، واسمع، واذهب، والأصل تقتل وتسمع، فلما زال حرف المضارعة (تاء) بقي ما بعده ساكنا، فجاءت الهمزة لتصل إلى الساكن .

ج- أمر الخماسي والسداسي : نحو : انطلق، استخرج.

---

[1] الأصول : ج3، ص367 سر الصناعة : ج1 ،ص126.

[2] الأصول : ج3 ،ص367، الكتاب : ج2 ،ص 271، وسر الصناعة : ج1، ص126.

[3] الكتاب : ج2، ص271، والأصول : ج2، ص376-369، وسر الصناعة : ج1، ص126.

2- المصادر الجارية مجرى الأفعال، فأولها ألفات وصل، وتكون مكسورة نحو : انطلقت انطلاقا، واستخرجت استخراجا.

3- أسماء قليلة تدخل عليها همزة الوصل وهي : (ابن، ابنة، اثنان، اثنتان، امرؤ، امرأة، وابنم، واسم، وايمن، وايم)، وتكون الهمزة فيها مكسورة .

4- الحرف الذي تدخل عليه همزة الوصل وتكون مفتوحة هو (لام المعرفة) في الأسماء نحو : القوم، والرجل، والخليل، وتسقط في كل موضع تسقط فيه همزة الوصل، إلا مع الف الاستفهام، نحو : أ الرجل عندك ؟ فيمدون كي لا يلتبس الخبر بالاستفهام .

ويظهر إن (همزة الوصل) الأصل فيها الكسر في الأفعال والأسماء، غير أنذلك لا يمنع أن يكون الأصل في همزة (ال التعريف) الفتح، لأن (اللام) صوت، فجعلوا حركة الهمزة معها فتحة، لتخالف حركتها في الأسماء والأفعال، وقد تكون الهمزة مضمومة إذا كان بعد الساكن مضموما نحو : اقتل، واستضعف، وهو في الأفعال فقط .

أما إذا كان الصوت الثالث في الأسماء مضموما فلا يلتفت إليه نحو : ابنم، وامرؤ ((لأنها ليست ضمة تثبت في هذا البناء على حال كما كانت في الفعل))[1] .

إن همزة الوصل – إذن – تلحق الكلمات في بداية النطق بها لتوصل إلى النطق بالساكن الذي يليها، أما إذا وقعت هذه الكلمات في وسط الكلام، فلا حاجة إلى همزة الوصل، لأن الصوت الأخير من الكلمة الذي يسبق الساكن المذكور سيقوم بتحمل وظيفة الوصل بوساطة الحركة التي يشكل بها، ومن ثم يقوم مقام الهمزة وتقوم حركته مقام حركة الهمزة نحو : واعمل خيرا، واعشوشبت الأرض.

لذلك همزة الوصل عند القدماء زائدة، وظيفتها النطق بالساكن او التوصل للنطق بالساكن، وتسقط في الدرج لفظا لا خطا نحو : واعمل صالحا، إذ انهم نظروا إليها من ناحية أصول الكلمة، فهمزة الوصل ليست من الأصول التي تبنى منها ألفاظ العربية، وإنما هي وسيلة صوتية تكون عمادا للنطق بأصوات البناء الأصلية، فقال الخليل : ((والألف التي في إسحنكك واقشعر واسحنفر وأسبكرّ ليست من أصل البناء، وإنما أدخلت هذه الألفات في الأفعال وأمثالها من الكلام لتكون الألف عمادا وسلما للسان إلى حرف البناء، لأن اللسان لا ينطق بالساكن من الحروف فيحتاج إلى الف الوصل))[2] .

ولقد أكد المحدثون ما ذهب إليه القدماء، من أن همزة الوصل وسيلة صوتية طارئة ليست من بنية الكلمة، وإنما اجتلبت عند بداية النطق بالساكن الذي لا يقره الاستعمال اللغوي عند

---

[1] الأصول :ج 3، ص368.

[2] العين : ج1 ،ص47.

العرب[1]، فكانت همزة الوصل تلك الوسيلة الصوتية التي تحرك سكون البداية، تثبت في الابتداء وتسقط في الدرج، وكأن السياق الإستعمالي كره توالي الصمت الذي يسبق الكلام والسكون الذي اتصف به الصوت الساكن الذي يجيء في بداية الكلام، فكأنه في نظر الذوق الاستعمالي أشبه ما يكون بالتقاء الساكنين الذي ينبغي التخلص منه[2] .

ذهب بعض المحدثين إلى أنها صامت يتبعه صائت أي (ء ـَ) على أساس إن المقطع العربي لا يبدأ بصائت يتبعه صامت[3] .

في حين ذهب اغلب المحدثين إلى أنها صائت متبوع بصامت أي (ـَء)، ومعنى ذلك إن المقطع العربي يمكن أن يبدأ بصائت، وان كان قليلا إذا ما قيس بالمقاطع التي تبدأ بصامت دائما[4] .

لذلك يرى بعض هؤلاء إن (همزة الوصل) هي نوع من التحريك الذي يسهل عملية النطق بالساكن، فاختلط على بعض الناس فظنوه همزة، لأن هواءه يبدأ من منطقة الهمزة وهي الحنجرة، وان كان اللغويون العرب قد وقعوا في هذا الوهم، فلما أدركوا إن صفات هذا (الصوت) تختلف عن صفات ما سموه (همزة القطع)، أطلقوا على هذا الصوت الأول (همزة الوصل) أي وصل ما قبلها بما بعدها عند سقوطها، وكل ما في الأمر أن هذا الصوت هو ذلك التحريك او التصويت الذي يؤدي الوظيفة التي أرادها علماء اللغة، وهي التوصل إلى النطق بالساكن[5].

وأكد بعضهم أن الأصل فيما يضاف في أول الكلمة التي تبدأ بصحيحين هو علة، ولكن الترتيب الصوتي للكلمة العربية يقود إلى نطق همزة قبل العلة، وهو عكس ما ذهب إليه القدماء، الذين عدوا أن الأصل فيما يجتلب للتخلص من البدء بالساكن هو الهمزة، ثم اجتلب العلة للتخلص من الإبتداء الساكن[6] .

وقد أثبتت الدراسات الصوتية الحديثة أن بدايات جميع الحركات المفردة (المنفصلة) عند المتكلمين العرب تبدأ بصوت الهمزة وعليه فأن الكلمة التي يظن إنها مبدوءة بحركة فإنها عادة تبدأ بصوت الهمزة قبل الحركة[7] .

---

[1] اللغة العربية معناها ومبناها : ص278.

[2] المنهج الصوتي للبنية العربية :ص 202، واللغة العربية معناها ومبناها : ص277.

[3] علم الأصوات العام :ص 134.

[4] مناهج البحث في اللغة : ص176–177، ودراسة الصوت اللغوي :ص 256، والتفكير الصوتي عند الخليل : ص78، ودراسات في علم أصوات العربية : ص54–56.

[5] دراسات في علم اللغة ص143–142.

[6] دراسات في علم أصوات العربية ص56.

[7] التشكيل الصوتي ص 38.

والملاحظ على المصوتات أن يحدث عند النطق بها أن تنغلق الحبال الصوتية أولا ثم تنفتح بالقدر اللازم لأحداث ذبذبة، فإذا انتهى النطق انغلقت، وتأتي نهاية المصوت في صورة احتباس او قطع ضعيف، أما اللغة العربية التي تحتاج دائما إلى همزة فأن ابتداءها بالمصوت يكون بهذه الطريقة، غير أنالتوتر الصوتي هنا اشد قوة، إذ إنالانفتاح المفاجئ للحبال الصوتية يصدر الهمزة بالابتداء، ثم تستعيد الأوتار وضعها بان تغلق الحنجرة، وهو وضع استعداد للهمزة، من حيث كانت نهاية النطق عند مخرج الهمزة[1] .

والجدير بالذكر أن علماء العربية قد أشاروا إلى أن أصوات المد إذا استمر نطقها فأنها تنتهي الى موقع الهمزة[2] .

والذي نميل إليه في هذا الموضوع هو : أن الحركة (الصائت) هي السبب الرئيس في إحداث عملية الابتداء، أي أن الصائت هو الذي اختارته العربية ليقوم بعملية الابتداء، وقد أضيفت الهمزة لتصحيح المقطع العربي كي لا يبتدأ بصائت لان المجموعة الكلامية لاتعترف بأن تبتدأ بحركة، لذلك تجلب همزة قبل الحركة لتكون عاملا مساعدا للنطق بها[3]، لأنه إذا كانت همزة فأن أصل هذه الهمزة هو السكون كما أكد ذلك علماء العربية[4]، فلو أضيفت وهي ساكنة لإلتقى ساكنان، وهو ما لا يقره النظام اللغوي عند العرب .

غير أنالعلماء العرب عدوا مجيء الحركة (الصائت) متأخرا على الهمزة ووظيفتها منع التقاء الساكنين[5]، ونحن لا نختلف كثيرا معهم فنذهب إلى أن أصل الابتداء هو (الحركة)، وأضيفت الهمزة مقترنة معها لتؤدي وظيفة المحافظة على سلامة المقطع العربي، فضلاً علىوظيفتها الدلالية، فإذا ورد في الابتداء ساكن في الكلام العربي لجأ المتكلم إلى إضافة صائت او مصوت للتخلص من هذا النطق[6]، غير أنه يواجه أن يبدأ المقطع بحركة وهو ما لا يجيزه نظام المقطع العربي، فزيدت همزة لتصحيح المقطع فجاء البناء المقطعي عند العرب صامت يتبعه صائت أي (همزة + حركة)[7] .

ولو اعترض معترض بأنه لماذا لا تعد الهمزة حينئذ همزة قطع، او أي صوت آخر من أصوات العربية ؟ بدليل الأثر الذي تؤديه في تغيير المعاني كما تؤديه الأصوات الأخرى ؟

---

(1) التفكير الصوتي عند العرب ص 62–63 (هامش أربعة) .

(2) المصوتات عند علماء العربية ص 442–445 (بحث) .

(3) مناهج البحث في اللغة : ص 176–177 .

(4) الأصول ج 3، ص368، وسر الصناعة ج 1، ص127.

(5) الأصول ج 3، ص368، وسر الصناعة 1، ص127.

(6) العربية الفصحى ص 43.

(7) المنهج الصوتي ص 42.

فيكون وجودها في بداية الكلمة يعطي لها معنى دلاليا مغايرا للمعنى الذي يكون إذا استبدلت بصوت آخر، نحو (اقتل) معنى يختلف عن نقتل وتقتل، ويقتل .

وهو إعتراض وجيه، غير أنهمزة القطع، والأصوات الأخرى (الصحيحة) تعد سواكن خالية من الحركات، فلو كانت مثلها لالتقى ساكنان فنحتاج إلى وسيلة – أيضا – للتخلص من التقاء السواكن الخالية من الحركات، ومن أهم هذه الوسائل هي الحركة (الصائت)، التي هي جزء مهم في عملية الابتداء، حتى لو على رأي القدماء بأن الهمزة أضيفت أولا، ولما كانت ساكنة في أصلها حركت منعا لالتقاء الساكنين – أي الساكن الذي بعدها –.

فشكلت الحركة (الصائت) مع (الصامت) محور الابتداء إذ لا يمكن الفصل بينهما في الابتداء، فلا همزة من دون حركة، لأنه سيؤدي إلى تتابع صامتين، وهو ما لا يقره الاستعمال اللغوي عند العرب، ولا حركة من دون همزة، لأنه سيؤدي إلى البدء بصائت وهو ممتنع – أيضا – في نظام المقطع العربي، ومن ثم فـ(الهمزة والحركة) عنصران مهمان في عملية البدء في الكلام، ولا يبعد أن يشكل (الصائت) أثرا مهما فيها، أن لم نقل انه يتحمل الوظيفة بكاملها[1]، وما الهمزة إلا لتصحيح البناء اللغوي العام، مع الأخذ بالاعتبار وظيفتها الدلالية، وما دام الحال كذلك فليس من الغريب أن تضيف العربية مقطعا كاملا (صامت + صائت) في الابتداء .

فالهمزة – إذن – لا يمكن لنا أن نعدها وسيلة صوتية طارئة على بنية الكلمة وظيفتها النطق بالساكن الذي بعدها، وذلك لأنها لا تختلف عن صوت (التاء) –مثلا – في كلمة (تضرب)، فلو آخذنا الفعلين (اضرب) و(تضرب) فالفرق بينهما معنوي مع تقاربهما في عدد المقاطع، فكلاهما من مقطعين طويلين، أي :

/ء ِض / ر ِب/ ، /ت َض/ ر ِب/ .

فلو حذفنا (الهمزة) من الفعل (اضرب) لكانت بدايته بالصوت الساكن، وكذلك لو حذفنا (التاء) من الفعل (تضرب) لكانت بدايته بالصوت الساكن، فهل معنى ذلك أن (التاء) في الفعل (تضرب) جيء بها للنطق بالساكن الذي بعدها، مما يعني تسميتها بتاء الوصل ؟

فما يسمى بهمزة الوصل، في بداية الكلام صوت له دلالة معنوية اكثر من دلالته الصوتية، وعملية الابتداء تستند إلى صوت صغير هو ذلك الصوت الذي يطلق عليه في العربية الحركة، سواء جاءت مع الهمزة او أي صوت آخر من أصوات العربية .

---

[1] دراسة الصوت اللغوي ص 337.

يضاف إلى ذلك أن أصوات العربية عند نطقها لوحدها، تحتاج إلى وسيلة صوتية حتى يتسنى نطقها، فلا يمكن نطقها ساكنة، لذلك ذهب القدماء إلى أن نطق هذه الأصوات يكون بمساعدة همزة الوصل فنقول : اك، اق، اج، وكذلك سائر الأصوات[1] .

معنى ذلك انه ليس ممكنا لدى العرب تصور صوت في اللغة العربية من دون أن تسبقه او تلحقه حركة[2] .

وهذا الأمر مبني على ملاحظة أن الأصوات ما كانت بقابلة لأن تنطلق، وان أعضاء النطق لا يمكن أن تتحرك إلا بفضل هذا الصوت المعين الذي يصحبها . . فكانت الحركة فكرة، امكنتهم أن يقرنوها بهذا الصوت الذي يشكل عنصرا اساسيا ومهما في بداية الكلام العربي[3]، إضافة إلى وظيفته التميزية للتفريق بين المعاني، فعلى الرغم من أن (الحركة) لم تكن من مادة تأليف أصول ابنية الكلمة عند العلماء العرب، فأنها تمثل عنصرا اساسيا في تأليف الصيغ المتفرعة عن هذه الأصول، فإذا كان الأصل الصرفي (ض ر ب) – مثلا – مقصورا على هذه الأصوات الثلاثة، فان الصور الصرفية الماخوذة منه ما كان لها أن توجد ولا تبنى هذا البناء من دون حركات، كما يبدو في نحو : (ضَرَبَ ، ضُرِبَ ، ضارب ، مضروب[4] .

أما فيما يخص همزة الوصل في درج الكلام، فليس لها وجود البتة من الناحية الصوتية، لأن الصوت الأخير من الكلمة الذي يسبق الساكن المذكور سيقوم بتحمل وظيفة الوصل بوساطة الحركة التي يشكل بها من نحو : واعمل صالحا[5] .

أما وجودها من ناحية الشكل او الخط فإنما هو المحافظة على شكل الكلمات ورسمها، فقولنا : (و اضرب) فإذا حذفت الهمزة بحجة انتفاء غايتها الصوتية لأصبح رسم الكلمات (وضرب)، فيختلط رسمها مع رسم الفعل الماضي او المصدر، فوجودها بعد انتفاء غايتها الصوتية مسألة شكلية اكثر مما هي صوتية .

فما يسمى بهمزة الوصل في بداية الكلام، إنما هو صوت مثل باقي الأصوات الأخرى يفرق بين المعاني عند استبداله بصوت آخر، وبذلك تكون عملية الابتداء في العربية مستندة إلى صويت صغير يطلق عليه في العربية (الحركة)، يتحمل عملية النطق بالساكن في بداية الكلمة،

---

[1] سر الصناعة ج1، ص7–8.

[2] التفكير الصوتي عند العرب ص 84.

[3] المصدر نفسه ، ص 65.

[4] علم اللغة العام – الأصوات – ص 76.

[5] اللغة العربية معناها ومبناها ص 278.

أما في درج الكلام فيبقى اللفظ محافظا على نطقه الصوتي ووظيفته اللغوية حتى لو حذفت منه همزة الوصل من الناحية النطقية .

ثانيا : الوقف

شرعت العربية في تأليف كلامها ان ابتدأ الكلام لا يمكن له ان يكون بالساكن، وانما يكون الابتداء بالمتحرك، واختارت لعملية الابتداء عملية مناقضة لها في انتهاء الكلام، فلم تجعل من المتحرك نهاية لكلامها، وانما نهاية الكلام يكون على الوقف، اما لتمام المعنى جزئيا او كليا، او لأنقطاع نفس المتكلم، او لاي سبب من الاسباب التي تدعو إلى الوقف في آخر الكلام سواء اكان وقفا اختياريا ام اضطراريا .

والشائع في اللغة العربية ان يوقف بالسكون على كل صوت يمكن الوقوف عليه، لأنه العلامة الرئيسة التي يهرع اليها المتكلم كلما اراد الوقف على كلامه[1].

غير أنذلك لا يعني ان السكون يدل على الوقف فقط، وانما له في العربية وظيفة اعرابية وهي الدلالة على الجزم، فضلاً علىوظائفه المقطعية والموسيقية[2]. فقد جاء السكون مؤديا وظيفة التخفيف عندما يسكن الاسم والفعل استخفافا من نحو (فخذ، فخذ، الرسل، رسل)[3].

ومهما يكن من امر فأن اللغة العربية قد وقفت على اقسام كلامها الثلاثة (الحرف والفعل والاسم)، بطرائق متعددة يؤدي فيها الجانب النطقي اثرا كبيرا، فضلاً علىالجانب اللهجي الذي اضفى على ظاهرة الوقف خصائص نطقية مختلفة .

وقد تناول علماء العربية هذه الظاهرة وفق منهج وصفي يميل في بعض الحالات إلى المعيارية في وضع قواعد معينة مستنبطة من عملية الرصد لهذه الظاهرة، وأبرز الوسائل والمظاهر التي رصدها العلماء العرب لظاهرة الوقف تتمثل في المظاهر الاتية :-

أولا – الوقف بالاسكان المجرد من دون تغيير :-

وتعد هذه الوسيلة ابرز وسائل الوقف واشهرها في العربية، وهو الوقوف على لفظ الكلمة من دون ان يصحب هذا الوقف ادنى تغيير في بنية الكلمة سوى حذف (الحركة) الصائت القصير .سواء كان ذلك في الكلمة التي اصولها صحيحة او معتلة من نحو :

فعل الامر : (أجتهد)، والفعل المعتل الآخر نحو : (يرمي، ويغزو، ويخشى) فيكون الوقف عليه بالواو والياء والالف[4].

فالعلماء العرب ذهبوا إلى ان (الحركة) قد حذفت في الوقف، غير أنالاسكان في فعل الامر، انما هو وسيلة اعرابية، فضلاً علىوسيلتها الصوتية، لأن فعل الامر عندهم عندما يكون

---

[1] الموجز في النحو، ص88.

[2] السكون في اللغة العربية، ص160، (بحث) .

[3] الكتاب، ج2، ص257–258.

[4] الكتاب، ج2، ص277.

صحيح الآخر يكون مبنيا على السكون، لذلك في هذه الحالة تتحد العمليتان الصوتيتان لأداء وظيفتين مهمتين في اللغة العربية، وظيفة دلالية ووظيفة صوتية، وهي اللجوء إلى الوقوف على آخر هذه الالفاظ لقفل المقطع المفتوح من منطلق ان الحركة للمد والسكون للوقف . اما في الافعال المعتلة الأخرى . فأنها تنتهي بمقطع مفتوح لأن (الالف والواو والياء) التي هي اواخر هذه الالفاظ، انما هي حركات طويلة . وتصور العلماء العرب ان هذه الحركات الطويلة كانت عليها حركات قصيرة، من نحو (الضمة والفتحة والكسرة) وعند الوقوف عليها حذفت تصورا غير دقيق . لأنها حركات طويلة لا يمكن تصور حركات صغيرة فوقها أو تحتها . فتشكل نهاية لمقطع مفتوح يتسريح النفس معها عند الوقف عليها . بدليل حذفها في حالة الجزم . وذلك لقطع الصوت او لتقصير هذه الحركات الطويلة إلى قصيرة، في حين في الفعل المصحح الاخر، تحذف الحركة القصيرة في حالة الجزم .

ثانيا :- الحذف :

ويتم الحذف من خلال حذف احد أصوات الكلمة التي يراد الوقف عليها، وحددها العلماء العرب في كل ما كان اخره ياء قبلها كسرة ويسمى (الاسم المنقوص)، لا سيما عندما يكون منونا، من نحو : (هذا قاض) والأصل هو (هذا قاضي)، إذ إن(الياء) سقطت في الوقف بسبب التنوين، فإذا لم يكن الاسم منونا، فوجود (الياء) افضل من حذفها من نحو (القاضي)، ويقيد ذلك في حالتي الرفع والخفض، اما في حالة النصب فلا تحذف (الياء) نحو (رأيت قاضيا) و (رأيت القاضي)[1].

ويبدو لي أن الحذف وقع هنا بسبب اجتماع نقيضين وهما التنكير والتعريف، فمن المعروف ان التنوين علامة التنكير، والتعريف علامة التعريف، فلا بد من اسقاط احدهما، وعندما دخلت اداة التعريف (ال) على الاسم المنقوص، حذفت التنوين، فهو جانب دلالي اكثر منه جانب صوتي، فقد ذكر العلماء العرب ان (قاضي) حقه ان يكون بضم الياء وتنوينها في حالة الرفع، اما في حالة الخفض (مررت بقاضي) فحقه يكون بكسر الياء وتنوينها – ايضا– غير أنالاستثقال النطقي عندما تكون ضمة وكسرة على الياء المكسور ما قبلها، لأنها اصبحت مدة كالالف لسعة مخرجها، وبسبب كون حركة ما قبلها من جنسها حذفت الضمة والكسرة، وعندما حذفت اصبحت الياء ساكنة، ولما كان التنوين ساكناً – ايضا– وقع الحذف منعا لالتقاء

---

(1) الكتاب، ج2،ص 288. وشرح المفصل، ج9، ص67.

الساكنين، وفي هذه الحالة عامل علماء العربية التنوين معاملة الصوت الساكن، لأن التنوين نون ساكنة تثبت لفظا، ولا يختلف لفظها عن نون البنية [1].

لتقريب منهجهم في هذا الحذف نجد انه عندما كان الوقف يؤدي إلى ذهاب حركة (الياء) سيؤدي ذلك إلى التقاء ساكنين هما (التنوين والياء) فوقع الحذف على (الياء) منعا لالتقاء الساكنين وفي الكتابة الصوتية يكون الحذف على الوجه الاتي:-

قاضي (في حالة الرفع) :-

/ ق -/ض -/ي - ن/ /ق -/ض - ي/ن/ق -/ض - ن/ .

أما في حالة الجر (قاضي) فيكون على الوجه الاتي :-

/ق -/ض -/ي - ن/ /ق -/ض - ي/ن/ق -/ض - ن/ .

اما في حالة النصب فالياء تظهر نحو (رأيت قاضيا) .

فالحذف انما وقع لجانب دلالي، يؤدي فيه التنكير والتعريف اثرا بالغا في اثبات (الياء) من عدمها . اما حذفها بسبب الاستثقال النطقي لاجتماع ياء وكسرة ففيه نظر، لأن الياء التي قبلها كسرة تصبح مدية، وهي في النطق صوت مدي، لاتحاد الكسرة مع الياء والذي حدث ان الناطق حذف ياء المد استثقالا لها .

ومن الحذف – ايضا– الذي ذكره العلماء العرب وعدوه حذفا من اجل الوقوف . قول العرب : (علام، وفيم، وحتام)، والأصل (علاما، وفيما، وحتاما)[2].

ويبدو أن ما ذهب اليه القدماء من ان هناك حذفا في الامثلة اعلاه مذهب غير دقيق، وقائم على نظرتهم إلى ان الحركة جزء من الالف، وان الفتحة بعض الالف، لذلك يشترطون وجود فتحة لا بد منها قبل الالف[3].

فاذا كان هناك حذف وبقاء الفتحة، انما هو في حقيقته دليل على المحذوف يمكن ان يقبل من جانب ان (الالف) قد وقع فيها تقصير فرجعت إلى أصلها وهو الفتحة، لان الالف حركة مشبعة او فتحة مشبعة كما يقولون..، وبالوصف الحديث هو تقصير الصائت الطويل (الالف) إلى صائت قصير (الفتحة).وهذا ما ينسجم مع نطق اللغات الجزرية التي يغلب عليها تقصير الحركات الممدودة التي تكون في نهاية كلامها[4].كما يظهر في الكتابة الصوتية الاتية:

/ ف - / م - / / ف - / م - /

---

[1] شرح المفصل، ج9، ص67.

[2] الكتاب، ج2، ص279. الاصول، ج2، ص381-383.

[3] الكتاب، ج2، ص286.

[4] التطور النحوي، ص66-67.

غير أنذلك سيؤدي إلى الانتهاء بـ(حركة) وهو خلاف ما يذهب اليه القدماء من ان الوقف يجعل الصوت ساكنا، وكأن الناطق يقف على صمت، وليس على حركة قصيرة، لذلك ذهب العلماء إلى انه يأتي في بعض الاحيان الحاق (الهاء) عند الوقف على الامثلة المتقدمة فيقال : (علامه، وحتامه، وفيمه) والقصد منها لبيان الحركة القصيرة[1].

ويبدو لي أن (الهاء) انما هو النفس المتبقي من بقايا الالف المحذوفة وكأن الالف قد انشطرت إلى نصفين، نصف بقي على حاله، والنصف الآخر على شكل نفس ممدود يخيل للسامع انه هاء . فضلاً علىذلك إذا كان الوقف المقصود منه قطع الحركة، او سكون الصوت فأن الألف التي تنتهي بها هذه الالفاظ ساكنة بحسب نظرة القدماء لها، والوقوف على الساكن هو مطلبهم .

معنى ذلك ان الوقف في مثل هذه الحالة انما هو نوع من انواع تقصير المد الطويل إلى صوت مد قصير، وليس له علاقة بالوقف، وانما هو نطق لهجي عند بعض القبائل العربية .

ثالثا : الزيادة :-

وهذه الحالة تتعلق بالحالة المتقدمة وذلك لمجيء (هاء السكت) في نهاية الكلمة التي يراد الوقوف عليها من نحو : (مسلمونه) في (مسلمون) . و(ضاربانه) في (ضاربان)[2].

والعلة في هذه الاضافة بحسب قول القدماء ان العرب (كان من كلامهم ان يبينوا حركة ما كان قبله متحركا ما لم يحذف من اخره شيء، لأن ما قبله ساكن، فكرهوا ان يسكن ما قبله، وذلك اخلال به)[3].

فاذا سلمنا جدلا ان زيادة هنا قد وقعت من اجل تبين الحركة، ولا يمكن ابقاء النون ساكنة، لأن ما قبلها ساكنا فيلتقي ساكنان، فجاءت (الهاء) لبيان الحركة المحذوفة، فكيف يستقيم هذا مع قولهم : (هذا ما يبينون حركته وما قبله متحرك فمن ذلك الياء التي تكون علامة المضمر المجرور او تكون علامة المضمر المنصوب وذلك قولك : هذا غلاميه، وجاء من بعديه، وأنه ضربنيه)[4].

فضلاً علىقولهم : (علامه، وحتامه، وكيفه، ولعله) .فقد جاءت (الهاء) وما قبلها متحركا .

([1]) النكت، ج2، ص1098.

([2]) الكتاب، ج2، ص278.

([3]) المصدر نفسه، ج2، ص278.

([4]) المصدر نفسه، ج2، ص279.

ويبدو لي أن (الهاء) جاءت لتمنع التقاء الساكنين، ولكن ليس معنى ذلك حذف حركة النون، وانما يحاول المتكلم ان يخفت في نطق (الحركة) حتى يجعل منها نفسا يحسّ السامع بها وكانه نفس مسموع .

ومن الزيادة – ايضا– في حالة الوقف التي ذكرها العلماء العرب زيادة (السين) وعدوه من الزيادة النادرة، ونسبوه إلى اناس من العرب، وذلك بالحاق الكاف سينا ليبينوا كسرة المؤنث، والعلة في الحاق (السين) من بين سائر أصوات العربية الاخرى، لأن (السين) من أصوات الزيادة عندهم كما في (استفعل) لذلك وقع الاختيار عليها فيقولون : (أعطيتكس، واكرمكس)، هذا في الوقف، اما في حالة وصل الكلام فتحذف (السين)، لأن الكسرة سوف تبين وتظهر[1].

فالزيادة هنا زيادة دلالية، يدخل فيها الجانب الدلالي وهو للتفريق بين المذكر والمؤنث، غير أنعلة اختيار (السين) من بين سائر أصوات العربية غير مقنعة، بأنها من (حروف الزيادة) . فحروف الزيادة كثيرة، فلماذا وقع الاختيار على السين ؟ !

وكل ما في الامر انه نطق لهجي، والناطق يبحث عن الوسائل التي يريد من خلالها ان يعرب عما في نفسه، فيختار من الأصوات ما يلائم اغراضه ومعانيه، ولا دخل لأصوات الزيادة في اختياره اما قولهم لبيان الحركة، فليس بالرأي السديد، لأن خطاب المؤنث واضح، والحركة واضحة في نطقها، ولا يضر في الوقف ان يأتي الناطق بكسر الكاف، وتبقى الكاف مكسورة في الوقف للفرق بينها وبين خطاب المذكر، وهو افضل من اجتلاب صوت بكامله من اجل حذف حركة قصيرة . فتبقى المسألة نطق لهجي لبعض من العرب .

رابعا : الإبدال :–

قد تلجأ العربية عند الوقف على آخر الكلمة إلى إبدال الصوت الاخير من الكلمة المراد الوقوف عليها بصوت اخر، اما لاسباب صوتية، او لأسباب دلالية، وقد ذكر علماء العربية مظاهر الإبدال في الوقف، وعللوا اسباب الوقف في مثل هذه الحالة، ومن اشهر مظاهر الإبدال بسبب الوقف، هو إبدال الالف من المنصوب المنون من نحو : (رأيت زيدا) . نقول : (رأيت زيدا)، فيحذف التنوين ويقف المتكلم على (الالف)، والعلة في ذلك كما يذهب علماء العربية هو كراهية ان يكون التنوين بمنزلة النون اللازمة للصوت فوقفوا على الالف لكي يفرقوا بين التنوين والنون[2].

---

[1] الكتاب، ج2، ص292.

[2] شرح الشافية، ج2، ص279.

فالعلة في الإبدال عندهم هي التماس الخفة، واختيار الالف، لأنها غير ثقيلة، بل ان نطق الكلمة مع الالف يكون خفيفا، والخفة مطلوبة في الوقف[1].

ويبدو لي أن العلة التي جاء بها العلماء العرب لتسويغ هذا الإبدال يكتنفها الوهن والقصور، لأن ارادة التفريق بين التنوين والنون الأصلية غير سليم، لأن التفريق حاصل من الناحية النطقية، على الرغم من ان التنوين في حقيقته الصوتية نون لا يختلف عن نون بنية الكلمة، غير أنالناطق بسليقته وادراكه اللغوي قادر على ان يميز النطقين، واذا اراد الوقف، فلا يمنعه من ان يقف على السكون حتى على الاسم المنصوب المنون، والسياق هو الذي يفرق بين معاني الالفاظ، بدليل ان هناك من العرب من يقف على المنصوب المنون بالسكون فيقول في (رأيت زيدا، رأيت زيد)، ونسبها العلماء العرب إلى ربيعة[2].

وبذلك يمكن ان نساوي بين الوقف على المنون المنصوب والمجرور والمرفوع عن طريق حذف الحركة والتنوين، فنقول : هذا زيد، رأيت زيد، مررت بزيد.

وسياق الكلام هو المعتمد في تمييز المعاني، وبذلك يكون الوقف في الاحوال الثلاثة على مقطع مغلق غير مفتوح، في حين إذا وقف على المنصوب المنون بالالف، فيكون الوقف على مقطع مفتوح . وبذلك يقع نوع من التناقض بينه وبين عدم الوقوف على المتحرك الذي لا يجيزه النظام المقطعي للعربية، بوصف الالف حركة طويلة، وما ظاهرة الوقف الا لتجنب الوقوف على المتحرك وعلى الرغم من مجيء الفاظ يمكن الوقوف عليها وهي تنتهي بمقطع مفتوح من نحو : (يرمي، ويخشى) فان الاستعمال اللغوي والذوق النطقي العام يجيز ذلك، لأنه يشكل عنصرا اساسيا من مقومات الكلمة فاذا فقدته فقدت الكلمة معالمها[3].

ومن الإبدال في حالة الوقف، إبدال (تاء التأنيث) في الاسم المفرد (هاء) عند الوقوف عليها من نحو : (طلحة، وتمرة) فيوقف على هذه الالفاظ وامثالها على (الهاء) في حالة الرفع والنصب والخفض . وتصبح (تاء) في حالة الوصل[4].

والعلة في ذلك عندهم هي للتفرقة بين هذه (التاء)، و(التاء) التي هي من نفس الصوت من نحو : تاء (القت)[5].

---

[1] شرح الشافية، ج2، ص279.

[2] ارتشاف الضرب، ج1، ص392.

[3] من اسرار اللغة، 228.

[4] الكتاب، ج2، ص295. والاصول، ج2، ص373..

[5] الكتاب، ج2، 281.

ويبدو لي أن الوقف ليس على (الهاء) او بإبدال التاء (هاء) كما يذهب القدماء، وانما هو حذف (التاء)، والنطق بالفتحة التي قبلها، وامتد النفس معها حتى سمعت (هاء)، وهذه نظير قولهم (علامه) في (علام) بزيادة (هاء السكت)، وما هي الا امتداد النفس بالفتحة التي على الميم، فلا يوجد مانع من الوقوف على (التاء)، ويقال (طلحت) بدليل ان هناك من العرب من يقول في الوقف (طلحت)[1] .

لذلك الوقوف على (الهاء) في مثل هذه الالفاظ ليس إبدالا على الرغم من اتحاد (الهاء والتاء) في الصفة وهي (الهمس)، وانما هو حذف (التاء) . ومدت الحركة القصيرة (الفتحة) حتى يسمع معها النفس، وهو ما ظنه القدماء (هاء) وهي كذلك لأن (الهاء) نفس . ومن الإبدال لغرض الوقف : الإبدال الواقع في (الهمزة) . فعندما يوقف على بعض الكلمات المنتهية بالالف تبدل (الهمزة) من جنس الحركة التي قبلها نحو : (الكلأ – الكلا، حبلأ – حبلى) .

والعلة في ذلك عندهم لقرب الالف من الهمزة . لأن الناطق بالالف سيصير إلى موضع الهمزة . لذلك اراد الناطق ان يجعلها همزة واحدة، لأنه اخف عليه[2].

وقد اصاب العلماء العرب في ان الالف ينتهي إلى موضع الهمزة، لأن أصوات المد عند انتهاء النطق بها تنتهي بالهمزة، او بالغلق الحنجري، لأن ابتداء النطق بالمصوت يتطلب توترا قويا في الحبال الصوتية لدرجة ان الانفتاح المفاجئ للأوتار الصوتية يصدر همزة ابتداء، ثم تستعيد الاوتار وضعها بأن تغلق الحنجرة، وهو وضع استعداد للهمزة من حيث كانت نهاية النطق عند مخرج الهمزة[3].

وبذلك يكون الوقف في هذه الحالة لقفل المقطع المفتوح بالانغلاق الحنجري (الهمزة)، وهو مطلب من مطالب الوقف.

وقد ذكر العلماء العرب ان بني تميم وبني اسد يجعلون مكان كاف الخطاب للمؤنث (شينا) من نحو : (إنش ذاهبة، وما لش ذاهبة)، ويريدون (إنك ذاهبة، ومالك ذاهبة) .

والعلة في ذلك لأنهم ارادوا البيان في الوقف، لأنها ساكنة في حالة الوقف، فجاءت (الشين) لتفصل بين المؤنث والمذكر، وهذا الإبدال له ما يسوغه في نظرهم، لأن الشين مهموسة، والكاف مهموسة[4].

---

[1] الكتاب، ج2، ص281.

[2] المصدر نفسه ، ج2، ص285. المقتضب، ج1، ص 402.

[3] التفكير الصوتي عند العرب، ص62 . (هامش 4) .

[4] فقه اللغة واسرار العربية، ص73 . الصاحبي، ص35.

ويسمى هذا الإبدال (الكشكشة) وهو نطق بعض القبائل العربية وقد نسب إلى بكر بن وائل إلى جانب تميم واسد[1].

ويبدو لي أن هذا الإبدال لا يتعلق بالوقف، وانما هو إبدال صوتي نطقت به بعض القبائل العربية، ولا دخل لظاهرة الوقف في ذلك، والدليل على ذلك انه ياتي في درج الكلام، إذ انهم انشدوا لمجنون ليلى قوله[2] :-

فعينـــاش عيناهـــا وجيـــدش جيـــدها ســـوى ان عظـــم الســـاق مـــنش دقيـــق

ولا اظن ان المجنون قد وقف على هذه الالفاظ جميعا، وكأنه يقطع في شعره، وكل ما في الامر انه نطق لهجي وإبدال لغوي ولا بأس ان يكون مشروطا بكاف الخطاب للمؤنث، وله ما يسوغه صوتيا إذا ما علمنا ان الأصوات تتقدم من اقصى الحنك إلى وسط الحنك، بسبب وجود صوت لين امامي بعدها وهو الكسرة، فيسبب هذا الصوت جذبها إلى وسط الحنك[3].

وعن طريق هذا الجذب يمكن ان تعلل هذه الظاهرة صوتيا، والا فأنه ليس هناك قرابة مخرجية بين الشين والكاف، مع امكان التسليم بالقرابة من ناحية الصفة وهي (الهمس) .

ولعل العلماء العرب كانوا يقصدون صوتا بين (الكاف والشين) . وهذا ما صرح به ابن دريد بأن الذي كانت لغته (الكشكشة) يضطر إلى نطق الالفاظ من امثال (جيدك، وغلامك) يقول : (جيدش وغلامش) . بين الجيم والشين . لأنه لم يتهيأ له ان يفرده[4].

وهذا الصوت في الوصف الحديث هو (تش) . فلعل العلماء العرب سمعوا هذا الصوت وتصوروه (شينا) . فكتبوه بالشين لعدم وجود رمز خاص له في الخط العربي[5].

خامسا : النقل :-

ذكر علماء العربية ان بعض القبائل تلجأ في الوقف إلى نقل حركة الصوت الاخير إلى ما قبله منعا لالتقاء الساكنين . ويتم ذلك في حالتي الرفع والخفض . فيقولون : (هذا بُكرْ) في (هذا بكر)[6].

---

[1] المزهر، ج1، ص221.

[2] الديوان، ص29 . والصاحبي، ص35.

[3] في اللهجات العربية، ص124.

[4] الجمهرة، ج1، ص6.

[5] فصول في فقه اللغة، ص126.

[6] الكتاب، ج2، ص284.

وكذلك الساكن الذي يحرك في الوقف إذا كان بعده (هاء) المذكر المضمر، من نحو قولهم : (اضربه، وقده، وعنه)[1].

فعلة القدماء ان الوقوف يكون على الساكن، وعندما يصدف ان يسبق الساكن بساكن اخر، يكون من الصعوبة النطق بالساكنين في آخر الكلمة مما يضطر الناطق إلى التخلص من التقاء الساكنين، وذلك بتحريك الساكن الاول بحركة تنسجم مع ما يجاورها من الحركات.

ويبدو لي أن الحركة الاخيرة قد حذفت ولم تنقل إلى الساكن الذي قبلها . وقد حرك الساكن الذي قبلها بحركة من جنس الحركة المحذوفة . فضلاً علىذلك ان اللغة يمكن ان تقف على اواخر هذه الالفاظ، لا سيما من نحو : (عنه، وقده) . لأنها تنتهي بالضمة، فيمد الصوت حتى تصبح كانها (واو) مدية، ولما كانت الواو ساكنة على منهج القدماء، فيكون الوقوف ضمنيا على الساكن فيقال : (عنهو، وقدهو) من ناحية النطق، بدليل ان هناك من العرب من ينطق (بهو، ولديهو، وعليهو) في (به، ولديه، وعليه)[2] فالذي ينطق بهذا النطق . – وهم اهل الحجاز – بقادر ان ينطبق ذلك النطق، لا سيما ان العلماء العرب لم يحددوا القبائل التي تتخذ النقل مظهرا من مظاهر الوقف .

سادسا : التضعيف :–

ذهب علماء العربية إلى ان الوقف يكون بتشديد الصوت الاخير من الكلمة، وهي احدى اربع حالات للوقف في آخر الكلمات المتحركة في الوصل التي لا تلحقها الزيادة في الوقف إلى جانب السكون، والروم، والاشمام، فيقولون : (خالد، وجدب، واخصب) في (خالد، وجدب، واخصب)، والعلة في ذلك لأن التضعيف هنا جاء للتوكيد، لأن الناطقين بهذه الطريقة ارادوا ان ياتوا بصوت لا يكون الذي بعده الا متحركا، لأنه لا يلتقي ساكنان، فضلاً علىالمبالغة في التوكيد[3].

ويبدو لي أن النطق بتضعيف الصوت في حالة الوقف هو اشبه بالقلقلة البطيئة للصوت الموقوف عليه، وكأنه لغرض ابلاغي سمعي، وهو نطق ينسجم مع طبيعة الناطقين به، عندما يريدون التأني في النطق، لأعطاء كل صوت حقه النطقي، فلا يسرعون في اواخر الكلمات الموقوف عليها، ولا يتعجلون نهاياتها، ويشيع ذلك في القبائل التي تنتظر في كلامها[4].

---

[1] الكتاب، ج2، ص287.

[2] المصدر نفسه، ج2، ص294.

[3] المصدر نفسه، ج2، ص282.

[4] من اسرار اللغة، ص223–224.

ولا يبعد ذلك ان يكون حالة نفسية تنتاب الناطق بهذه الطريقة، وليس ظاهرة عامة، او حالة من حالات النطق، وكأن الناطق يضغط في نهاية اللفظ، لأنه يريد ان يؤكد شيئا معينا يريد ان يبلغه للسامع، بدليل قول العلماء العرب، ان التضعيف انما هو للتشديد في التوكيد، بل هو مبالغة في التشديد، وقد ينطلق نفس المتكلم بعد ذلك على شكل (هاء)، لذلك نجد بعض العرب يلحق (الهاء) بالتضعيف فيقول : في (ابيض – ابيضة)[1].

سابعا : الروم :-

وهو كما عرفه العلماء العرب : (صوت ضعيف ناقص فكأنك تروم ذاك ولاتتمه)[2].

أي ان الحركة تكون على شكل صويت خفيف جدا، ولا يدرك الا بالاصغاء التام له، ويكون ذلك في حالات الرفع والنصب والخفض من نحو : (هذا احمد، ورأيت الحارث، ومررت بخالد)[3].

ويفهم من ذلك ان الوقف لم يكن بالسكون، أي بحذف الحركة، وانما تضعيف الحركة إلى اقصى حد ممكن من دون اختفائها تماما من الاذن، بحيث يشعر بها الاعمى والبصير، لأنها تتعلق بالنظر إلى الحركة وسماعها، على عكس الاشمام الذي يشعر به البصير فقط .

فاذا كان الروم عند النحويين يشمل الحالات الثلاث، فان علماء التجويد قد استبعدوا حالة النصب، وهي الفتحة، وذلك لخفتها[4] .

ويبدو لي أن ما ذهب اليه علماء التجويد من ان الخفة هي السبب في استبعاد حالة النصب، مذهب ليس بالدقيق، لأن الوقف هو ظاهرة من طواهر الخفة في النطق، وذلك لأن المتكلم يستريح عندما يقف على الساكن، فما المانع من روم حركة المنصوب (الفتحة) ؟ ولعل مقصدهم ان (الفتحة) حركة خفيفة على النطق، فاذا اضعفها الناطق بالروم، ربما ستختفي من النطق، ولا يشعر بها السامع .

ومهما يكن من امر فان تعريف الروم : بأنه صويت ضعيف، معنى ذلك انه يوقف على حركة قصيرة او ضعيفة، وهذا يتنافى مع مفهوم الوقف عند علماء العربية، ويمكن عده حالة من حالات نطق الحركات العربية، تختلف عن نطق الحركات الثلاث الأصلية .

---

[1] الاصول، ج2، ص373.

[2] الاصول، ج2، ص372. شرح المفصل، ج9، ص67.

[3] الكتاب، ج2، ص282–283. المقتضب، ج2، ص405.

[4] الكشف، ج1، ص122. والاتقان في علوم القرآن، ج1، ص248–250.

ثامنا : الاشمام :-

الاشمام عند علماء العربية هو : (ان تضع لسانك في أي موضع شئت ثم تضم شفتيك، واشمامك للرفع، انما هو للرؤية، وليس بصوت يسمع، فاذا قلت : (هذا معن) فأشممت كانت عند الاعمى بمنزلتها إذا لم تشم، وانما هو ان تضم شفتيك بغير تصويت)[1].

وقد خص علماء العربية الاشمام بالرفع او الضم، فيكون الوقف بالاسكان ولكن يصحبه ضم الشفتين كما لو كانتا في وضع نطق الضمة من دون ان يكون هناك أي نوع من التصويت الذي يشعر بالاشمام، لأن الاشمام عندهم للرؤية فقط، في حين الروم يكون للرؤية والسمع[2] .

ويبدو لي أن الاشمام ليس له علاقة صوتية بظاهرة الوقف، لأن الأصوات تتعلق بالسمع، وبما انه ليس بصوت مسموع، فليس الاشمام حالة صوتية، وانما هي حالة من حالات الشفتين عندما تتخذ شكلا لنطق الحركة من دون حدوث النطق بالحركة، فضلاً علىان اشتراط الاشمام بالوقف غير ملزم، لأن الاشمام يقع في درج الكلام، لا سيما في حالات فعل الامر والمضارع للمخاطبة من نحو : (أغزي) فيشمون الزاي، ليعلموا ان هذه الزاي أصلها الضم، وكذلك قولهم (تغزين)، فالاشمام يلزمها لأنه ليس في كلام العرب ان تقلب الواو في بناء (يفعل) إلى ياء في (تفعل) واخواتها، ومثله الاشمام في (رد، وقيل)، فلاشمام ملزم مع الضمة[3].

ومعنى ذلك ان الاشمام يمكن ان يكون صوتا يسمع ويلفظ به من نحو ما مر ذكره من امثلة، وهذا لا يتفق مع منهجهم في عد الاشمام من حالات الوقف وتعريفه بانه ليس بنطق للصوت، وانما ان يخلص سكون الصوت، ثم تؤمن الشفتان إلى حركته، لتدل عليها من غير صوت، ولا يعرف ذلك الاعمى[4].

فما فائدة الصوت إذا لم يدركه الاعمى ؟ وكل ما في الامر ان الاشمام حالة نطقية يختفي الصوت بها، ويبقى اثر ذلك الصوت باتخاذ اعضاء النطق ذلك الوضع الذي تتخذه عند النطق بالصوت، ولا يشترط ذلك بالوقف، وانما في درج الكلام، لا سيما في تلك الحالات التي يصاغ منها الفعل الثلاثي الاجوف عند بنائه للمجهول . وفي حالة فعل الامر للمخاطبة من الفعل الناقص، والمضارع للمخاطبة، وعلى الرغم من ان ظاهرة (الروم والاشمام) لم تكن من السعة والشيوع بحيث يمكن عدهما من الظواهر البارزة في اللغة العربية، فان ذلك لا يعني انهما ليستا

---

[1] الاصول، ج3، ص372. سر الصناعة، ج1، ص53.

[2] النكت، ج2، ص1102.

[3] الكتاب، ج2، ص400.

[4] التحديد، ص98.

من طرائق العرب في الوقف كما يذهب إلى ذلك بعض المحدثين[1]. لأن الظاهرة الصوتية لا تحكمها القلة والكثرة، وانما تحكمها حالة الناطقين بها، واستعمالها الصوتي، غير أنامكان ان نلمح نوعا من التناقض بين الوقوف على المتحرك في حالة (الروم) . بوصفه حركة خفيفة، والوقف يكون على السكون، وهذا الملمح يكون – ايضا– في الاشمام بوصفه ليس صوتا ينطق، وانما هو حالة نطقية، لأعضاء جهاز النطق . قد جعل عمل علماء العربية يصاب بعدم الادراك الواسع لمرامي الظاهرة، وابعادها النطقية، حتى ان الكوفيين يرون ان الاشمام هو صوت يسمع. والروم هو الذي لا يسمع . أي ينسبون تعريف الاشمام للروم، وتعريف الروم للاشمام[2] .

مما يعني اضطراب العلماء في ادراك خصائصها النطقية، التي لم نجد إلى اليوم من متكلمي العربية الفصحى من يحرص على نطق الروم والاشمام في وقفه الا عند نفر قليل من القراء الذين تمسكوا بالرواية[3] .

---

[1] من اسرار اللغة، ص223. والمحيط في أصوات العربية، ج1، ص64. (هامش (1)) .

[2] شرح المفصل، ج9 ، ص68.

[3] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص512.

ثالثا : الإمالة

ظاهرة من ظواهر اللغة العربية قيدها العلماء العرب بتعريفاتهم وحدودهم وامثلتهم التطبيقية ليسندوا تنظيرهم لهذه الظاهرة الصوتية . إذ اشار سيبويه الى انها : أمالة الالف نحو الياء، والفتحة نحو الكسرة [1] وقد تابعه العلماء العرب في تعريفه هذا [2].

وقد اوضح سيبويه تعريفه للامالة بأنه تقريب الالف من الياء والفتحة من الكسرة، والسبب في ذلك، لان الفتحة عنده من الالف، وشبه الفتحة من الكسرة كشبه الالف بالياء، وكل هذه العملية التقريبية القصد منها التماس الخفة في النطق [3].

وقد زاد ابن يعيش (ت643هـ) في توضيح مراد سيبويه، بان اللسان سوف تتجاذ به عمليتان هما : عمليه الصعود الى الاعلى وذلك في حالة الالف، وعملية النزول الى الاسفل في حالة الياء والكسرة، فحاول الناطقون بهذه الطريقة ان يوحدوا عملية النطق، وذلك بجعل اللسان يستقر على عملية واحدة، فلجأوا الى امالة الالف نحو الياء والفتحة نحو الكسرة [4].

فحدّ الإمالة – اذن – عند ابن يعيش هو : (عدول من الالف عن استوائه وجنوح به الى الياء فيصير مخرجه بين مخرج الالف المفخمة وبين مخرج الياء) [5].

وهي كذلك عند علماء التجويد، إذ ذهب مكي بن ابي طالب الى ان الإمالة هي تقريب الالف نحو الياء، والفتحة التي قبلها نحو الكسرة [6].

وتابعه ابن الجزري (ت 833 هـ) في ذلك، فالإمالة عنده ان تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالالف نحو الياء، وسماها الإمالة المحضة، وهناك من يسمها بحسب قوله الاضجاع، ويقال له البطح، وربما قيل له الكسر [7] .

ولقد كان لعلماء التجويد تقسيماً دقيقاً للامالة، إذ انهم قسموها الى قسمين :

1– امالة شديدة : وهي الخالية من القلب الخالص والاشباع المبالغ، وهي التي تسمى الشديدة او المحضة او الاضجاع والبطح والكسر .

---

[1] الكتاب : ، ج2 ، ص259 .

[2] المقتضب :ج 3،ص 42، الاصول :ج 3، ص160 .

[3] الكتاب: ج2 ،ص 270 .

[4] شرح الفصل ،ج 5 ، ص55.

[5] المصدر نفسه ، ج 5 ، ص55.

[6] الكشف ، ج1 ، ص168.

[7] النشر : ج2، ص30.

2- امالة متوسطة :- وهي بين الفتح المتوسط والإمالة الشديدة، وهي التي تسمى بين اللفظين والتلطيف والتقليل [1].

وهناك من يسمى الإمالة الشديدة (الإمالة الكبرى)، والإمالة المتوسطة (الإمالة الصغرى) [2].

لذلك ان الإمالة المتوسطة هي الاتيان بالصوت بين الفتح المتوسط والإمالة الشديدة، اما الإمالة الشديدة، فهي تقريب الفتحة من الكسرة والالف من الياء من غير قلب خالص، ولا اشباع مبالغ فيه[3].

ومهما يكلف من أمر فان ظواهر الإمالة في العربية او حالاتها، قد حددها العلماء العرب في المظاهر الاتية[4] .

1- إمالة بسبب الياء :نحو : شيبان وغيلان

2- إمالة من اجل الكسرة، نحو سربال وعابد

3- الممال المنقلب عن ياء، لان أصله ياء، نحو : ناب ومال : وما جاوز من الاسماء اربعة أصوات وأصله واو، ويضاف اليه كل الف زائدة للتأنيث، لانها تقلب ياء في التثنية مثل حبلى.

4- الممال الشبيه بالمنقلب عن ياء، سواء كانت الياء فيه أصليه فتمال الفه، لانها اما ياء أو بدل من ياء، او الأصل فيه الواو فشبهوه بالياء لغلبة الياء على اللام، إذا جاوزت ثلاثة أصوات .

5- الممال من اجل الصوت الذي قبل الالف قد يكسر، من نحو (فَعَلتُ) من (خاف، وطاب، وهاب) فيقول : (خفتُ، وطِبتُ، وهِبْتُ)

6- الممال لاجل الإمالة نحو : رايتُ عماداً .

ان العلماء العرب في ايرادهم لهذه الظاهرة، قد ذكروا ان جميع ما يمال في هذه المظاهر ليس معناه شرطاً اساسياً يجب التقييد به، لان هناك من العرب من لايميل في هذه الاحوال المذكورة اعلاه . وهذا ما صرّح به سيبويه بقوله بأن : (جميع ما يمال ترك امالته جائز وليس كل من امال شيئاً وافق الآخر فيه من العرب، فاذا رأيت عربياً قد امال وامتنع منه الآخر فلا ترين انه غلط) [5].

---

[1] النشر، ج2، ص30

[2] اتحاف فضلاء البشر : ج1، ص47.

[3] النشر : ج2،ص30، ابراز المعاني، ص151.

[4] الكتاب ج2،ص259-164 ؛ المقتضب ج3، ص42.

[5] المصدر نفسه : ج2،ص271.

ويبدو لي أن قولهم هذا جاء لتسويغ قصور منهجهم في ضبط ظاهرة الامالة، لان الإمالة غير مشروطة بسياقات محددة يجب على الناطق التقييد بها، وما ذكروه من مظاهر، انما هو في حقيقته محاولة لحصر هذه الظاهرة وجمعها وفق مشاهدات وعينات للناطقين بها، لانها ظاهرة غير مستقرة في قبائل معينة، فبعض القبائل العربية تميل، وبعضها الآخر لايميل، والذي يميل لايميل في مواضع اخر، وهذا ما دفع سيبويه الى التنبيه على ذلك .

والذي يلاحظ على منهج علماء العربية انهم عدوا الإمالة فيما أصله (واو) من نحو : (خاف)، شبيه بالياء لغلبة الياء، لاسيما إذا جاوز ثلاثة أصوات، وعادوا الى التأكيد : أن الإمالة قد تترك فيما كان على ثلاثة أصوات من بنات الواو مثل : (قفا وعصا)[1].

ويظهر لي ان العلماء العرب لم يوفقوا في تعليلهم هذا، إذ انهم ذكروا ان الإمالة تكون في كل شيء من بنات الياء والواو كانت عينه مفتوحة، وذلك لان بنات الياء تقع فيها الامالة، لان ألفه في موضع الياء، واما بنات الواو فتقع فيه الإمالة وذلك لغلبة الياء. فضلاً علىقولهم، ان الإمالة تكون في الفعل نحو (غزا ودعا)[2] . مما جعلهم يعللون ذلك تعليلاً غير مقنع بتفسيرهم الافعال الناقصة الواوية الى الركون الى صيغة المبني للمجهول نحو (غُزِيَ) أو إلى الصيغ المزيدة نحو (أغزى)، واسعفهم في ذلك وجود الياء في هذه الصيغ، فضلاً علىقولهم انه تجوز الإمالة في نحو (خاف) مع وجود (الخاء) وهي من الأصوات التي تمنع الامالة، ناهيك عن ان الالف منقلبة عن واو .

ان التكلف واضح في تعليل العلماء العرب لمثل هذه الحالات لأن من الصعب من الناحية الصوتية جواز الإمالة فيما أصله واو في مثل هذه الفعل، لان الإمالة في هذا الحالة تكون من الفتح الى الضم، وليس من الفتح الى الكسر كما يذهب الى ذلك علماء العربية . فليس من الغريب ان ينكر ذلك عالم منهم وهو (المبرد) إذ انه قال : (ما كان من ذوات الواو على ثلاثة احرف نحو دعا وغزا قبيحة، الا إذا كان هناك ما يسوغها لكسرة تسبق المد)[3] .

فضلاً علىذلك فانهم قد خلطوا بين مفهومهم للامالة الذي هو (ان تنحو بالالف نحو الياء) وبين التفخيم وهو (ان تنحو بالالف نحو الواو) . وتسمى بالالف المفخمة . وهو دخول صوت

---

[1] الكتاب : ج2،ص261، والاصول : ج3،ص162 .

[2] المصدر نفسه : ج2،ص260.

[3] المقتضب : ج3،ص43 .

الواو في الالف ومن ذلك وردت بعض الكلمات العربية التي كان حقها ان تكتب بالالف جاءت مكتوبة بالواو في المصحف الشريف من نحو (الصلوة، والزكوة)[1] .

لذلك استبعد المبرد ان يكون ما أصله واو إمالة، وانما هو تفخيم يصيب الالف .[2]

كما انهم لم يوفقوا في قولهم ان الإمالة تلازم الفعل الذي أصله واو من نحو (غزا) [3] لان ذلك يدخل في التفخيم، وان كان التفخيم هو حقيقته إمالة إلا أنهإمالة الالف نحو الواو، فضلاً علىذلك خلطهم بين امالة الالف نحو الياء، أو ما يسمى الإمالة الطويلة وبين إمالة الفتحة نحو الكسرة، أو ما يسمى (الإمالة القصيرة) . أو ما تسمى – أيضاً– (الفتحة الممالة) . وذلك بجعل ما يلي الفتحة بمنزلة ما يلي الألف، من ذلك تقول : (من عَمْرو) فتميل فتحة (العين) لأن الميم ساكنة .

فلم يفصلوا بين النوعين فصلاً تاماً ولعل اضطرابهم في ذلك كان بسبب ان الظاهرة أكبر من ان يرصدوها رصداً دقيقاً، فليس من الغريب ان يبعدوا الفعل (يحسِبُ) عن الإمالة لأن الياء عندهم وجميع أصوات المضارعة لا تقع فيها الامالة، فضلاً علىحديثهم عن الإمالة السماعية، لانها جاءت خلاف قواعدهم وشروطهم للامالة من نحو (الحَجَّاج)، لان الناس تميل هذا الاسم [4].

ومعاملتهم (الهاء) معاملة الألف في الإمالة من نحو : ضربتُ ضربة [5]. واشهر من كان يميل (الهاء) هو الكسائي (ت 189هـ) وعندما سئل عن ذلك، اجاب، أنها طباع العرب [6].

وهذا يدل على ان الإمالة أكبر مما عمله العلماء العرب ورصدوه فجاء اضطرابهم في ذلك لكبر حجم الظاهرة، مما اضطرهم الى رصد موانع للامالة، فوجدوا موانع تمنع الالف من الإمالة وهي [7].

1– الأصوات المستعلية وهي (الصاد، والضاد، والظاء، والغين، والقاف، والخاء).

---

[1] أصوات العربية بين التحول و الثبات، ص21، ورسم المصحف، ص329–388 .

[2] المقتضب : ج3،ص43 .

[3] الكتاب : ج2،ص 262

[4] المصدر نفسه : ج2، ص264

[5] المصدر نفسه : ج2،ص264

[6] في اللهجات العربية، ص61–63

[7] الكتاب : ج2، ص264–270 شرح المفصل ج5، ص55

والعلة في ذلك كما يقولون : لانها أصوات مستعلية الى الحنك الاعلى، والالف عندما تخرج من موضعها استفلت الى الحنك الاعلى، فلما كانت هذه الأصوات المستعلية غلبت عليها مثلما غلبت الكسرة عليها في نحو (مساجد) فعندما كانت الأصوات مستعلية وكانت الالف مستفلة، وقربت من الالف فالعمل من جه واحد اخف على الناطق [1].

وأصوات الاستعلاء تمنع إمالة الالف إذا وجد صوت منها قبل الالف والالف بعده مباشرة نحو : (قاعد وغائب)، أو بعد الالف مباشرة نحو : (ناقد وعاصم)، أو بعد الالف بصوت واحد نحو : (نافع)، او بصوتين نحو : (مناشيط) [2].

غير أنأصوات الاستعلاء لم تمنع الإمالة منعاً قطعياً، فقد تجوز الإمالة مع وجود هذه الأصوات كما إذا كان صوت منها قبل الالف بصوت وكان مكسوراً نحو : (الصعاب)، واذا كان أول الصوت مكسوراً وبين الكسرة والالف صوتان احدهما ساكن نحو : (المصباح)[3].

ويشكل على منهج علماء العربية ان الالف المنقلبة عن ياء تمال حتى لو وليها صوت مستعل أما لو تقدمها نحو (خاف) فيحدث روم الكسرة كما في (خفِتُ) لوجود احد أصوات الاستعلاء.

2- تمنع الإمالة في فاعل من المضاعف ومفاعيل . نحو : (جادّ) .

3- تمنع الإمالة في الأصوات التي جاءت لمعنى من نحو (حتى، وما، ولا) وذلك لانهم يقولون : لكي نفرق بينها وبين الاسماء فأمالوا (أنّى) لانها اسم، ولم يميلوا (لا) . كما لم يميلوا (ما) لانها لا تتمكن تمكن (ذا) [4].

وهي علة ضعيفة : لان الإمالة ليس من مهمتها التمييز بين المعاني وانما هي حالة نطقية، والمعنى ثابت . فما المانع من إمالة (حتى) مع انهم يميلون (أنَى) وامالوا (ذا) ولم يميلوا (ما) والإمالة حالة صوتية ؟. وكيف يستقيم ذلك مع امالتهم لأصوات المعجم بدعوى انها اسماء ما يلفظ فقالوا (باء، تاء)؟! .

فهل الاسماء هي التي تقع فيها الإمالة ولاتقع في غيرها ؟ فلماذا يميلون في الفعل، لاسيما من باب (غزا) ؟ .ولماذا يميلون صوت المعجم، وهي أصوات ودعوى انها اسماء ما يلفظ دعوى

---

[1] الكتاب : ج2، ص264

[2] المصدر نفسه : ج2،ص264

[3] المصدر نفسه : ج2،ص264

[4] المصدر نفسه : ج2،ص267

لايسندها الدليل المنطقي، بدليل إمالتهم (يازيد) لمكان الياء [1]. والياء صوت نداء – كما لا يخفى– .

3– الراء من موانع الإمالة . ولعل وصف الراء بانها مكرره وان تكرارها جعلهم ينطقون برائين، هي المسوغ لمنع الإمالة [2].وذلك إذا سبق الالف صوت (الراء) نحو : (راشد)، ومثله إذا وقع الصوت المستعلي بعد الراء . نحو :(هذه ناقة فارق) [3].

غير أن(الراء) : إذا بعدت من نحو : (الكافرون)، تقع الإمالة لانها ليست بقوة الصوت المستعلي، وهي قريبة من الياء [4].

وهنا وقع اضطراب في عمل العلماء العرب لوجود الإمالة فسوغوا ذلك بمسوغات نظرية لان قواعدهم قد خُرقت كما في قولهم : (رأيت عِفرا) : فقد إمالت العرب في ذلك فعلّلها العلماء العرب بأنها تشبه الف (حُبلى)[5]. فاذا كانت كذلك فما قولهم في نحو : (ذا فراش)، التي تقع فيها الإمالة ؟ فاعتلوا بان الكسرة كانت أولا والالف زائدة [6].

ان سعة ظاهرة الإمالة جعل منهج العلماء العرب يصاب بالاضطراب لاسيما في التفسير والتعليل لان موانع الإمالة التي ذكروها لم تكن سبباً كافياً للحّد من امتداد هذه الظاهرة لاسيما انهم لم يحددوا القبائل التي تميل مع وجود موانع الإمالة.

ولقد فاتهم ان الإمالة ظاهرة صوتيه فضلاً علمانها ظاهرة لهجية واللهجات في تطور مستمر، ومن الصعوبة ضبطها بقوانين تقيّدها . وان جهدهم في رصدها جهد كبير . غير أنمحاولتهم اخضاعها لقواعد تقيّد الناطقين بها فيها شيء من المجازفة التي تقود الى التعسف والتمحل في صياغة قواعدها، فليس كل ظاهرة صوتية تقيّد بقوانين فالظاهرة الصوتية اكبر من ان توضع بقوانين على غرار (قل ولا تقل) كما ان العلماء العرب قد بينوا ان الالف تشبه الياء لذلك تميل نحوها، مع ان مخرج الالف من الحلق كما وصفه سيبويه، وان كان بعضهم يقول عنه هوائي، في حين ان مخرج الياء من مقدم اللسان أو كما يقول سيبويه من وسط اللسان، فاين وجه الشبه في ذلك ؟ .

---

[1] المصدر نفسه : ج2، ص267

[2] البحث الصوتي عند ابن السراج، ص185

[3] الكتاب : ج2،ص264

[4] المصدر نفسه : ج2، ص265

[5] المصدر نفسه : ج2، ص267، ارتشاف الضرب، ص 244

[6] الكتاب : ج2، ص267

وكان الاحرى بالعلماء العرب ان يثبتوا الرأي نفسه في موانع الإمالة لاسيما الراء، فانهم يذهبون إلى أن تكرار الراء بمثابة رائين، وذلك يؤدي الى منع الامالة [1].

وكان الاجدر بهم ان يعللوا ذلك بان كسر الراء يمنع الناطق من ان يقوس طرف لسانه الى فوق كما في نطق الراء المكررة وبسبب ذلك يمكن تشبيه الراء بالجيم والياء، ولما كانت الكسرة من مخرج الياء، يفهم ان تسطيح الجزء المقدم المرفوع من اللسان سوف يؤدي الى الإمالة [2].

لقد كان منهج علماء العربية في الإمالة هو جنوح الالف نحو الياء، والالف عندهم صوت من الأصوات او ما يسمى في الوصف الحديث (صامت) في حين آن الالف ليس (صامتاً) وانما هو حركة طويلة، وعلى ذلك فالإمالة تحدث في الحركات وليس في الصوامت فضلاً علىذهابهم الى وجود (فتحة) قبل الالف الممالة [3]. ومن ثم فان الحركة تابعة للحرف، في حين ان الحركة مستقلة عن الحرف، وليس ان الالف هو عبارة عن صوتين هما (الفتحة والالف) . حتى ان بعضهم يعبر عن الإمالة بانها إمالة الفتحة نحو الكسرة ولايلتزم بالالف على اعتبار انه من المسلّمات ان الالف داخل في الامالة، لان التعبير باحدها يغني عن الآخر . مع انه بحسب قولهم يعطي جانباً واحداً من الامالة، وهو إمالة الفتحة نحو الكسرة غير ذاكر إمالة الالف نحو الياء [4].

وليس معنى ذلك انهم لم يفرقوا بين الياء والكسرة، والالف والفتحة عند حديثهم عن الإمالة كما يذهب بعض المحدثين [5].

وانما عباراتهم في موضوع الإمالة ينتابها الغموض ومنهجهم يسوده الاضطراب والتشتت وتعليلاتهم تتسّم بالتكلف، والتصّور الافتراضي، فليس من الغريب ان يصيب اقوالهم بعض الاضطراب المنهجي، فبعضهم يرى أن الإمالة هي ان ينحو بالالف نحو الياء، فليزم على ذلك ان ينحى بالفتحة قبلها نحو الكسرة [6].

في حين بعضهم الآخر يرى ان الإمالة هي : ان تنحى جوازاً بالالف نحو الياء [7].

---

[1] المصدر نفسه : ج2، ص264

[2] الأصوات عند سيبويه وعندنا، ص86

[3] الكتاب : ج2، ص270 والتكملة، ص527

[4] شرح الشافية ج3،ص24

[5] الامالة في القراءات واللهجات، ص76

[6] ارتشاف الضرب : ج1، ص238

[7] همع الهوامع : ج2، ص200

فالرأي الاول يلزم ان يُنحى بالفتحة نحو الكسرة قبل ان ينحى بالالف نحو الياء، وعلى ذلك فهو يذهب الى توافر الفتحة والالف معاً لحدوث الإمالة على اعتبار ان الحركة للالف، وهو مذهب غير سديد .

والرأي الثاني يرى ان الإمالة مجازية، وليس هناك ما يسمى مجازاً في الاصطلاح الصوتي، وانما هي حالة نطقية صوتيه .

ولعل من اكثر الادلة على عدم ضبط العلماء العرب ظاهرة الإمالة ادخالهم موضوع (الإمالة الشاذة)، وسوغوا ذلك بحّجة انه اكثر كلام العرب، وضربوا مثلاً لذلك وهو كلمة (الحَجَّاج) . إذا قصدوا فيه اسم رجل في حين إذا كان صفة لرجل، فلا تدخله الإمالة [1].

وبذلك الإمالة دخلت المجال الدلالي لتفريقها بين المعاني بل ذهب بعضهم الى انها في كلمة (الحَجَّاج) تدخله الإمالة إذا كان اسماً علماً للفرق بين المعرفة والنكرة والاسم والصفة[2].

والإمالة ما هي الا حالة صوتية غير تمييزية، ولا دخل لها في تفريق المعاني لان الصوت واحد في كلا الحالتين .

وقولهم ان الالف تمنع من الإمالة في أصوات الاستعلاء لانها إذا خرجت من موضعها استعلت الى الحنك الاعلى [3]. قول لايسنده الدليل الصوتي، لان الالف غير الممالة لايستعلي اللسان بها، بل يكون مستوياً في قاع الفم .

ولا ادري العلة في قولهم ان أصوات الاستعلاء إذا وقعت بعد الالف تمنع الامالة، في حين إذا وقعت قبلها فلا تمنع ذلك ؟ لان حجتهم بأن العرب تضع السنتهم في موضع المستعلي ثم ينحدرون بالسنتهم الى قاع الفم [4].

وهي حجّة غير دقيقة لان اللسان عندما يرتفع الى سقف الفم يتطلب جهداً، وانزاله يتطلب جهداً – ايضاً – فضلاً علىانه في حالة وجود الاستعلاء قبل الالف او بعده فالاستعلاء والتصعّد الى الاعلى حاصل في الحالتين فما المسوغ باشتراط ان تكون أصوات الاستعلاء بعد الالف حتى تمنع الإمالة ؟ لا سيما ان الحالتين قد وقعت فيها الإمالة [5].

---

[1] الكتاب : ج2، ص264 . المقتضب: ج3، ص42–53، شرح الشافية ج3، ص9

[2] شرح المفصل : ج9 ، ص63

[3] الكتاب : ج2،ص264

[4] المصدر نفسه : ج2، ص265

[5] المصدر نفسه : ج2،ص264 همع الهوامع ، ج2، ص200

لذلك عمل العلماء العرب كان قاصراً في ضبط حالات الإمالة وتقيدها بقوانين صارمة لايشذ عنها شيء فضلاً علىخلطهم بين عنصرين رئيسين في كلماتها، لاسيما تلك الكلمات التي اشتملت على أصل يائي ..

ونحن نجد العذر لهم في عدم تحديد هذه الظاهرة لانها حالة نطقية يصعب ضبط احوالها، لان اللغة ملك الناطقين بها، وليس ملكاً لقاعدة أو شرط.

لذلك الدرس الصوتي الحديث اخذ يردد ما قاله القدماء محاولاً ايجاد تفسير علمي لهذه الظاهرة التي عدها ضرباً من ضروب الانسجام الصوتي او المماثلة الصوتية . واخضعها لمقياس صوتي عالمي هو مقياس (دانيال جونز) الذي يتألف من ثمانية، مقاييس يبدأ بصوت اللين (i) وينتهي بصوت اللين (u) والذي يمكن توضيحه بالشكل الاتي :-

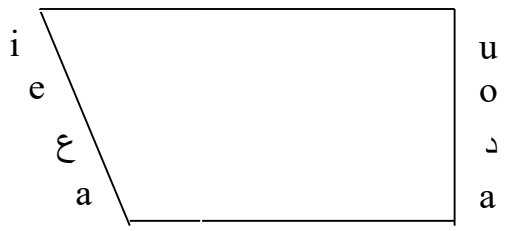

إذ إن(i) تمثل المقياس الاول . وهو اقصى ما يصل اليه اللسان باتجاه الحنك الاعلى من دون ان يصحب الهواء المار به أي حفيف ويمثل (a) المقياس الثاني وهو يرمز الى ان اقصى ما يمكن ان يصل اليه اللسان في اثناء هبوطه في الفم، بحيث يستوي في قاع الفم مع انحراف قليل في اقصى اللسان نحو اقصى الحنك .

ويمثل (u) المقياس الثالث ويرمز الى آخر ما يصل اليه اقصى اللسان في صعوده نحو اقصى الحنك فيكون الفراغ بينهما واسعاً فلا يسمح للهواء باحداث أي نوع من الحفيف .

وقد جاءت الإمالة كما وصفها العلماء العرب . تقع بين الفتح الذي يرمز اليه بالرمز (a) والكسرة الذي يرمز اليه بالرمز (i)، وعلى ذلك يكون الرمز الدولي للامالة الشديدة هو (e) وهي التي تقترب من الكسرة في حين الإمالة الخفيفة والتي تكون قريبة من الفتحة يكون رمزها الدولي (E) .

وهذا ينطبق على الفتحة الطويلة (الالف) والفتحة القصيرة (الحركة) [1].

---

[1] المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء، ص161-162، والامالة في القراءات واللهجات العربية،ص44

رابعا : **الإعلال**

يعد الإعلال من ابرز ظواهر اللغة العربية الى جانب ظاهرة الإدغام إذ انه يمثل محور دراسة الصرف العربي، وذلك بسبب التغيرات الجوهرية التي تطرأ على بنية الكلمة، بفعل أصوات محددة تكون في هذه البنية من حيث هي احد اصول الكلمة فتتعرض الى التغير اما بإبدالها او حذفها، وهذه الأصوات هي (الالف والواو والياء) .

ان العلماء العرب وهم يدرسون هذه الظاهرة لم يستقروا على تعريف محدد لموضوع (الإعلال)، وانما شغلتهم حالات الإعلال ومحاولة ايجاد التفسيرات لمجمل هذه التغيرات، لذلك جمعوه مع الإبدال الصرفي من نحو صيغة (افتعل) او الإبدال الذي يقع في أصوات الإبدال التي تحدثنا عنها في موضوع الإبدال فخلطوا بين الإعلال الذي يقع في أصوات العلة فقط وبين الإبدال الذي يقع في الأصوات الصحيحة والمعتلة، فنجد المبرد يحاول ان يستل موضوع الإعلال من ظاهرة الإبدال الواسعة بقوله : (فمن حروف البدل،حروف المد اللين المصوتة وهي الالف والواو والياء) [1].

وذهب ابن بعيش الى محاولة ايجاد تفسير لهذه الظاهرة يمكن من خلاله ان يستنبط تعريفاً مقبولاً نوعاً ما . إذ قال : (والعلّة تغير المعلول كما هو عليه، وسميت هذه الحروف حروف علة لكثرة تغيرها) [2].

غير اننا نجد بعضهم يضيف (الهمزة) الى الأصوات التي يقع فيها الإعلال وذلك لمقاربتها لأصوات العلة وكثرة تغيرها [3].

لذلك الاستقرار في تعريف الإعلال لم نجده الاعند الرضي الاستراباذي وبعض العلماء المتأخرين، إذ عرفه بقوله : (تغير حرف العلّة بالقلب او الحذف او الاسكان، والغرض من هذا التغيير التخفيف) [4].

ولما كان الإعلال ظاهرة عربية خالصة قد تناولها علماء العربية بالشرح والتوضيح فان علماء اللغة المحدثين قد تابعوا علماء العربية في تعريفهم للاعلال، إذ إنالإعلال في الدرس

---

[1] المقتضب : ج1، ص61

[2] شرح المفصل : ج10، ص54

[3] شرح الملوكي في التصريف، ص214

[4] شرح الشافية ج3، ص66-67، شذا العرف ، ص143

الصوتي الحديث : هو ظاهرة من ظواهر التبدل الصوتي تحدث في أصوات العلّة . وما يعرف عند علماء العربية (حروف العلّة) [1].

وهناك من علماء اللغة المحدثين من ذهب الى ان الإعلال يحدث في الصوائت الطويلة واشباهها او مايسميها (الطليقات) [2].

وهذا خلاف ما ذهب اليه الدرس الصوتي الحديث لان الصوائت ليست أصوات علّة، وانما أصوات العلّة هي ما تسمى (شبه الصائت)، او (شبه الصامت) لان لها القدرة في الانتقال من وضع الصائت الى وضع الصامت، وذلك بارتفاع اللسان فوق نقطة ولادة الصائت بحيث يؤدي الى حدوث احتكاك مسموع ويكون في موضع ولادة الكسرة والياء المدية فيؤدي الاحتكاك الى ولادة الياء غير المدية في نحو : (يبس، وليت)، فهذه الياء يطلق عليها (نصف صائت)، ويكون في موضع ولادة الضمة والواو المدية، فيؤدي الاحتكاك الى ولادة الواو غير المدية في نحو : (وَجَد، ولون)، والاحتكاك في هذين الصوتين يجعلهما (أنصاف صوامت) ولهما قيمة الصامت في البناء المقطعي للكلمة [3].

ومن نصف الصائت ينشأ (المزدوج) وهو تتابع صائت ونصف صائت في مقطع واحد، فاذا تقدم الصائت سمي المزدوج هابطاً نحو الفتحة والياء في (لَيْث) : /ل ـ ي / ت . /، واذا تاخر الصائت سمي المزدوج صاعداً من نحو : الياء والفتحة في (يَكْتبُ) / ي ـ ك / ت ـ / ب ـ / [4].

وللازدواج الحركي اثر كبير في ظاهرة الإعلال . لان الناطق يحاول ان يتخلص من هذا الازدواج الحركي في مقاطع الكلمة .

واشهر حالات الإعلال كما بينها علماء العربية تتمثل بما يلي [5]:-

اولاً. القلب :-

وهو : إبدال أصوات العلّة بعضها من بعض، او قلب احدهما من الآخر .وان اهم مظاهره هي :-

1- قلب (الياء والواو) الفاً إذا تحركا وانفتح ما قبلهما من نحو: قال، وباع، وغزا، ورمى .

---

[1] المدخل الى علم الأصوات، ص 173

[2] المحيط في أصوات العربية : ج1، ص105

[3] ابحاث في أصوات العربية، ص8

[4] المصدر نفسه، 8ص

[5] الكتاب : ج2،ص381، المقتضب : ج1،ص96 . المنصف : ج1،ص190

فقد ذهب العلماء العرب الى ان أصل هذه الافعال هو : (قَوَل، وبَيَعَ وغَزَوَ، ورَمَيَ)، فلما تحركت (الواو والياء) وانفتح ما قبلهما قلبتا الى الف، وهذه قاعدة مطردة في كل فعل تنطبق عليه هذه القاعدة [1].

وقد اكّد العلماء العرب تفسيرهم الافتراضي هذا بان ليس معنى ان أصل (قال) هو (قَوَل). وكذلك باقي الافعال الاخرى، وانما العرب كانوا ينطقون مدة من الزمن (قَوَلَ وبَيَع) ونحوهما ثم اضربوا عن ذلك فيما بعد ولو نطق بهذه الالفاظ على ما يوجبه القياس بالحمل على امثاله لكان (قَوَل، وبَيَعَ) ولولا ما لحقه من اعلال عارض لكان سبيله ان يأتي على غير هذه الهيئة المستعملة [2].

ويبدو لي أن الأصل المفترض يمكن ان ينطق به، فقد اثبتت الدراسات اللغوية التاريخية ان هناك لغة جزرية وهي لغة الحبشة تنطق الأصل المفترض فتقول : دَينَ في دان [3].

كما ان منهج العلماء العرب في تفسير هذه الظاهرة وتعليلها فيه نوع من الاضطراب والخلط، من وجهة الدرس الصوتي الحديث فليس ان الواو تحركت وانفتح ما قبلها قد قلبت ألفاً، وكذلك الياء، وانما بسبب الازدواج الحركي قد أدى الى سقوط المزدوج الصاعد بوصفه مقطعاً قصيراً ومن ثم مَدّ الصوت بصائت المقطع القصير السابق فأصبح مقطعاً طويلاً مفتوحاً، وبالكتابة الصوتية يكون على النحو الاتي:-

/ ق - / و-/ ل -/ × /ق -/ل◄-/.

/ غ -/ ز -/ و-/ × /غ -/ز◄-/ .

وقد قاد العلماء العرب إلى تفسيرهم السابق الى انهم قرروا في قواعدهم الصرفية ان الالف لا تكون أصلاً في اسم متمكن ولا في فعل وانما منقلبة امّا عن واو او ياء [4].

وعلى ذلك يمكن تفسير الافعال الاخرى بالتفسير الصوتي الحديث من نحو : (باع، خاف) مع التسليم بقول العلماء العرب ان أصل هذه الافعال هو : (بَيَع، وخَوِف) .غير اننا

---

[1] المنصف : ج1، ص190، شرح الشافية : ج2،ص95

[2] المنصف : ج1،ص190-191

[3] لحن العامة والتطور اللغوي ،ص374

[4] شرح الشافية : ج3، ص66

نخالفهم في التفسير والتعليل لان الذي يقابل عين الفعل في الأصل المفترض، انما هي قاعدة مزدوج وهي نصف صائت احتكاكي لها قيمة الصامت، وهي تنطق بعد الأصل المفترض، وهذا لايحتمله التقدير، لذلك فالأصل في (قامَ) – على سبيل المثال – هو (قَوَم)، فحذف المقطع الثاني وهو المزدوج ومُدّ الصوت بصائت المقطع الاول، فيصبح وزن قامَ . (فال)، وكذلك في باقي الافعال الاخرى [1].

/ ق -/ و-/ م -/ ← /ق ـَ/ل -/ .

×

غير اننا لانصف عملهم بالقصور لان تعليلاتهم مستنبطة من ادراكهم لهذه الافعال واصولها فكانت افتراضاتهم تمثل سعة ادراكهم لهذه التبدلات الصوتية، فلم يدركوا تماماً الفرق بين واو المد وواو العلّة، أي لم يفرقوا بين الواو او الياء عندما تاتي صوائت، وعندما تاتي نصف صائت، او نصف صامت، ولعل رمزهما الكتابي الموحد جعلهم ينظرون إليهما نظرة تعاملية واحدة . على الرغم من انهم قد اشاروا الى ان الواو والياء إذا سبقتا بحركات من جنسهما كانت مدّا، واذا سكنتا كانت ليناً . فضلاً علىذلك ان هذه القاعدة قد اصطدمت بافعال بقيت الواو على حالها مع انها متحركة وما قبلها مفتوح من نحو (عَوِر، وحَوِل)، والعرب لم تنطق (عار وحال) .

يبدو لي أن هذه الافعال من بقايا النطق القديم الذي افترضه النحاة، بقيت محافظة على صحتها ولم تعل وفق قواعد النحاة، بان (الواو والياء) إذا تحركا وانفتح ما قبلهما قلبا الفاً .

يضاف الى ذلك ان تفسيرهم قائم على منهج نظري ذوقي في التحليل فنجد ابن جني ينص على ان القلب حدث في هذه الافعال انما هو كراهة التقليل في النطق لاجتماع ثلاثة اشياء متجانسة، إذ يذهب في تعليله لهذا القلب الى القول : (فلما اجتمعت ثلاثة اشياء متجانسة وهي الفتحة والواو والياء، وحركة الواو والياء، كره اجتماع ثلاثة اشياء متقاربة، فهربوا من الواو والياء الى لفظ تؤمن فيه الحركة، وهو الالف، وسوغها – ايضاً – انفتاح ماقبلها، فهذا هو العلّة في قلب الواو والياء في نحو قام وباع) [2].

وهذه علة نظرية تدخل فيها النظرة الذوقية اكثر مما تدخل فيها النظرة الصوتية التي تستند الى التحليل العلمي السليم، لان منهجهم في قلب (الواو والياء) الفا انما هو لوجود فتحة قبلها، فضلاً علىتحركهما بالفتحة وليست بسبب الثقل من التتابع الحركي الذي قد يؤثر في الانسجام

---

[1] ابحاث في أصوات العربية، ص47

[2] سر الصناعة : ج1، ص25

الصوتي في بناء هذه الافعال، لذلك ردّ هذا التعليل الكثير من علماء العربية الذين جاءوا بعد ابن جني، فلم يروا استثقالاً في هذا الجانب لان الواو والياء انفتح ما قبلهما فخفف ثقلهما [1].

ويبدو لي أن العلماء العرب قد جانبهم الصواب في التعليل، لان الالف ليس من جنس (الواو والياء) حتى نسوغ هذا الابدال وكل ما في الأمر ان (الواو والياء) وحركتهما قد سقطا، وحركة فاء الكلمة قد مُدّ الصوت فيها فاصبحت حركة طويلة او صائت طويل فوجود الازدواج الحركي (واو + فتحة) أو (ياء + فتحة) قد ادى الى نوع من الصعوبة في مقاطع الكلمة . فسقط احدهما.

وكان لأبن عصفور (ت 646 هـ) التفاته مهمة في هذا الجانب الا ان العلماء الذين جاءوا من بعده لم يطوروا هذه الالتفاتة التي يمكن لها ان تغير منهج التعليل الصرفي عند العرب لاسيما في هذا الجانب، إذ انه ذهب الى ان (الواو والياء) قد سقطا لوقوعهما بين حركتين [2].

والحركتان هما اللتان أدتا الى الازدواج المقطعي الذي يؤكده المحدثون [3].

وقد ذكر العلماء العرب ان (الواو والياء) إذا سبقا بكسرة بعد سكونهما قلبا ياء من نحو (ميزان ميقات) والأصل الافتراضي هو (مِوزان ومِوْقات) [4].

ويبدو لي أن تفسيرهم هذا القصد منه توفير اكبر قدر ممكن من الانسجام الصوتي وتسهيل النطق، وذلك لان المتكلّم إذا بدأ بالكسرة من السهل عليه ان يتمها الى الياء لانه اتى ببعض الياء في حين إذا نطق بالواو فكانه ينقض ما بدأ به [5]. الا ان ذلك في حقيقته ليس إبدالاً او قلباً كما يذهب القدماء، وانما هو كراهة تتابع كسرة وضمة، مما ادى الى سقوط الضمة، وعوض عنها بكسرة قصيرة شكلت مع سابقتها كسرة طويلة لتحقيق الانسجام الصوتي [6].

2- إذا سكنت (الواو والياء) وانضّم ما قبلهما قلبا واواً وذلك بسبب الضمة التي قبلهما من نحو (مُوقن، ومؤسر) والأصل الافتراضي لهذه الالفاظ هو (مُيْقِن ومُيْسر) [7].

---

[1] المقرب : ص547، الممتع : ج2، ص438، شرح الشافية ج3، ص95

[2] المقرب، ص547.

[3] الاعلال في كتاب سيبويه، ص152 (رسالة دكتواره)

[4] الكتاب : ج2، ص382، المقتضب: ج1،ص96، شرح الملوكي ،ص226

[5] سر الصناعة : ج1، ص21-22

[6] المنهج الصوتي، ص189

[7] الكتاب : ج2، ص358، الايضاح : ج2، ص436

ويلاحظ على هذه الحالة ان الابدال قد وقع في تغير (الياء) إلى (واو)، فلماذا لا تغير الحركة وهي (الضمة) الى (كسرة) لمجانسة الياء، بمعنى لماذا لايكون التغيير في الحركات وليس في الصوامت ؟

لقد بين العلماء العرب ان الضرورة هي التي قادت الى اجتماع الياء والضمة فلا بدّ من تغيّر احدهما، لذلك لجأنا الى تغيير الحركة ليبقى الصامت (الحرف) على حالة من دون تغيير، لانه اولى من تغييره لبقاء الضمة على حالها، لان المحافظة على الصامت (الحرف) في نظرهم اولى من المحافظة على الحركة [1] وهو مستنبط من فكرتهم ان الصوامت هي اصول الكلمات في حين أن الحركات ثانوية في بناء الكلمة، وهي نظرة غير سليمة ودقيقة لانه لولا الحركات لما تشكلت الالفاظ، بل هي من الاهمية التي لا يمكن الاستغناء عنها .

فالتعليل لدى القدماء واضح بان القلب جاء بسبب الضمة التي قبل (الواو والياء) غير انهم لم يبينوا لنا، كيف تحولت (الواو والياء) من انصاف الصوامت الى صائت طويل او بعرف القدماء من غير المد الى المد ؟

في حين الدرس الصوتي الحديث يرى ان (الياء) قد سقطت ومُدّ الصوت بالصوت الذي قبلها، وبذلك اصبحت (الواو) صائت طويل او (مد) [2].

ويبدو لي أن ذلك مرده صعوبة النطق، ومحاولة الناطق ايجاد اسهل الطرائق لتيسير نطق الالفاظ لذلك يواجه اللسان صعوبة تتابع ضمة وكسرة، مما ادى به الى ان يسقط العنصر الثاني، ويطيل العنصر الاول، لان نطق ضمة وكسرة او كسرة وضمة سوف يؤدي الى الاستثقال واذا ما علمنا ان الكسرة تُعدّ اضيق الحركات واكثرها تقدماً والضم اضيق الحركات واكثرها تراجعاً، لذلك سيواجه اللسان موضعين متناقضين مما يضطره الى التخلص من احد هذين الموضعين .

3- تقلب الهمزة الساكنة الفا اذا كان ما قبلها مفتوحاً من نحو : (رأس، راس)، وتقلب واواً إذا كان ما قبلها مضموماً من نحو : (البؤس، البوس)، وتقلب ياء، إذا كان ما قبلها مكسوراً من نحو : (الذئب، الذيب) [3].

---

[1] الايضاح : ج2، ص436

[2] المنهج الصوتي : ص83-84

[3] الكتاب : ج2،ص380، الاصول : ج2، ص398

وذلك على حد زعمهم لان الهمزة التي تكون ساكنة تبدل من الصوت الذي تكون منه حركة ما قبلها نتيجة لشدة القرابة الصوتية بينهما فالفتحة من الالف، والضمة من الواو، والكسرة من الياء [1].

ان ذهاب العلماء العرب الى عدّ هذه الحالة : ابدالا ليس بالرأي السديد لانه لا توجد علاقة صوتية بين (الالف والواو والياء) وبين (الهمزة) فالهمزة صوت صامت، والأصوات الثلاثة تعد أصواتا صائته، فليس هناك مايسوغ الإبدال بينهما.

ويبدو لي انه نوع من التسهيل ومحاولة التخلص من صوت الهمزة بوصفه صوتاً انفجارياً والنطق به وهو محقق يعّد من اشق العمليات الصوتية مما يؤدي بالمتكلم الى بذل جهد أكبر في نطقه إذ ماقيس بالأصوات الاخرى، لذلك لجأ المتكلم الى التخلص من الهمزة ما امكنه ذلك ولاسيما تلك القبائل التي تميل الى التسهيل، وهي البيئة الحجازية تقابلها في الجانب الآخر قبائل عربية تنطق بالهمزة محققة لانها تضغط على هذا المكان ضغطاً قوياً يؤدي الى قلب صوت اللين الى صوت انفجاري مضغوط هو (الهمزة) [2].

ومهما يكن من امر فان نظرة العلماء العرب لحالات القلب تمثل منهجاً عاماً يقوم على اساس إفتراضي لتعليل تلك الحالات وعلى الرغم من الاختلاف في التفسير بينهم وبين المحدثين، فان نظرتهم كانت جوهرية في ايجاد تفسير مقنع لتلك الحالات، ومسألة الخلط بين ما هو صائت، وما هو نصف صائت، لايمكن لها ان تشكل عائقاً امام عمل علماء العربية إذا ما قيس بعمل المحدثين لان الوهم الذي احاط بعمل علماء العربية، بان أصوات المدّ مسبوقه بحركات من جنسها بقي يلازم عملهم في التعليل متجاهلين ان (الحرف) مستقل عن (الحركة) واذا ترابط معها بحسب نظرتهم لأصوات المد، كان ينبغي لهم، ان يلتفوا الى مسألة (الازدواج الحركي)، التي تعد من ابرز مظاهر الإعلال الصرفي في نظر المحدثين، ولو تنبهوا لذلك لجاء عملهم موافقاً تماماً لاحدث التعليلات الصوتية الحديثة لظاهرة الإبدال الإعلالي .

---

[1] الاصول : ج2،ص399

[2] لهجة تميم، ص217

ثانياً . النقل :-

هو عملية تبدل صوتي تقع بين الأصوات على مواقع الكلمة، وذلك بتحويل الحركات القصيرة ونقلها من مكانها الى مكان آخر من مواضع الكلمة، والقصد من هذه العملية هو تيسر النطق ومنع الاستثقال .

وقد بين علماء العربية هذه الحالة إذا كانت (الواو والياء) تقع عيناً للفعل او الاسم الذي يجري مجرى الفعل فتنتقل حركتهما الى الصوت الساكن الذي قبلهما، فيتحمل الساكن الصحيح حركتهما . وذلك من نحو (قال وباع) . إذا كانا على وزن (يَفْعُلُ)، لان الأصل هو (يَقْوُل، ويبْيِع) فنقلت حركة الواو (الضمة) وحركة الياء (الكسرة) الى الساكن الذي قبلهما وهو (القاف والياء) [1].

ونحن مع القدماء في ان العملية انما هي نقل حركي فقط وهو تعليل يسير يراعي الحالة النظرية للصيغة، ولكن عملية التحويل قد ادت الى تحويل الصوت غير المدي الى مدي او بمعنى آخر صوت العلّة قد تحول الى صائت طويل، وهذا مالم يدركه العلماء العرب.

والذي نراه ان العملية عبارة عن سقوط (الواو والياء) منعاً لكراهة اجتماع واو وضمة وياء وكسرة، وعندما تحذف (الواو والياء) تبقى الضمة وحدها والكسرة وحدها مما يؤدي الى اختلال وزن الكلمة وايقاعها، فتاتي مسألة التعويض لا صلاح هذا الخلل المقطعي وذلك باطالة الضمة والكسرة بعدهما، فيصبحان صائتين طويلين، وكما تظهره الكتابة الصوتية الاتية[2].

/ ي - / ق -/ ل -/ /ي -/ ب -/ ع -/.

ولكن إذا كان في المثال السابق ان العملية توقفت عند حدّ النقل فقط فقد ياتي ان تكون الحركة المنقولة غير مجانسة لصوت العلّة، مما يؤدي الى الحاق عملية النقل عملية اخرى، هي ابدال صوت العلّة الى صوت آخر يكون مجانس للحركة المنقولة، من ذلك كما ذكر علماء العربية في (أقام) وامثاله، فالأصل (أَقْوَمُ)، فتقلت حركة الواو (الفتحة) . الى الساكن الذي قبلهما (القاف)، فاصبحت (الواو) ساكنه، ولمّا سكنت الواو وانفتح ما قبلها قلبت الفاً، فاصبحت (أقام) ومثله : (قالَ، واستراح، واستعاذ) [3].

---

[1] الكتاب : ج2،ص363، المنصف : ج1، ص268

[2] العربية العظمى، ص46

[3] الكتاب : ج2، ص362، المنصف : ج1، ص367

أن مذهب علماء العربية في تعليل هذا الإبدال يصيبه بعض الاضطراب والخلط، فاذا سلمنا جدلاً بمفهوم النقل الحركي في هذه الحالة، فأننا لانسلم بافتراضهم الوهمي الذي يذهب الى ان قلب الواو ألفاً بسبب تحركها في الأصل وانفتاح ما قبلها الآن [1].

وكل ما في الامر هو اسقاط صوت العلّة ثم يعوّض عنه بطول الحركة التي بعد المنقول الى الساكن الذي قبله، كما في الكتابة الصوتية الاتية .

/ ء - ق / و / - / م -/ ← / ء - / ق / م -/ .

= ×

ومن ذلك المصدر الجاري مجرى الفعل من نحو : (اقامة، واستقامة)، فقد ذهب القدماء الى ان أصلهما هو (اقْوام واستِقْوَام)، ثم قلبت الواو ألفاً لانفتاح ما قبلها وتحركها في الأصل، مما أدى الى اجتماع ألفين، فحذفت احدهما منعاً لالتقاء الساكنين، بوصف الالف ساكنة عندهم [2].

ويبدو أن تعليل القدماء على ما فيه من جهد مشكور الا ان لنا عليه بعض التحفظات، منها، ان الألف ليس صوتاً ساكناً وانما هو صوت صائت او حركة طويلة، فضلاً علىالافتراض الوهمي بقلب الواو ألفاً لتحركها الان وانفتاح ما قبلها، وكلّ ما في الامر انه حدث سقوط للحركات الأولى وهي (الواو) للتخلص من الازدواج الحركي، وبقيت الفتحة الطويلة، وتضاف (التاء) بوصفها لاحقة لمثل هذا النوع من المصادر، وعن طريقها يتحقق نوع من التعادل الايقاعي بين الأصل والبديل [3].

/ ء - ق / و-/ م -/ ← / ء - / ق / م -/ + ة

×

/ء - س/ت - ق/ و - م/ ← / ء - س/ت -/ق - م/ + ة

×

---

[1] المنصف : ج1، ص368 .

[2] المقتضب : ج1، ص105، المنصف : ج1، ص287

[3] المنهج الصوتي، ص195

فكل الذي حدث انما هو حذف الواو، ويعوض عنها بالتاء لتصحيح المقطع والمحافظة على الايقاع الوزني لهذه الالفاظ .

ومن ذلك الاسماء الجارية مجرى الافعال، يظهر فيها النقل الإعلالي، لانها تعتل كاعتلال الافعال ويظهر ذلك عندما يصاغ اسم المفعول من نحو (قال وباع)، فيقال : (مَقُول، ومَبيعُ)، والأصل الافتراضي لها على مذهب القدماء هو (مَقْوول، ومَبْيوع) . والإعلال الذي حدث فيها هو نقل حركة الواو والياء الى الصحيح الساكن الواقع قبلها (القاف والياء) فأصبحا صوتين ساكنين فحذفت واو المفعول لانها اولى بالحذف لزيادتها وقربها من الطرف [1].

ويبدو لي أن ما ذهب اليه القدماء بأن الواو المحذوفة هي واو (مفعول) لان هذه الواو هي واو الصيغة التي نريد ان نبني عليها الفعل يثير التساؤل، فلماذا نأتي بها ونحذفها؟ فلو حذفت لاتؤدي الصيغة وظيفتها، لذلك فالمحذوف هو عين الكلمة وهي الواو في (مقوول) والياء في (مبيوع)، وبعد المحذوف بقيت (مقوول) على حالها، للدلالة على المفعولين، وتقلب الضمة الطويلة في (مبوع) كسرة طويلة للفرق بين الأصل الواوي والأصل اليائي فيقال (مَبيع) [2].

وقد ذهب أبو الحسن الاخفش والمازني (ت 244هـ) الى ان المحذوف هو عين الفعل، والواو التي بقيت هي واو مفعول [3].

ومهما يكن من أمر فقد حذفت قاعدة المزدوج الصاعد للتخفيف وعوض عنها باطالة الصوت بالصائت القصير الذي كان يشكل قمة المقطع المزدوج [4].

/ م - ق / و- ل / ←/ م - ق - ل / .

×

/ م - ب / ي - ع / ←/ م - ب - ع / .

= ×

---

[1] الكتاب : ج2، ص362، ج3، ص283

[2] المنهج الصوتي، ص200

[3] الاصول ، ج3،ص83.

[4] ابحاث في أصوات العربية، ص56.

في هذه الحالة تحذف الياء ويتحول الصائت الطويل (الضمة) الى صائت طويل (كسرة)، للفرق بين الأصل الواوي واليائي .

ويظهر من ذلك ان عملية النقل تتطلب ساكناً صحيحاً قبل صوت العلّة، لكي يشكل موقعاً تقع عليه حركة صوت العلّة . التي تنتقل اليه، وهي بذلك ظاهرة موقعيه يتطلبها سياق الكلام وبنية الكلمة، وتفسيرات القدماء بغض النظر عن اختلافها مع تفسيرات المحدثين كانت على درجة كبيرة من النضج التعليلي لمثل هذه التغيرات التي تطرأ على بنية الكلمة، وقد اتفقوا مع المحدثين في سبب هذه التغيرات من الميل الى السهولة في النطق، والمحافظة على بنية الكلمة ومحاولة تجنب التقاء الساكنين [1].

ثالثاً : الحذف :-

ظاهرة من ظواهر التبدل الصوتي التي تصيب أصوات الكلمة لغرض التخفيف والميل الى السهولة في النطق والحذف بوجه عام يكثر في كلام العرب، إما استثقالاً، وإما لكثرة الاستعمال، بل هو سنة من سنن العربية في كلامها [2].

وقد درس علماء العربية ظاهرة الحذف من حيث هي طريقة من طرائق الإعلال الصرفي، وبينوا اسباب الحذف وعلله، ومن اشهر مظاهر الحذف التي تناولها العلماء هي حذف فاء الكلمة في الفعل المثال، والمضارع والامر، والمصدر الذي على وزن (فِعْله)، وقد بينوا ذلك بقاعدة صرفية مفادها : إذا كان الفعل ثلاثياً واوي الفاء مفتوح العين في الماضي ومكسور العين في المضارع تحذف فاؤه في المضارع من نحو : (وعد، يَعِد)، والأصل المفترض هو (يَوْعِد، إوْعِد) . وقد حذف الواو هنا لوقوعها بين ياء وكسرة، أما مصدره فيقع فيه الحذف لانهم اعلوه كفعله، من نحو عِدة، والأصل المفترض وَعِدة . واشترطوا وجود (الهاء) لانها لابدّ منها فاذا لم تكن فلا يقع الحذف [3].

وقد اوضح العلماء منهجهم التفسيري في ذلك بان الواو سقطت لانها خرجت ساكنة، ومن خلفها الضمة، والعرب تكره مجيء الكسرة بعد الضمة، لذلك اسقطوها كراهية تتابع ضمة بعد كسرة [4].

---

[1] الاعلال في كتاب سيبويه، ص50 – 85

[2] الصاحبي، ص205

[3] الكتاب : ج2، ص232، المنصف : ج1، ص188

[4] دقائق التصريف، ص221.

فالثقل سبب من اسباب حذف الواو لوقوعها بين ياء وكسرة، فأجتمع ثقلان، ولما انضاف الى ذلك ثقل الواو كان من الواجب الحذف في هذه الحالة [1].

ان منهج العلماء العرب في سبب الحذف كان على درجة عالية من التوفيق الا ان الاختلاف معهم يكمن في تسمية المحذوف وبعض التوضيحات الطفيفة وذلك لان الذي سقط هو شبه العلّة (الواو) بسبب التتابع الحركي، ويكون في الكاتبة الصوتية كالاتي :-

الامر : (إِوْعِدْ) :-

/ ء ـ و/ ع ـ د / ← / ع ـ /

×

المضارع : (يَوْعِدُ) :-

/ ى ـ و/ ع ـ / د ـ/ ← / ى ـ / ع ـ / د ـ/ .

×

المصدر : (وَعِدَةٌ) :-

/ و ـ عْ / د ـ/ + ة ← / ع ـ/ د ـ/ + ة .

×

في فعل الامر حذف (نصف الصائت) الواو، لانه يسبب الازدواج المقطعي في أول الكلمة، وهذا مما يستكره في الكلام وحذفت همزة الوصل ،لان فائدتها اصبحت معدومة، بسبب تحريك عين الفعل، ووظيفتها هي النطق بالساكن، والمنطوق غير ساكن .

أما المضارع، فقد حذفت الواو للتخلص من الازدواج المقطعي لانه يشكل ثقلاً في الكلام . أما المصدر فالسبب نفسه، فقد حذفت الواو لوجود مزدوج صاعد في أول الكلمة، واجتلبت كسرة مجانسة للحركة المحذوفة بعد عين الكلمة [2].

---

[1] الممتع : ج2، ص426

[2] ابحاث في أصوات العربية، ص32

وهذا الحذف متعلق بالواو إذا جاءت فاء للكلمة، اما إذا وردت الياء فاءً للكلمة فلا تحذف في المواضع التي تحذف فيها الواو من نحو : (يَعِر، يَيْعَر)، (يَئِسَ، يَيْئِس)، والسبب في ذلك كما يقولون (لان الياء اخف عليهم، ولانهم قد يفرون من استثقال الواو مع الياء الى الياء في غير هذا الموضع، ولايفرون من الياء إلى الواو فيه وهي أخف) [1].

غير أنالعلماء العرب قد اضطربوا في الاسماء التي تكون فاؤها واواً فقالوا: الواو تثبت في الاسماء وتحذف من نحو : (وَلِدَةُ) فيجوز ان نقول : (لِدَةُ) كعِدَة [2].

ان حذف الواو إذا وقعت فاءً للكلمة والابقاء على الياء، إذا جاءت في المحل نفسه، لم يسنده العلماء العرب بالتفسير العلمي والمنطقي . وما قالوه بان الياء اخف عليهم من الواو، لان العرب تفرُّ من استثقال الواو مع الياء الى الياء، لم يكن سوى تعليل ذوقي، كما ان المتكلم يريد ألفاظاً يعبّر بها عن اغراضه سواء أكانت تحتوي على الياء او الواو او على الاثنين معاً.

ويبدو لي أن الالفاظ التي جاءت وفي فائها (الياء) كان وجود الياء ضرورة لا يمكن حذفها لأن المعنى قد يتغيّر فضلاً علىاختلال معالم بنية الكلمة، فقولنا (يئسَ) لايمكن حذف الياء لانه سيؤدي الى اختفاء معالم الفعل، أمّا التي فاؤها واو فيجوز اسقاط فائها من دون تغيير معنى الفعل كما في (وعد، يعد)، ومعنى ذلك ان عدم حذف الياء التي تأتي فاءً في المواضع التي تأتي فيه الواو، أنما هو لغرض دلالي، إذ إناللغة يمكن لها ان تضحي بالجانب الصوتي من أجل الجانب الدلالي، ولعل بقاء (الياء) انما هو لهذا الغرض .

ومن اشهر مواضع الحذف التي اشار اليها علماء العربية هو ما يقع في الفعل المعتل (الاجوف) عند اتصاله بضمائر الرفع، ففي هذه الحالة تقع مظاهر الإعلال المتعددة التي ذكرناها (النقل، والقلب، والحذف).

فقد ذكر علماء العربية ان الكلمة عند بنائها من (فَعَلتُ)، إذا كان أصلها واواً تنقل الى (فَعُلْت) من نحو : (قال) يقال : (قُلْتُ)، وتنقل الى (فَعِلتُ) إذا كان أصله (ياء) من نحو: (باع) يقال : (بِعْتُ)، لان الأصل عندهم (فَعَل)، وهو (قال، وباع)، وعندما يقال : (فَعَلْتُ)، تنقل ما كان أصله واو الى (فَعُلْتُ) وبعد ذلك تحول الضمة في (فَعُلْتُ) الى الفاء، ومن بعد ذلك تحول الضمة في (فَعُلْتُ) من (قُلْتُ) الى الفاء، ومن (بِعْتُ) – ايضاً – وذلك بعد ازالة الحركة التي كانت لها في الأصل فيصبحان (قُلْتُ) و(بُعْتُ)، وكان التقدير : (قَوَلْت)، و(بَيِعْتُ)، وعندما انتقلت حركة عيني الفعل الى الفاء اصبحا ساكنين، ولما كانت لام الفعلين ساكنة بسبب اتصالها

---

[1] الكتاب : ج2، ص233

[2] الاصول : ج3،ص276

بضمائر الرفع، حذفت عينا الفعل لالتقاء الساكنين، فصارا (قمتُ) و(بُعِتُ)، وبذلك تدل الضمة على ان الواو محذوفة فيعرف ان الأصل هو الواو، وتدل الكسرة على ان الياء محذوفة، فيعرف ان الأصل هو الياء [1].

وكما يظهر مقدار التكلّف في تعليل العلماء العرب لمثل هذه الحالة، فالعملية قائمة عندهم على النقل والحذف، إذ إن(الواو والياء) قد سقطتا من البناء ونقلت حركتهما الى فاء الكلمة لتدل الكسرة على الأصل اليائي والضمة على الأصل الواوي، لأنهما لوتركا على حالهما لاختلط الأصلان معاً، ولكنهم لم يعللوا اين ذهبت حركة الفاء الأصلية التي حلّت محلها حركة الواو والياء ؟.

فأصبحت (الواو والياء) بعد ان سلب النحاة حركتهما ساكنتين مما اضطرهما الى حذفهما منعاً لالتقاء الساكنين، فحركتهما افتراضية، والحركة الأصلية اختفت ولم نجد تفسيراً لاختفائها عند العلماء العرب ومسألة التقاء الساكنين قد نظر اليها (ابن جني) نظرة زادت الامر تكلفاً، إذ انه يرى ان العملية قد مرت بثلاث مراحل، المرحلة الأولى : النقل، وهو نقل حركة (الواو والياء) الى فاء البناء، والمرحلة الثانية هو القلب :أي قلب (الواو والياء) ألفاً، وذلك بناءً على تحركهما وانفتاح ما قبلهما . والمرحلة الثانية هو الحذف لالتقاء الساكنين (الالف واللام) [2].

ان المرحلة الثانية التي اشار اليها (ابن جني) غير دقيقة، لان القلب يقوم على علاقات صوتية قائمة بالنظر الى واقع حركات الأصوات التي تصاحبها الان، والفتحة التي قال العلماء العرب انها من بنية الكلمة وكانت موجودة قبل التحويل لم يبق لها أي اثر في واقع اللفظة الحالي، ولو سلّمنا بنقل (الضمة) من على الواو، ففي هذه الحالة تكون الواو ساكنة واللام ساكنة – ايضاً– فالمحذوف سيكون مباشرة من دون اللجوء الى القلب الذي افترضه ابن جني، والذي عدَّ الالف ساكنة في حين ان الالف حركة طويلة وليست ساكنة .

ويبدو لي أن (الواو والياء) قد سقطا وهو ما ذهب اليه القدماء والمحدثون الا ان القدماء يرون سقوطهما منعاً لالتقاء الساكنين سواء قلبتا الفاً –كما يذهب ابن جني – او لم يقلبا الفاً وانما سقطا مباشرة كما يذهب علماء العربية في حين انهما سقطا بسبب وقوعهما بين علتين إذ سقط شبة العلّة (الواو) في (قَوَلَ) وشبه العلّة (الياء) سقط في (بَيَعَ) لوقوعهما بين العلتين

---

[1] الكتاب : ج2، ص360–361 المقتضب: ج1، ص97، المنصف: ج1، ص234–235

[2] المنصف : ج1، ص234

المتماثلتين، وهما الصائتان القصيران او الفتحتان على (الالف والعين) وتشكّل منهما علّة طويلة من جنسهما هي الصائت الطويل الالف [1].

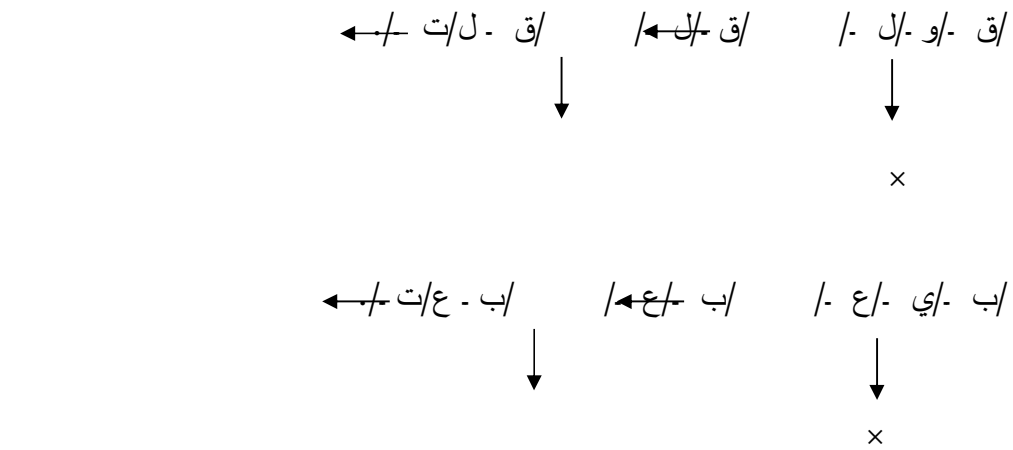

ومع ذلك نقول كما قال القدماء ابدلنا الصائت القصير (الفتحة) في المقطع الاول من (ق - ل) الى صائت قصير (ضمة) دلالة على الأصل الواوي وابدلنا الصائت القصير (الفتحة) في المقطع الاول من (ب - ع) الى صائت قصير (كسرة) دلالة على الأصل اليائي، وبذلك يكون رأياً توفيقياً بيننا وبين القدماء .

ومن مظاهرة الحذف التي ذكرها القدماء والتي عُدّت قياسية حذف (الواو والياء والالف) من الفعل المعتل الآخر من نحو (يرمي، ويغزو) وذلك إذا دخلت عليه احدى ادوات الجزم من نحو : (لم يَرْمِ، ولم يَغْزُ)، وكذلك إذا كانت هذه الأصوات لاماً لفعل الامر فتحذف من نحو : (إرْمِ، إغزُ) والعلة في ذلك كما يقول القدماء ان هذه الأصوات حذفت في الجزم لان الجزم لم يصادف حركة يحذفها، فوقع الجزم على الأصوات الصامتة (الحروف) والحركة الباقية دليل على المحذوف، لانها جزء من المحذوف [2].

ويبدو لي أن ما ذهب اليه القدماء من ان الحركة الباقية من الصوت (الحرف) المحذوف دليل على حذفه، لانها جزء منه فيه ملمح إلى ما يرمي اليه التعليل الصوتي الحديث لان الحذف في الجزم وفي صياغة فعل الامر في هذه الحالة انما هو تقصير لعلّة طويلة، فتصبح الصوائت الطويلة (الالف والياء والواو) صوائت قصيرة . كما يظهر في الكتابة الصوتية الاتية :-

(يرمي) : /ي - ر/ م - / ـــ/ى ← / م -/ .

---

[1] دراسات في علم أصوات العربية، ص146

[2] الكتاب : ج2، ص277-278، الاصول : ج2، ص382

(يغزو) : /ي - غ / ز -/ ←/ى/غ / ز -/ .

(إغزُ) : /ء - غْ / ز -/ ←/ء/غ / ز -/ .

وعلى الرغم من ان عين الفعل في الامثلة المتقدمة لا تتحمل اية حركة قبل الصوائت، لان الصوائت انما هي في جوهرها حركات عين الفعل، وما حالة الجزم التي تعرضت لها الا لتقصير هذه الحركات الطويلة الى قصيرة، كما هو الحال عندما تحذف الحركة القصيرة من الفعل الصحيح نحو : (يَكْتُبُ، لم يَكْتُب) فحذفت حركته القصيرة، فاذا كان الفعل الصحيح (يكتبُ) قد انتهى بصوت (الباء) فأن الفعل المعتل (يرمي، لم يَرْمِ) قد انتهى بالنصف الثاني من الحركة الطويلة وبذلك تكون العربية قد استعملت حالة تقصير صوت المدّ بوصفها علامة إعرابية تدل على جزم الافعال المعتلة وهي فضلاً علىالناحية الصوتية تمثل استعمالا نحويا يوازي العلامة الاعرابية في الافعال الصحيحة في حالة الجزم [1].

إن حالات الحذف قد وجدت لها تفسيراً من علماء العربية وعلى الرغم من أن بعض هذه التفسيرات قد اصابها نوع من التكلف فأنها حاولت ان تعلل هذه الحالات التي لم يشأ علماء العربية ان يبقوا امامها مكتوفي الايدي بالقول (هكذا نطقت العرب) . وانما اعملوا فكرهم في هذا الجانب . بغض النظر عن الاختلاف مع المحدثين في التعليل، لاننا لانـدّعي ان ما قاله المحدثون هو الصواب، وانّما هي افتراضات تعليلية لمثل هذه الحالات وتبقى مسألة الاقتراب من التعليل الصحيح واليسير هو غاية ما يرمى اليه الدرس الصوتي الحديث .

وعلى هذا أن مظاهر الحذف والقلب والنقل مظاهر اعلالية وجدت تفسيراً في الدرس الصوتي القديم والحديث غير أنالمنهج القديم يختلف عن المنهج الحديث في التفسير والتعليل الا ان الغاية واحدة عند الفريقين .

---

[1] المنهج الصوتي، ص18، في الأصوات اللغوية، ص293

الخـــاتمة

الخاتمة

قبل ان نتكلم عن المنهج الصوتي عند اللغويين العرب في مجال الصوتيات ومعرفة ملامحه وابعاده المنهجية لابد لنا من التميز بين جهدهم الصوتي ومنهجهم الذي اتبعوه في التعامل مع هذا الجهد .

مما لاشك فيه ان جهدهم الصوتي كان شاملا" لظواهر الدرس الصوتي إذ شملت دراساتهم موضوعات هذا العلم واقتربت كثيرا" من دراسات المحدثين في هذا الجانب اما منهجهم في دراسة موضوعات هذا العلم فليس من اليسير القطع بانه كان دقيقا" بحيث يوازي دقتهم العلمية فالفرق واضح . كما لا يخفى . بين دراسة العلم من حيث هو جهد علمي وبينه من حيث منهجه العلمي وكلتا النظرتين ماثلة أمام العرب، فالجهد العلمي قد إستوعب مظاهر علم الأصوات في مجال السمعيات والنطقيات والوظيفيات بدقة متناهية، أما منهجهم في دراسة تلك الظواهر أو المجالات، فعلى الرغم من أنهم حاولوا وصف المظاهر الصوتية التي تدرج في هذه المجالات، ووصلوا إلى تصور دقيق نوعا" ما، عن مجمل هذه الظواهر التي تشكل المادة الاساس لعلم الأصوات فأن محاولاتهم هذه برزت معتمدة المضمون من دون الاعتناء بالعمليات الشكلية التي تدرج تحتها موضوعات علم الأصوات، إذ إنتصورهم لعلم الأصوات لا يمكن دراسته في جملته دفعة واحدة، بل لابد من تقسيمه إلى أجزاء وتصنيفه إلى أنواع، لان التصنيف من المهام الاولية للوصف العلمي إذ تتوقف على دقتها سلامة الدراسة، وتمهد لها أسسا سليمة، لاسيما في مجال دراستهم للظواهر السمعية فقد كانت حكراً على المنظور الطبيعي للظواهر السمعية أولاً ثم الفلسفي ثانيا" ومع ذلك فمحاولة ربط الفكر الصوتي العربي وهو الجهد العلمي مع مبدأ المنهج في طرح ذلك الجهد في مجال الدراسة محاولة تكتنفها بعض المصاعب وتحتاج إلى اعمال الفكر لربطها برباط وثيق لأن موضوعات علم الأصوات عند العرب جاء . اغلبها . متفرقة لا تجمعها وحدة موضوعية فتحتاج إلى ان يعيد النظر كل من يدرس علم الأصوات عند العرب جملة وتفصيلاً للإمساك بتصور شمولي يجمع بين ظواهره المتفرقة من ناحية ويكشف عن تفسير عميق لتحولات تلك الظواهر وتطورها من ناحية ثانية مع الاخذ بالاعتبار انطباعية الظاهرة ودخولها إلى دائرة العلم . والبعد بها عن ان تكون بحوثاً مبعثرة لا تلتزم بخطة ومنهجاً يضبط مظاهرها وتطورها في بناء النظام الصوتي عند العرب وتطورها لان الدراسة الصوتية قد توقفت إلى القرون الاربعة الأولى من التاريخ اللغوي عند العرب وقد اخذ العلماء الذين جاءوا بعد هذا الزمن يرددون ما قاله الاوائل فبقى علم الأصوات مقتصراً على اعمال المتقدمين من علماء العربية مما لم يفسح المجال إلى تفسير غموض بعض مصطلحات المتقدمين من نحو الجهر والهمس والشدة والرخاوة والمتوسطة من جهة واندثار بعض المصطلحات الصوتية كالتقريب والانحدار من جهة أخرى . يضاف إلى

ذلك ابتعاد بعض العلماء العرب عن الخوض في جوانب الدراسة الصوتية . فلم يتعرض النحويون للحديث عن علم الأصوات السمعي . واقتصاره على العلماء الفلاسفة لعدم توفر وسائل التشريح لديهم مع انهم قد عرفوا معظم اعضاء جهاز النطق كالحلق واقسامه واللسان واقسامه والأسنان . وهي تحتاج إلى وسائل تشريحية فوصفوها وصفاً دقيقاً.

ويمكن اجمال اهم النتائج التي توصل اليها البحث في مجال المنهج الصوتي عند العرب بما ياتي :.

1ـ اتبع العلماء العرب منهجا" يختلط بين الوصفية والمعيارية في تفسير الظواهر الصوتية إذا انهم وصفوا أصوات اللغة بما احسوا به عند نطق هذه الأصوات وما تتخذه من اثر في الظواهر الصوتية وفسروا ذلك على وفق خبراتهم المستمدة من تجاربهم القائمة على الملاحظة الذاتية في رصد موضوعات علم الأصوات ومن زاوية النظر اللغوية والنطقية والسمعية فغلب على وصفهم الطابع العلمي والطابع المنطقي المستند إلى ادلة منطقية حاولوا من خلالها البرهنة على صحة ما توصلو اليه من نتائج في هذا الجانب لاسيما في دراسة الظواهر الصوتية من نحو (الإعلال والإبدال والوقف والابتداء) .

غير أنمنهجهم لم يكن شكليا" بحتاً على الرغم من ان الشكل يعد من اهم الاسس الذي يستند اليه المنهج الوصفي لان الشكل هو الظاهر والمنهج الوصفي يعنى بالظاهر اكثر من عنايته بالمضمون فنرى العلماء العرب اعتمدوا كثيراً على المضمون مما ادى إلى اعتمادهم التعليل والتقنين من نحو تعليل سرعة الصوت قياساً إلى سرعة الضوء وتعليل الحدة والثقل اللتين تصيبان الأصوات بالاستناد إلى بعد المسافة وقربها من المصدر ومن ثم صاغوا قوانين عامة ترى ان الضوء اسرع من الصوت وان قرب التموج من مصدر الصوت جعل الصوت حادا" وبالعكس .

ومن ذاك تفسيرهم ان (الواو والياء) تقلبان الفاء إذا تحركتا وانفتح ما قبلهما فذهبوا إلى ان الألف في الافعال المعتلة هي اما واو او ياء . وبسبب هذا التغير وان أصوات المد لابد ان تكون مسبوقة بحركات من جنسها وعلى ذلك ذهبوا إلى ان الحركات ابعاض أصوات المد لتكن تلك قوانين مطلقة في الدراسات الصوتية عند العرب .

2ـ ان المادة الصوتية لعلم الأصوات عند العرب جاءت مجزأة لاتجمعها وحدة عضوية ولا موضوعية فكانت بحوثا" مبعثرة لاتلتزم خطة محكمة تضبط الظواهر التي تعاملت معها ما خلا مادة المخارج والصفات على ما فيها من بعض التفرق في بعض الصفات في مواضع متباعدة في أي مؤلف عند العلماء الذين تناولوا هذا الجانب . مما يعني صعوبة الامساك بتصور شمولي للظواهر المتفرقة. وتفسيرها مما يدعو الباحث إلى اللجوء إلى

الانتقائية للوقوف على منهجهم الشامل وذلك بأخذ بعض تفسيرات الظاهرة من عالم وجمعها مع تفسيرات عالم آخر قد أغفلها الأول أو لم يعطها تفسيرها الواضح، حتى يستطيع المرء أن يقف على معالم منهجهم التفسيري لمجمل هذه الظواهر ومن ثم منهجهم الصوتي العام .

ويظهر الاضطراب والتشتت في مجال السمعيات لأنه علم أختص به نفر قليل من علماء العربية . وهم الفلاسفة المسلمون وبعض العلماء الاخرين، فعند معرفة المنهج الصوتي في هذا العلم لا بدّ من جمع الظواهر السمعية من هؤلاء العلماء الذين تفاوتوا في دراستها فبعضهم يجمل وبعضهم يفصل، وبعضهم يغفل بعض هذه الظواهر . مما يدعو الباحث إلى لم شتات هذه الموضوعات المتفرقة ليقف على حقيقة هذا العلم اولا، ثم معرفة منهجه ثانيا .

3-إن عمل العلماء العرب ومنهجهم في مجال الأصوات يدور حول فكرة رئيسة ومهمة . هي معرفة جوهر الظواهر الصوتية ومعالجتها بعمق فكري يستند إلى التحليل الاستقرائي بوصفا تحليلا علميا لمعالجة الظواهر الصوتية من جهة، والتحليل التطبيقي المستند إلى الحدسّ والحسّ المرهف بوصفه مقدرة ذكائية وخبرة علمية من جهة أخرى، فضلا" عن ربط الظواهر الصوتية بالجانب الفلسفي والمنطقي . لذلك كان باب الإدغام عند سيبويه هو السبب المباشر في دراسة مخارج الأصوات وصفاتها، حتى يظن المطلع على كتابة ان دراسة الأصوات عنده انما جاءت لتفسر ظاهرة الإدغام، والحال يصدق على الخليل الذي كانت مقدمته الصوتية أساسا لدخول عملية بناء المعجم اللغوي عنده والذي قام على اساس نظام مخارج الأصوات، ففكرة دراسة الأصوات هي فكرة وظيفية أو غاية لدراسة الظواهر الصوتية وليس لدراسة الأصوات على حدة، وهذا هو السبب الذي جعل العلماء العرب يعزفون عن التأليف المستقل في علم الأصوات ما خلا ابن سينا في رسالته (اسباب حدوث الحروف)التي جاءت خالصة لدراسة الأصوات عند العرب .

4- قام منهج العلماء العرب على تقديم الامثلة العلمية والتطبيقية في دراسة الأصوات أو من خلال دراستهم للظواهر الصوتية فمن ذلك امثلتهم على حركة إنتقال الموجة الصوتية في الهواء، وذلك عندما شبه الفارابي حركة جزيئات الهواء بحركة الخرزة التي تنتقل بين الاصابع التي تضغط عليها، وهو ما يسمى حديثا" (ضغط الصوت) فضلاً علىتشبيه ابن جني لمخارج الأصوات أو الحلق بالناي فعند ما يضع الزامر انامله على أصوات الناي المنسقة وراوح في عمله اختلفت الأصوات وكذلك تقطع الأصوات في الحلق فضلاً علىامثلتهم في دراسة الظواهر الصوتية لاسيما في الإدغام والإعلال والإبدال وغيرها من الظواهر الصوتية.

5ـ استعمل العلماء العرب مصطلحات صوتية خاصة بهم مثل القرع والقلع والحدة والثقل في الجانب السمعي ومصطلحات المجهور والمهموس والشديد والرخو والمد واللين والمنحرف والمكرر والهاوي والذلاقة والاصمات وغيرها من المصطلحات الكثيرة التي استعملها علماء العربية واصبحت مصطلحات عامة يعرفها كل من يدرس الأصوات عند العرب مما يدل على ان علم الأصوات عند العرب علم مكتمل له مصطلحاته الخاصة به . على الرغم من غموض بعضها كالجهر والهس والشدة والرخاوة .

6ـ ان منهج العرب في تفسير بعض الظواهر الصوتية لم يكن دقيقا" ويسوده بعض الاضطراب والقصور في الرصد من ذلك ظاهرة الإمالة التي وضعوا لها قوانين تقيدها غير أنالاستعمال اللغوي عند العرب لم تستطع هذه القوانين ان تحد من امتداده في نطق الإمالة على نطاق واسع عند الناطقين بالعربية حتى قال القدماء ليسوغوا عدم اعتداد الظاهرة بقوانينهم ان الإمالة اكثر كلام العرب فضلا" عن بعض التعسف في دراسة ظاهرة الإبدال وتكلفهم في تعليل ظواهر الإعلال على وفق افتراضات وهمية ناهيك عن وصفهم همزة الوصل بأنها وسيلة صوتية طارئة مع أنها صوت لا يفرق عن أصوات بنية الكلمة يفرق بين المعاني وتوصل البحث إلى ان عملية الابتداء تستند إلى صويتة صغير يطلق عليه في العربية (الحركة) . فهي التي تتحمل عملية الابتداء بالساكن . فضلاً علىانهم تناولوا اهم القضايا الصوتية في (باب الإدغام) فعالجوها علاجاً فيه بعض الاضطراب لاستنادهم إلى الافتراضات الوهمية والتأويلات التعسفية بسبب تمسكهم بالجري وراء أصول الكلمات وجمعوا في هذه الظاهرة الكثير من الأمثلة التي تتمتع بسمات وخصائص مختلفة وتناولوها بمنهج واحد بالاستناد إلى فرضية المثلين (ساكن + متحرك) على ما في الظاهرة من قلب وإبدال وحذف . وهي نتائج تطور تاريخي أصاب تلك الصيغ التي وقع فيها الإدغام . فضلا" عن تأثر هذه الظواهر بمدلولها اللغوي من نحو الإمالة والإبدال والإدغام فتناولوها على وفق مدلولها .

7ـ كان المنهج الذي اتخذه العلماء العرب في تتبع صدور الصوت الانساني دقيقا" جدا" وذلك عندما تتبعوه من ابعد نقطة مخرجية عندهم وهي اقصى الحلق حتى الشفتين أي من الداخل إلى الخارج في حين ان المحدثين تتبعوه من الخارج إلى الداخل أي من الشفتين إلى الحنجرة بوصفها ابعد نقطة مخرجية لديهم فضلاً علىدقتهم في تقسيم الأصوات إلى مجموعتين متناظرتين من نحو (الأصوات الصحيحة والأصوات المعتلة) و(أصوات الذلاقة وأصوات الاصمات). و(الأصوات المجهورة والأصوات المهموسة) . وغيرها من التقسيمات الصوتيه التي تقرب من تقسيمات المحدثين فضلاً علىدقتهم في وصف مخارج الأصوات وصفاتها بغض النظر

عن موضع الخلاف في بعض الأصوات مع المحدثين فان وصفهم كان مطابقا" تماما" لوصف المحدثين .

إن جهد العلماء العرب في علم الأصوات كان حركة علمية ضمت حقائق علميه تستند إلى منهج يتفق مع اسلوب التفكير لدى العرب ومنهجهم في مجال البحث والدراسة غير أنذلك لايعني ان مجال البحث والدراسة عندهم قد تجاوز الاجتزاء إلى نظرية صوتية كاملة الابعاد تطابق المنهج الصوتي الحديث لان طبيعة المنهج فرضت عليهم هذا التوجه في دراسة الموضوعات الصوتية في مواضع متفرقة وتفاوت دراستها بين عالم وآخر من حيث التفصيل والاجمال وهذا ما دفع الباحث إلى رصد ظواهر هذا العلم والتعامل مع النصوص بفكر تحليلي يكشف عما ترمي اليه مضامينها وصولا" إلى حقيقتها العلمية مع توخى الحذر وكبح جماح معارفنا الحديثة لقياس موروثنا القديم فلا نحكم مبدأ لاحقا" على نموذج سابق الا بعد كشف خواصه وما يحويه من موافقة ومخالفة فاذا وصل إلى مرحلة التوافق الكلي فيكون الرجوع إلى القديم اولى .

فالمسألة تحتاج إلى اعادة النظر في دراسة علم الأصوات عند العرب وتحتاج إلى قراءة منظمة تنظر إلى الظاهرة في ضوء عصرها . لكي نعيد جهد العرب في لغة قادرة على مواكبة العصر ودراسة علم الأصوات عند العرب وفق منهجهم في التعامل مع الظواهر لأنه منهج خاص بهم اما إذا قيس بالمنهج الحديث في دراسة الأصوات من تبويب وتقسيم فلا يمكن ان نعده منهجا" صوتيا" ولكن إذا قيس بحسب منهج العرب في دراسة علوم العربية وتداخلها بعضها في بعض بحيث يحكم على المادة الصوتية بالتشتت والتفرق ودراسة المادة الصوتية بحسب الحاجة اليها . يمكن ان نعده منهجا" يوافق ادراكهم في الموضوعات اللغوية وان اغفال هذه المسألة يعني هضم حقوق العرب في ممارسة حقهم الابداعي في هذا الجانب لأن المنهج الذي سار عليه العلماء العرب في دراسة الظاهرة الصوتية بغض النظر عن تفرقها . فجاء شاملا يسري على جميع الظواهر التي يبحثها علم الأصوات . حتى لو كانت معرفتهم تبدأ بالتجربة الفردية المألوفة لأنهم قد جعلوا منها فكرة ذات مفاهيم عامة . بحيث تتحول الملاحظة الفردية الخاصة على يد العلماء العرب إلى قانون شامل واذا كان المحدثون قد استندوا إلى الاجهزة العلمية الحديثة في دراسة الأصوات وتوصلوا إلى نتائج علمية دقيقة، فان العلماء العرب قد استندوا إلى اليقين في رصد ظواهر هذا العلم، واليقين مبدأ يرتبط إرتباطا قويا" بالقضايا العلمية لارتباطه بالموضوعية عندما يركز على أدلة منطقية مقنعة لأي عقل، غير أنذلك لا يعني انه يقين ثابت او قطعي وانما برهنتهم العلمية تقنع من يستطيع فهم هذا البرهان في ضوء حالة العلم في عصرهم وما توافر لهم من امكانات وادوات معرفية تمخض عنها دراسة صوتية عربية

خالصة تنظّر إلى علم صوتي عربي فيه الكثير من الملاحظات والاراء لوضع مبادئ مهمة لعلم أصوات عربي خالص ولا يمكن تجاوزها إلى النظريات الحديثة في هذا العلم لان مثل هذا التجاوز يجعلنا نبخس جهد العلماء العرب في التنظير لعلم أصوات عربي له منهجه الخاص إذ قد تغنينا بعض ارائهم عن اختراع مفاهيم جديدة وتقديمها للناس على انها من افكار العصر الحديث في حين انها في بطون مصنفاتهم فاستغلال ما يصلح للدراسة في هذا العلم من اراء القدماء وافكارهم وصياغته في منهج محكم فيه وفاء للتاريخ وتحديث الصالح من التراث وما قدمناه من جهد لرصد علم الأصوات عند العرب ومحاولة معرفة منهجهم فيه محاولة جادة لدراسة علم الأصوات عند العرب باطار جديد ومضمون قديم لمعرفة المنهج الصوتي عند العرب الذي كان منهجا خاصا بهم .

ولله الحمد من قبل ومن بعد

المصـــادر والمراجــع

المصادر والمراجع

أولا : الكتب :

- القرآن الكريم :
- ابحاث في اصوات العربية، د. حسام سعيد النعيمي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الاولى، 1998م.
- الابدال : أبو الطيب اللغوي (ت 351هـ) . تحقيق : عز الدين التنوخي : المجمع العلمي العربي– دمشق – الطبعة الأولى – (د . ت)
- ابراز المعاني من حرز الاماني : عبد الرحمن بن سليمان ابو شامة : (ت 665هـ) القاهرة : 1349هـ .
- ابن جني عالم العربية : د. حسام سعيد النعيمي، مطبعة دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى، 1991م.
- اتحاف فضلاء البشر بالقراءات الاربعة عشر: الشيخ أحمد بن محمد البناء (ت 1117هـ) تحقيق : شعبان محمد أسماعيل – عالم الكتب – بيروت –ومكتبة الكلمات المصرية – القاهرة – د. ت
- الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، (ت911هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة، 1967م.
- اثر القراءات في الأصوات والنحو العربي : د. عبد الصبور شاهين : مكتبة الخانجي – القاهرة . الطبعة الأولى – 1987م .
- احوال النفس، رسالة في النفس وبقائها ومعادها، مع ثلاث رسائل، ابن سينا، تحقيق: د. احمد فؤاد الاهواني، الطبعة الاولى، 1952م.
- اخبار النحويين البصريين : أبو سعيد السيرافي (ت 368هـ) .نشره . فريتس كرنكو . المطبعة الكاثوليكية – بيروت . 1936 م
- الادراك الحسي عند ابن سينا، محمد عثمان نجاتي، دار المعارف، مصر، 1961م.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب: ابو حيان الاندلسي (ت 745 هـ) تحقيق مصطفى احمد النماس الطبعة الاولى، مطبعة النسر الذهبي 1984 م .
- اسباب حدوث الحروف : أبن سينا (ت 428هـ) تحقيق : محمد حسّان الطّيان ويحيى مير علم – مطبوعات مجمع اللغة العربية – دمشق – الطبعة الأولى – 1983م .

- اسرار العربية، أبو البركات بن الانباري، (ت577هـ)، تحقيق: محمد بهجت البيطار، مطبعة الترقي، دمشق، 1957م.
- اسس علم اللغة : ماريوباي – ترجمة . د .أحمد مختار عمر – منشورات جامعة طرابلس – كلية التربية – 1973 م .
- الاشتقاق : أبو بكر بن سراج (ت 316هـ) تحقيق أحمد صالح التكريتي : مطبعة المعارف بغداد . الطبعة الأولى – 1973م .
- اصالة علم الأصوات :
- اصلاح المنطق : ابن السكيت (ت444هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون دار المعارف – مصر .الطبعة الثالثة – 1956م .
- اصوات العربية بين التحول والثبات . د . حسام سعيد النعيمي . دار الكتب للطباعة والنشر – جامعة الموصل . (د . ت) .
- اصوات اللغة :د. عبد الرحمن أيوب . دار التأليف – مصر– الطبعة الأولى 1963م .
- اصوات اللغة العربية، د. عبد الغفار حامد هلال، مكتبة وهبه، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1996م.
- الاصوات اللغوية : د. أبراهيم أنيس : مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة – الطبعة الرابعة – 1971م.
- الاصوات عند سيبويه وعندنا، ارتور شاده، تصحيح: د. صبيح التميمي، صنعاء، الطبعة الأولى، 2000م.
- الاصول في النحو : ابو بكر بن السراج . تحقيق : د . عبد الحسين الفتلي . مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الثالثة – 1988 م .
- الالسنية العربية : ريمون الطحان – دار الكتاب اللبناني – بيروت – الطبعة الثانية – 1981م .
- الامالة في القراءات واللهجات العربية : د . عبد الفتاح أسماعيل شلبي دار الشروق –بيروت –الطبعة الثالثة، 1983م .
- الامالي : أبو علي بن القاسم القالي : (ت371 هـ) . مطبعة السعادة . مصر . الطبعة الثالثة 1954م .
- الايضاح في شرح المفصل، أبو عمر بن الحاجب، (ت646هـ)، مطبعة العاني، بغداد، 1982م.

- البارع في اللغة: أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، تحقيق: د. هاشم الطعان، مكتبة النهضة – بغداد، ودار الحضارة العربية – بيروت، 1975.
- البحث البلاغي عند العرب : د – احمد مطلوب، منشورات دار الجاحظ – بغداد، سلسلة الموسوعة الصغيرة، 1982م.
- البلاغة العربية، امتدادها واصولها :
- البيان والتبيين : أبو عمرو الجاحظ (ت 255 هـ) دار الفكر – بيروت د – ت .
- تاريخ اداب اللغة : مصطفى صادق الرافعي، مطبعة الأخبار، مصر، الطبعة الأولى، 1912.
- تاريخ اللغات السامية : د. إسرائيل ولفنسون ، القاهرة، 1348هـ .
- تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين :
- التجويد والأصوات : د. إبراهيم أبو النجا، مطبعة السعادة، مصر، 1962م.
- التحديد في الاتقان والتجويد : أبو عمرو الداني (ت 444 هـ) تحقيق : د – غانم قدوري الحمد، طبعة جامعة بغداد، 1987 .
- التشكيل الصوتي في اللغة العربية : د . سلمان العاني : ترجمة د. ياسر الملاح مطابع النادي الادبي الثقافي – جدة – الطبعة الأولى – 1403 هـ – 1983 م .
- التطور اللغوي التاريخي : د. ابراهيم السامرائي . دار الاندلس – بيروت الطبعة الثانية . 1491 هـ – 1981 م .
- التطور النحوي للغة العربية . برجشتراسر : ترجمة ونشر : د. رمضان عبد التواب نشر مكتبة الخانجي – القاهرة . دار الرفاعي . الرياض مطبعة المجد . 1402 هـ – 1982م.
- التفسير الكبير، للأمام الفخر الرازي، (ت 606هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، د.ت.
- تفسير ما بعد الطبيعة : ابن رشد (ت595هـ)، دار المشرق – بيروت . 1967 .
- التفكير الصوتي عند الخليل : د . حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية – الاسكندرية، الطبعة الأولى ، 1988 .
- التكملة : أبو على الفارسي (ت 337هـ) تحقيق : كاظم بحر المرجان، مطابع مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، 1981.
- التهذيب اللغة : ابو منصور الازهري (ت370هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون واخرين، القاهرة 1964–1967م .

- توحيد المفضل : أبو عبد الله المفضل الجمحي (كان حيا 183هـ)، مطبعة النعمان، النجف،

1964م.
- جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب : د.ماهر مهدي هلال، دار الرشيد، بغداد، 1980م.
- الجماهر في معرفة الجواهر : أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني (ت440هـ)، دائرة المعارف العثمانية – حيدر أباد – الدكن، 1355هـ.
- الجمل في النحو : أبو القاسم الزجاجي (ـ337هـ)، تحقيق : د. علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت ، الطبعة الأولى، 1984م.
- جمهرة اللغة : ابن دريد (ت 321 هـ) تحقيق : رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت 1987 .
- حاشية الصبان على شرح الاشموني : محمد بن علي الصبان (ت 1206 هـ) دار احياء الكتب العربية – القاهرة، د – . .
- الحجة في علل القراءات السبع : ابو علي الفارسي (ت 377هـ) . تحقيق : علي النجدي ناصف وعبد الفتاح شلبي . الهيئة المصرية العامة للكتاب 1403هـ – 1983 م .
- الحروف : أبو نصر الفارابي (ـ339هـ)، تحقيق محسن مهدي، دار الشروق، بيروت، 1969.
- الحيوان : أبو عمرو الجاحظ (ت 255 هـ) . مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، د. ت .
- الخصائص : ابو الفتح عثمان بن جني : تحقيق : محمد علي النجار – دار الكتب المصرية. 1371 هـ – 1952 م .
- الخليل بن احمد الفراهيدي، اعماله ومنهجه . د. مهدي المخزومي، مطبعة دار الرائد العربي – بيروت الطبعة الثانية 1986م .
- دائرة المعارف الإسلامية : أصدرها مجموعة من المستشرقين في العالم، تعريب إبراهيم زكي خورشيد وآخرين، مطبعة الشعب، القاهرة، د . ت.
- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : د. غانم قدوري الحمد . مطبعة الخلود بغداد 1406 هـ – 1986م .
- الدراسات الصوتية عند علماء العربية . عبد الحميد الهادي إبراهيم الاصيبعي منشورات كلية الدعوة الاسلامية ولجنه الحفاظ على التراث الاسلامي الجماهيرية العظمى – طرابلس الطبعة الأولى – 1992 م .
- الدراسات اللغوية عند العرب إلى القرن الثالث الهجري ، د. محمد حسين آل ياسين،
- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني : د. حسام سعيد النعيمي دار الطليعة للطباعة

والنشر – بيروت . منشورات وزارة الثقافة والاعلام جمهورية العراق – دار الرشيد للنشر – 1980 م .
– دراسات في اللغة والنحو : د. عدنان محمد سلمان، دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، 1991م.
– دراسات في علم أصوات العربية : د. داود عبده. مؤسسة الصباح للنشر والتوزيع، د . ت.
– دراسات في علم اللغة – القسم الاول د. كمال محمد بشر . دار المعارف – مصر 1969م.
– دراسات في فقة اللغة : د. صبحي الصالح : دار العلم للملايين – بيروت الطبعة السابعة، 1978 م
– دراسة السمع والكلام . د. سعد مصلوح – عالم الكتب – القاهرة – 1400هـ – 1980م .
– دراسة الصوت اللغوي : د. احمد مختار عمر . عالم الكتب – القاهرة، الطبعة الثالثة . 1405هـ – 1985م.
– دروس في الطبيعة : قسم الصوت، أحمد موسى واخرين، مطبعة حجازي، القاهرة، د.ت.
– دروس في علم أصوات العربية : جان كانتينو : تعريب صالح الفرمادي مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية . تونس 1966 م .
– دقائق التصريف : القاسم بن سعيد المؤدب (ت هـ) تحقيق : د . أحمد ناجي القيسي، ود. حاتم الضامن : ود. حسين تورال : مطبعة المجمع العلمي العراقي –1987م.
– ديوان مجنون ليلى : شرح عبد المتعال الصعيدي مكتبة القاهرة : د . ت
– رسائل ابن رشد : كتاب النفس، مطبعة المعارف العثمانية، حيدر اباد الدكن، الطبعة الأولى 1947.
– رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا، اخوان الصفا (ق4هـ) دار صادر – بيروت . د . ت.
– رسالتان في الحواس : عبد اللطيف البغدادي (ت629 هـ) ، تحقيق: بول غليونجي ، وسعيد عبده ، وزارة الاعلام – الكويت ، 1972.
– رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية د. غانم قدروي الحمد . مؤسسة المطبوعات العربية – بيروت . الطبعة الأولى . 1402هـ – 1982م .
– الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، مكي بن أبي طالب، (ـ437هـ)، تحقيق: د. احمد حسن فرحات، دمشق، 1973م.
– الزينة في الكلمات الإسلامية، أبو حاتم الرازي، (ت322هـ)، تعليق وتحقيق: حسين بن فيض الله الهمداني، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1957م.
– سر الفصاحة : ابن سنان الخفاجي (ت466هـ)، تحقيق عبد المتعال الصعيدي، مكتبة محمد

علي واولاده، مصر، 1969.
- سر صناعة الاعراب : ابو الفتح عثمان بن جني . تحقيق : مصطفى السقا ومحمد الزفزاف وابراهيم مصطفى وعبد الله امين . مطبعة مصطفى الحلبي واولاده – مصر . الطبعة الأولى . 1954 م .
- شذا العرف في فن الصرف، الشيخ أحمد الحملاوي، مكتبة النهضة العربية، بغداد، 1988.
- شرح ابن عقيل، بهاء الدين بن عقيل، (ت769هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الثانية عشر، 1961م.
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1955م.
- شرح الشاطبية : شرح شعلة محمد بن أحمد الموصلي (ت656هـ)، القاهرة، مطبعة دار التأليف، د . ت.
- شرح الفارابي لكتاب ارسطو في العبارة، الفارابي، نشر ولهم اليسوعي، وستانل مارو اليسوعي، المطبعة الكاثولوكية، بيروت، 1960م.
- شرح المفصل : ابن يعيش (ت623هـ)، مكتبة المتنبي، القاهرة، د . ت.
- شرح الملوكي في التصريف، ابن يعيش، تحقيق: د.فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب، الطبعة الأولى، 1973م.
- شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين الاسترابادي (ت688هـ)، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد وآخرين، مطبعة حجازي، القاهرة، 1358هـ.
- شرح مراح الارواح : شمس الدين احمد المعروف بـ(ديكنقور)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ،الطبعة الثانية، مصر، 1937.
- الشفاء :

أ- الرياضيات : جوامع علم الموسيقى تحقيق: زكريا يوسف، مراجعة احمد فؤاد الاهواني، ومحمد الحفني، المطبعة الاميرية، القاهرة، 1986.

ب- الطبيعيات : علم النفس : تحقيق وطبع، بان باكوش، مطبعة المجمع العلمي التشيكوسلوفاكي، 1956.

ج- الطبيعيات : المعادن والاثار العلوية، تحقيق عبد الحليم منتصر واخرين، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة، 1965.

د- المنطق والشعر : تحقيق عبد الرحمن بدوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966.

- الصاحبي في فقة اللغة : احمد بن فارس (ت395هـ) تحقيق: د.مصطفى الشويمي . مؤسسة بدران للطباعة والنشر – بيروت . الطبعة الثانية 1382هـ – 1963م .
- الصوتيات : مارتيل مالبرج، تعريب احمد خليل هليل،
- عبقري من البصرة : د. مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1986.
- العربية الفصحى : نحو بناء لغوي جديد الاب هنري فليش . تعريب : د. عبد الصبور شاهين دار المشرق – بيروت . الطبعة الثانية 1983م .
- العربية دراسات في اللغة واللهجات والاساليب يوهان فك : ترجمة : د. عبد الحليم النجار. دار الكتاب العربي 1370 هـ – 1951م .
- علم الأصوات : بارتيل مالبرج . تعريب د. عبد الصبور شاهين . مكتبة الشباب 1985م .
- علم الأصوات العام : د. بسام بركة مركز الانماء القومي – بيروت ، د . ت.
- علم اللغة : د. علي عبد الواحد وافي . دار نهضة مصر للطباعة والنشر . الفجالة، القاهرة – الطبعة التاسعة – د . . .
- علم اللغة : مقدمة للقارئ العربي . د. محمود السعران . دار المعارف – مصر 1962م .
- علم اللغة العام – الأصوات . د. كمال محمد بشر . دار المعارف – مصر 1975 م .
- علم اللغة العام، فرديناند دو سوسير، ترجمة : د. يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد، 1985م.
- العين : الخليل بن احمد الفراهيدي (ت 175هـ) . تحقيق د. مهدي المخزومي ود. ابراهيم السامرائي الجزء الاول . مطابع الرسالة – الكويت . 1980 م .
- عيون الحكمة، ابن سينا، تحقيق: د. عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ودار القلم، بيروت، الطبعة الثانية، 1980م.
- فصول في فقه اللغة : د. رمضان عبد التواب، مطبعة الخانجي، مصر،
- فقة اللغة العربية . د. كاصد ياسر الزيدي . مطابع مديرية دار الكتب للطباعة والنشر – جامعة الموصل . 1978م .
- فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور الثعالبي، (ت430هـ)، تحقيق: مصطفى السقة واخرين، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1972م.
- الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية : جرجي زيدان، الطبعة الثانية، مطبعة الهلال، 1904.
- الفهرست : ابن النديم (ت 380هـ)، تحقيق رضا تجدد طبعة فلوجل، طهران، 1971م .
- في الأصوات اللغوية – دراسة في أصوات المد . د. غالب فاضل المطلبي . دار الحرية للطباعة – بغداد 1984م .

- في البحث الصوتي عند العرب . د. خليل ابراهيم العطية . منشورات دار الجاحظ بغداد – سلسلة الموسوعة الصغيرة رقم (124) . 1983م .
- في التطور اللغوي : د. عبد الصبور شاهين : مكتبة الشباب – مصر 1990م .
- في اللهجات العربية : د. ابراهيم انيس . مكتبة الانجلو المصرية – الطبعة الرابعة . د .ت.
- فيزياء الصوت والحركة : د.أمجد عبد الرزاق كولجة، مديرية دار الكتب – الموصل – 1987 م .
- القانون في الطب : ابن سينا، تحقيق ادور القش وعلي زيعور، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، 1987.
- قضايا اساسية في علم اللسانيات الحديث، د. مازن الوعر، دمشق، الطبعة الأولى، 1988 .
- القلب والإبدال : ابن السكيت (ت 244هـ) نشر، أوجست هفنر، مجموعة الكنز اللغوي في اللسن، العربي–بيروت .1930م .
- كتاب النفس : أبو بكر بن باجة، (ت533هـ)، تحقيق: د. محمد صغير حسن، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، 1960م.
- الكتاب لسيبويه (ت 180هـ) نسخه مصورة عن طبعة بولاق، 1317هـ مطبعة المثنى – بغداد
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: مكي بن ابي طالب تحقيق: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة الثانية 1981 م .
- كلام العرب : حسن ظاظا، مطبعة العصري، الاسكندرية، 1971.
- الكلام انتاجه وتحليله : د . عبد الرحمن ايوب : مطبوعات جامعة الكويت – الطبعة الأولى 1984 .
- لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة . د. عبد العزيز مطر . الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة . 1386هـ – 1966م .
- لحن العامة والتطور اللغوي : د. رمضان عبد التواب . دار المعارف –مصر – 1967م .
- لسان العرب : ابن منظور (ت711هـ)، طبعة مصورة عن بولاق، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت.
- لطائف الإشارات لفنون القراءات : شهاب الدين القسطلاني (ت923هـ) تحقيق الشيخ عامر السيد عثمان، د. عبد الصبور شاهين، لجنة احياء التراث الاسلامي، القاهرة، 1972.
- اللغة الشاعرة : عباس محمود العقاد، مطبعة مخيمر – القاهرة، 1960م.
- اللغة العربية معناها ومبناها . د. تمام حسان الهيئة المصرية للكتاب . الطبعة الثانية . 1979م .
- لهجة تميم واثرها في العربية الموحدة . د. غالب فاضل المطلبي . دار الحرية للطباعة –

بغداد – 1978م .
– محاضرات في اللغة – القسم الاول . د. عبد الرحمن ايوب . مطبعة المعارف – بغداد 1966م .
– المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها : محمد الانطاكي . مكتبة دار الشرق بيروت. الطبعة الأولى . 1972 م .
– مخارج الحروف وصفاتها، أبو الاصبع الاشبيلي، المعروف بأبن الطحان، (ت560هـ)، تحقيق: محمد يعقوب تركستاني، بيروت، الطبعة الأولى، 1984م.
– مختصر العين : أبو بكر الزبيدي (ت ه)،
– المدخل إلى الالسنية : يوسف غازي، منشورات العالم العربي الجامعية، دمشق، الطبعة الأولى، 1985م.
– المدخل إلى علم الأصوات – دراسة مقارنة . د. صلاح الدين صالح حسنين . مطبعة دار الاتحاد العربي للطباعة . الطبعة الأولى . 1981 .
– المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي . د. رمضان عبد التواب . مطبعة المدني – القاهرة . الطبعة الأولى 1403هـ – 1982م .
– مدرسة الكوفة ومنهجها في اللغة والنحو د. مهدي المخزومي، دار الرائد العربي – بيروت، الطبعة الثانية 1986م.
– المزهر في علوم اللغة وانواعها : جلال الدين السيوطي (ت911هـ) . تحقيق: محمد احمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم . دار احياء الكتب العربية – الطبعة الأولى – د . . .
– المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر د. عبد القادر مرعي الخليل . منشورات جامعة مؤته – الاردن – الطبعة الأولى . 1413هـ – 1993م.
– المعاجم اللغوية : د. إبراهيم أبو النجا، مطبعة السعادة، مصر، 1962م.
– المعجم العربي : نشأته وتطوره د. حسين نصار . دار مصر للطباعة . الطبعة الثانية – 1968م.
– معجم المصطلحات الأدبية : د. ناجي علوش
– مفتاح العلوم : السكاكي (ت666هـ) المطبعة الميمنية، القاهرة : د. .
– المقتضب : ابو العباس المبرد (285هـ) تحقيق : عبد الخالق عضيمة . عالم الكتب – بيروت . د . ت .
– مقدمة كتاب الإبدال لأبي الطيب اللغوي . عز الدين التنوخي . الطبعة الأولى . 1960 م .

- المقرب، علي بن مؤمن المعروف بأبن عصفور (ت669هـ)، تحقيق احمد عبد الستار الجواري، وعبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، 1986.
- الممتع في التصريف ابن عصفور الاشبيلي، تحقيق : د . فخر الدين قباوة : منشورات دار الافاق الجديدة –بيروت، 1979م .
- من اسرار اللغة : د. ابراهيم انيس : مكتبة الانجلو المصرية . الطبعة السابعة . 1985م .
- مناهج البحث في اللغة . د. تمام حسان . دار الثقافة – الدار البيضاء – المغرب 1400هـ – 1979 م .
- المنصف : ابو الفتح عثمان بن جني . تحقيق : ابراهيم مصطفى ومحمد امين . 1954م.
- المنظومة الكلامية : دراسة في فيزياء وبيولوجيا اللغات الشفهية، د. بيتر ب – دنيس، ود. اليوت ينشن، ترجمة د. محي الدين حميدي، معهد الانماء العربي، بيروت، 1991.
- المنهج الصوتي للبنية العربية . رؤية جديدة في الصرف العربي د. عبد الصبور شاهين مؤسسة الرسالة – بيروت . 1400هـ – 1980م .
- الموجز في النحو : ابو بكر بن السراج : تحقيق : مصطفى الشويمي . مؤسسة أ . بدران للطباعة والنشر – بيروت، الطبعة الأولى . 1965م .
- الموسيقى الكبير : ابو نصر الفارابي : تحقيق : غطاس عبد الملك خشبة . دار الكتاب العربي للطباعة . القاهرة . د . ت .
- الموضح في التجويد : عبد الوهاب القرطبي (ت 461هـ)، تحقيق : د.غانم قدوري الحمد، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت، 1990.
- النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية والالهية، ابن سينا، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الثانية، 1357هـ – 1938م.

- النشر في القراءات العشر .محمد بن محمد الجزري (. 833هـ) مراجعة : علي محمد الضباع، دار الفكر، بيروت ، د . ت.
- النكت الحسان في شرح غاية الاحسان، أبو حيان الأندلسي، تحقيق:د. عبد الحسين الفتلي، بغداد، الطبعة الأولى، 1985م.
- النكت في اعجاز القرآن، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، (ت384هـ)، ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، 1387هـ – 1968م.
- النكت في تفسير كتاب سيبويه، الاعلم الشنتمري، (ت476هـ)، تحقيق: زهير عبد الحسين

سلطان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت، الطبعة الأولى، 1987م.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع : السيوطي، تحقيق محمد بدر الدين النعساني، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
- الوجيز في فقة اللغة : محمد الانطاكي . دار الشرق – بيروت . الطبعة الثانية. د . ت .

الرسائل الجامعية :

- ابو علي النحوي وجهوده في الدراسات اللغوية والصوتية، علي جابر المنصوري، رسالة دكتوراه، كلية الآداب – جامعة بغداد، 1987م.
- الاصوات عند سيبويه : عبد العزيز سعيد الصيغ، رسالة دكتوراه كلية الاداب – جامعة بغداد 1999م .
- الاعلال في كتاب سيبويه في هدى الدراسات الصوتية الحديثة عبد الحق احمد محمد، رسالة ماجستير – كلية الاداب . جامعة بغداد 1913م .
- البحث الصوتي عند ابن السراج . علي خليف حسين، رسالة ماجستير كلية الاداب – جامعة بغداد، 1998 م .
- البحث الصوتي عند ابن جني زبيدة طالب، رسالة ماجستير كلية الاداب – جامعة القاهرة، 1979 م .
- البحث الصوتي والدلالي عند الفيلسوف الفارابي، رجاء عبد الرزاق الرفاعي . رسالة ماجستير – كلية الاداب – بغداد 1992م .
- الدراسات الصوتية في كتاب العين في ضوء علم اللغة الحديث موفق عليوي خضير – ماجستير – كلية الاداب – الجامعة المستنصرية 1985م
- الدرس الصوتي عند ابن سينا، علاء جبر محمد رسالة ماجستير كلية الاداب – الجامعة المستنصرية – 1998 م .
- الدرس الصوتي عند المبرد ،فاطمة البياتي – رسالة ماجستير – كلية التربية – الجامعة المستنصرية – 1997 م .
- الدرس الصوتي عند رضي الدين الاستراباذي . حسن عبد الغني الاسدي رسالة ماجستير – كلية الاداب – الجامعة المستنصرية 1985م .
- القلب والإبدال في اللغة : عادل احمد زيدان – رسالة دكتوراه كلية الاداب – جامعة بغداد 1978م .

– المصطلح الصوتي في الدراسات العربية . عبد العزيز الصيغ . رسالة ماجستير – كلية الاداب – جامعة بغداد 1988 م .

المقالات والبحوث :

– الابجدية العربية اكمل الابجديات : –
– الابدال اللغوي في ضوء علم اللغة الحديث د. اسماعيل احمد الطحان، مجلة اداب المستنصرية العدد الاول – السنة الاولى، 1976م .
– الاصوات عند سيبويه – د. كمال بشر، مجلة الثقافة – القاهرة السنة الثانية، العدد (21) سنة 1975 م .
– التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الاعراب لابن جني، الاب هنري فليش، تعريب، د. عبد الصبور شاهين، مجلة مجمع اللغة العربية – القاهرة، ج 23، 1968 .
– جهود ابن سينا في اللغة والاصوات، د. احمد مختار عمر، مجلة البحث العلمي والتراث الاسلامي، المملكة العربية السعودية، مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، العدد الخامس، 1982م.
– جهود الكوفيين في علم الأصوات . د. خليل ابراهيم العطية، مجلة كلية الاداب – جامعة البصرة – العدد (15) سنة 1973م .
– الخليل رائد علم الصوت . د. حازم سليمان الحلي، محلة مجمع اللغة العربية، دمشق – ج2، مج 68 نيسان، 1993م .
– دراسة في المنهج الصوتي عند العرب: اكرم عثمان يوسف وقائع ندوة اللسانيات في خدمة اللغة العربية – مركز الدراسات تونس، نوفمبر 1981م.

– السكون في اللغة العربية د . كمال بشر، مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة، ج 24، 1969.
– علم الصوتيات الموجي والسمعي عند علماء المسلمين القدماء : يوسف الهليس، المجلة العربية للدراسات اللغوية – الخرطوم مج 3، ع 2، 1985.
– علماء الأصوات العرب سبقوا اللغويين المحدثين في ابتكار نظرية التماثل د. عبد العزيز مطر، مجلة اللسان العربي، جامعة الدول العربية – المغرب، مج 7، ج1، 1970م .
– الفكر الصوتي عند ابن دريد . د. خليل ابراهيم العطية، مجلة كلية الاداب – جامعة البصرة.
– الفكر الصوتي عند السيوطي عبد القادر مرعي خليل، مجلة مؤنه للبحوث والدراسات، مج 8، ع 6، 1993 م .

- مصطلحات الأصوات عند سيبويه،
- المصوتات عند علماء العربية، د. غانم قدوري الحمد، مجلة كلية الشريعة – جامعة بغداد، عدد (5) سنة 1399 .
- من فكر الفرّاء الصوتي، قراءة جديدة في تراثنا الصوتي د. صبيح التميمي، مجلة المورد، مج 19، ع د، 1990 م .
- النظريات الصوتية في كتاب سيبويه، الطيب البكوش . حوليات الجامعة التونسية، العدد (11) سنة 1974م .

Abstract
"Phonetics Approach for Arabs"

This study deals with the approach adopted by Arabs scientists in studying sounds. The Arabs studied phonetics for the Arabs in terms of its approach, and the phonetic effort according to a plan studying phonetics for the Arabs. It is divided to three chapters.

The **First Chapter** is entitled the aural phonetics and it has two sections: the first studies the sound, the bell, and the source of the second and its elements. The second section studies the medium that conveys the sound.

The **Second Chapter** is under the title of phonetics , the spoken sounds and it also has two sections: the first consists of the organs of speech, the phonetic alphabet and the deviation of sounds. The second section studies pronunciation and its characteristics .

The title of the **Third Chapter** is functional phonetics and again it includes two sections. The first section studies merging, replacing, whereas the second section, deals with starting, stopping, harmony and diphthongs.

The study has come to a number of results, the most important of which are:

1. The Arab scientists followed an approach mixing between transcription criterion in the interpretation of the phonetic phenomena, and according to the available possibilities in their field.
2. The phonetic material of phonetics for the Arabs has come partial, and unconnected by an objective unity . Thus, it was but scattered researches which never followed a perfect plan to make its precise phenomena.
3. The works of the Arab scientists and their approach in the field of phonetics revolve round a vital idea; that is, knowing the core of phonetic phenomena and processing them with deep intellectuality, based upon inductive analysis, which itself depends on sensitive sense when it puts intlegental capability and scientific experience.
4. The Arab scientists presented a lot of scientific and applicable examples in studying phoetics such as the resemblance made by Ibn Ginee pronunciation through mouth

or when musician puts his fingers on the flute. This of course , makes the sound different and make them interrupted.

5. The Arabs used some syntactic terms peculiar to them such as pulling, dumping, stress and the transmitting to aural aspect voiced, voiceless, stress, fiction, tongue tip, silence in the spoken aspect; and merging, harmony the functional aspect.
6. The approach used by Arabs in interpreting some phonetic phenomena was not exact, and it was predominated by confusion which limited in collecting harmony phenomenon, diphthong moreover, it depends on a false hypotheses.
7. Their approach in following the source of the sounds was very meliculous . They followed it from the farthest outside point, that in the farthest point in the mouth to the lips, that is from the inside to the outside. For the modernist, it should be vise versa.
8. The approach followed by Arabs in studying phonetics was something peculiar to them, and it went on in line with their realization and knowledge in studying the Arabic sciences.